احتمالات اندلاع الحرب
في منطقة الشرق الأوسط
٢٠١١/٢٠١٠

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجهات يتبناها
مركز دراسات الشرق الأوسط

الطبعة الأولى
عمان- ٢٠١١

كافة الحقوق محفوظة لمركز دراسات الشرق الأوسط

تطلب منشوراتنا من
مركز دراسات الشرق الأوسط
هاتف ٤٦١٣٤٥١- فاكس ٤٦١٣٤٥٢
ص.ب ٢٠٥٤٣ – عمان (١١١١٨) الأردن
E-MAIL: MESC@MESC.COM.JO
HTTP://WWW.MESC.COM.JO

وجميع المكتبات الأردنية والعربية الكبرى

مركز دراسات الشرق الأوسط
الأردن

احتمالات اندلاع الحرب في منطقة الشرق الأوسط ٢٠١٠/٢٠١١

تحرير
صبري سميرة

المشاركون
أحمد سعيد نوفل
أحمد الخلايلة
خالد عبيدات
رائد نعيرات
صبري سميرة
عاطف الجولاني
عبد الحكيم مفيد
علي باكير
موسى الحديد

ندوات
٥٩

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
٢٠١٠/١٢/٤٤٩٤

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
المقدمة	٧
الفصل الأول **البيئة الحاكمة لتحركات الأطراف- سياسياً وأمنياً- اتجاه الحرب**	١٣
الورقة الأولى البيئة الحاكمة لتحركات الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والصين....	١٥
الورقة الثانية البيئة الحاكمة لتحركات إسرائيل	٢٥
الورقة الثالثة البيئة الحاكمة لتحركات الدول العربية «الاعتدال والممانعة»، وإيران وتركيا	٣٧
الورقة الرابعة البيئة الحاكمة لتحركات المقاومة الفلسطينية واللبنانية	٥٥
الفصل الثاني **إمكانات واحتمالات اندلاع الحرب**	٧٥
الورقة الأولى قراءة في المشاهد السابقة لحروب (٢٠٠٣– ٢٠٠٩)	٧٧
الورقة الثانية إمكانات الأطراف وإراداتها في شن الحرب وتداعياتها.....	٨٥
الفصل الثالث **التوصيات الاستراتيجية لصانع القرار العربي والإسلامي المعني**	١١١
الورقة الأولى دوامة الحروب مستمرة رغم تداعياتها المدمرة: لماذا وكيف؟	١١٣
الورقة الثانية الاستعدادات لاندلاع الحرب ونتائجها- سياسياً وإعلامياً	١٣١

الورقة الثالثة الاستعدادات لاندلاع الحرب ونتائجها- عسكرياً وأمنياً واقتصادياً	١٤١
الملاحق	**١٥١**
- برنامج الندوة	١٥١
- كلمة افتتاح الندوة	١٥٥
- التعريف بالمشاركين	١٥٧
الملخص بالإنجليزية	—

المقدمة

تتكاثر تصريحات المسؤولين الغربيين- وخاصة الأمريكيين والإسرائيليين- المهددة بإمكانية أو ضرورة تنفيذ هجوم عسكري على المنشآت النووية الإيرانية، وأن احتمالية استخدام أسلوب الحل العسكري مع إيران لا زالت مطروحة على الطاولة بوصفه أحد خيارات حل النزاع الغربي- الدولي مع إيران؛ لتتوقف عن تخصيب اليورانيوم والاستمرار في برنامجها لامتلاك القدرات النووية، وفي المقابل، تتصاعد حدَّة التصريحات والمواقف الإيرانية في التصدي لهذه التهديدات الصريحة والضمنية.

وتُهدِّد إيران بالتصدي لأي عدوان عسكري عليها، وقلب كافة موازين القوة في الشرق الأوسط الكبير، وصولاً إلى ضرب كافة المصالح الأمريكية والإسرائيلية، بما في ذلك تل أبيب نفسها.

وتنقسم القوى الدولية والإقليمية والعربية حول هذين الموقفين المُتصارعين ما بين مؤيد لطرف على آخر، أو رافضٍ لأي شكل من أشكال الصراعات العسكرية في المنطقة.

ومن جهة أخرى، فإن إسرائيل لا تكف عن التهديد بتوجيه ضربات عسكرية إلى قوى المقاومة في لبنان أو فلسطين إذا ما شعرت برغبتها في ذلك؛ لتحقيق هدف عسكري أو سياسي تختلقه، ويشمل ذلك تهديد سوريا؛ الدولة الحاضنة والداعمة لقوى المقاومة، وحليفة إيران.

ونتيجة لشدة تعقيد الأوضاع الاستراتيجية والعسكرية والسياسية في الشرق الأوسط تتضارب التحليلات والرؤى في احتمالية نشوب حرب ما في جبهة من الجبهات الأربع: إيران، وسوريا، ولبنان وحزب الله، وغزة وحركة حماس؛ فهناك من يرى أنَّ كل ما نسمعه هو جعجعة لن ينتج عنها طحن، وإنما هي مناورات دعائية تسعى لتحقيق أهداف سياسية.

وهناك من يرى أن المنطقة على وشك أن تشهد حرباً طاحنة جديدة بعدما أُغلقت سبل الحلول السياسية لقضايا المنطقة العالقة، وعلى رأسها الملف النووي الإيراني والصراع العربي- الإسرائيلي، وصمود المقاومة الميداني في فلسطين ولبنان.

ولدراسة احتمالية نشوب حرب في المنطقة، بعيداً عن الإفراط والتفريط، دعا مركز دراسات الشرق الأوسط- الأردن إلى عقد ندوة بعنوان «**احتمالات اندلاع الحرب في منطقة**

الشرق الأوسط ٢٠١٠/ ٢٠١١»، بمشاركة باحثين مختصين وخبراء من داخل الأردن وخارجه.وقد عرض الباحثون أوراقهم في فصول ثلاثة:

- **الفصل الأول:** عالج البيئات الحاكمة- الاستراتيجية والسياسية والعسكرية- لتحركات الأطراف المحتملة والمؤثرة والمتأثرة في أي حرب قد تنشب في المنطقة، وهي: أمريكا، والاتحاد الأوروبي، وروسيا، والصين، وإسرائيل، والدول العربية، وإيران، وتركيا، والمقاومة الفلسطينية، والمقاومة اللبنانية.
- **الفصل الثاني**: قدَّم تحليلاً لإمكانات واحتمالات اندلاع حرب من هذا الطراز، وذلك من خلال قراءة في المشاهد السابقة للحروب التي وقعت في الفترة ما بين الأعوام ٢٠٠٣- ٢٠٠٩ في المنطقة، ودراسة إمكانات الأطراف وإرادتها في شن الحرب وتداعياتها.
- **الفصل الثالث:** قدم الباحثون فيه جملة من التحليلات والتوصيات والخلاصات لصناع القرار العربي الإسلامي عبر محاولة فهم استمرار دوَّامة الحروب في المنطقة بالرغم من تداعياتها المدمرة المستمرة، وعبر استعراض الاستعدادات التي تقوم بها الأطراف في حال اندلاع حرب ما في المنطقة، وفي وطبيعة التعامل مع نتائجها: سياسياً وإعلامياً وعسكريا وأمنياً واقتصادياً.

ومن خلال الأوراق والباحثين والمشاركين تم طرح كثير من الآراء في هذه الندوة، بعضها متفق وأخرى متناقض، وغيرها مختلف تنوعاً، فقد تم طرح أنَّ ما تم تناوله من تحليل لطبيعة البيئات الحاكمة لتحركات الدول العظمى وتكتلاتها تجاه أي حرب قادمة في المنطقة، والوقوف على إمكانية اندلاع حرب فيها يقود إلى أن هذه الإمكانية تكاد تكون ضئيلة في المدى المنظور، وذلك لتعارض نتائجها مع ما تتوخاه تلك التكتلات والدول المذكورة من نتائج، فاندلاع حرب إقليمية، وليس حملة عسكرية كما كان في لبنان وغزة، هي مسألة في غاية الخطورة، تؤثر في كثير من الأطراف الإقليمية والدولية، مما يجعل إمكانية اندلاعها ضئيلة، وأن قرع طبول الحرب والحشود العسكرية وإجراء المناورات، لا يعني بالضرورة أن الحرب باتت أمراً مرجحاً؛ فعملية الاستعداد لمواجهات محتملة باتت منفصلة عن قرار الحرب، وفي المقابل تم طرح أنَّ سياقات نشوب الحروب أحياناً ليس شرطاً فيها أن تكون

حروب نتائج، فهناك نوع من الحروب التي يطلق عليها «حروب اللاحل»؛ فليس شرطاً أن تكون الحروب حروباً مقدرة النتائج، بل يمكن أن تكون حروباً تشن لتعقيد الأوضاع في ظل غياب المشاريع المعاكسة أو ضبابيتها، أو عدم قدرة المشاريع المعاكسة على السير قدماً، وهذا ما قد يحدث في منطقة الشرق الأوسط إذا ما أخذنا بالحسبان ضبابية وعدم اقتدار مشروع العملية السلمية أو مشروع تضامن عربي ذي رؤية لدور فعّال في المنطقة.

أمَّا البيئات الحاكمة لتحركات دول الاعتدال والممانعة العربيين، فقد كان الطرح الرئيس في الندوة بأن كلا المحورين يرفضان أي عدوان قد تقوم به إسرائيل ضد الدول العربية وإيران، ولكن الخلاف القائم بينهم في وجهات النظر مرتبط في النتائج التي من الممكن أن يتمخَّض عنها العدوان، وبالتأكيد فإنَّ فشل إسرائيل في تحقيق أهدافها يعني زيادة في قوة محور الممانعة والدور الذي سيقوم به في المستقبل.

وأما قوى المقاومة، فإنَّ ما تم طرحه من معطيات حول حزب الله وحماس وفق خبرة العدوان الإسرائيلي في عامي٢٠٠٦ و ٢٠٠٩ بأنه أوصل المقاومة إلى ضرورة عدم المبادرة بهجوم، أقلَّه خلال الفترة القليلة القادمة، بانتظار حصول تطورات على مستوى أعلى وأكبر في المنطقة.

وفي الوقت نفسه أدرك الجميع، بناءً على هذين العدوانين الإسرائيليين، بأن المقاومة مستعدة لخوض المواجهة، الأمر الذي زاد من ثقة الجماهير بقدراتها وخياراتها، فيما أظهرت نتائج المواجهات اهتزاز ثقة المجتمعين الإسرائيلي والأمريكي في قدرة جيشيهما على تحقيق انتصارات سريعة، وعلى حماية الجبهة الداخلية كما كان يحصل في أوقات سابقة، ممّا كان له تأثير مهم على تأييد الأوساط الشعبية لأعمال عسكرية جديدة.

وبتحليل إمكانيات الأطراف وإراداتها في اشتعال حرب ما في المنطقة، تم نقاش بعض الآراء التي تقترح بأن خيار الحرب بالنسبة للولايات المتحدة خيار مطروح، وأنَّ إرادة الحرب موجودة، إلا أن أمريكا تسعى قبل شن الحرب لتحقيق عدة أمور تضمن نجاحها في الحرب مثل:

- توسيع دائرة المشاركة معها وبشكل خاص مشاركة الدول العربية.
- البحث عمن ينوب عنها في هذه الحرب «الحرب بالإنابة» إن أمكن ذلك.

- تمزيق وتشتيت قوى الممانعة من الداخل «إيران، سوريا.. إلخ» وإضعاف قدرتها على رد الفعل.
- تذليل صعوبات البيئة الاستراتيجية «محلياً، وإقليمياً، ودولياً» وخلق المسوِّغات السياسية والأخلاقية لهذه الحرب، وبالتالي تقليل كلفة الحرب إلى أدنى درجة ممكنة مادياً وبشرياً.

أما في ما يخص إسرائيل، فقد ناقشت الندوة فكرة مدى تبنِّيها استراتيجية الحرب الاستباقية والحرب الوقائية، كما الولايات المتحدة، وهي قادرة على خلق المسوِّغات والأحداث واستغلالها لشن الحرب بحجة الدفاع عن أمنها الوطني، ونجحت في تصوير إيران على أنها خطر، ليس فقط على الأمن القومي الإسرائيلي، بل على الأمن والاستقرار الإقليمي والعالمي، ووصل نجاحها إلى ما هو أبعد من ذلك، عندما دفعت البوصلة لبعض الأنظمة العربية للتأشير على أنَّ إيران هي التهديد الرئيسي للأمن القومي العربي، وبذلك لفتت الانتباه عن تهديدها المباشر لدول الجوار العربي، وبناء على ما تمتلكه إسرائيل من إمكانات ومساندة أمريكية وما تسعى إليه من أهداف يمكن القول: إنها تمتلك إرادة الحرب وتحتفظ بزمام المبادرة، وإن مسوِّغاتها لشن الحرب جاهزة، وهي تستعد لهذه الحرب وتحضِّر لها، وأصبحت الحرب في منظورها مطلباً حيوياً لإنقاذ سمعة مؤسستها العسكرية، إلا أنها قبل ذلك تسعى لعدة أمور مهمة:

١- محاولة توريط من ينوب عنها في هذه الحرب، والمرشح الأفضل هو الولايات المتحدة وحلفاؤها العرب.
٢- إضعاف قوى الممانعة والانفراد بها.
٣- تقليل كلفة الحرب مادياً ومعنوياً وبشرياً لأدنى حدٍّ ممكن.

وأما إيران فقد ناقشت الندوة مدى امتلاكها لمقومات وإمكانات الرد الفعال وإرادة الحرب الدفاعية، حيث إنها لن تكون البادئة بشن الحرب لأمور تتعلق بإمكاناتها، بالإضافة إلى صعوبات البيئة الإقليمية والدولية وما تمتلكه كل من أمريكا وإسرائيل من قدرات ردع مختلفة، وهذا يفقد إيران زمام المبادرة، إلا أنها قادرة على ردة فعل قوية تخشاها أمريكا وإسرائيل والغرب، إلا أن ردة الفعل القوية المتوقعة ستكون باتجاه دول الخليج خاصة فيما

إذا ساندت أي عدوان أمريكي، وأما الدول العربية فقد أكدت الندوة أن لديها إمكانات كبيرة غير مستغلة، ولديها المسوِّغات المشروعة لشن حرب تحريرية ضد الاحتلال الإسرائيلي، ولكنها تفتقر لمشروع عربي موحد، وبالتالي تفتقر لإرادة القتال وشن الحرب.

وناقشت الندوة تداعيات أي حرب قادمة في الشرق الأوسط، وتم التأكيد على أنها تعتمد على سيناريوهات الحروب العديدة والأطراف التي قد تشارك فيها، وعمق ومستوى الحرب والنتائج المختلفة- وخاصة العسكرية- التي ستتمخَّض عنها.

وعند مناقشة التوصيات التي يُمكن بثّها لصنّاع القرار العربي والإسلامي، فقد ناقشت الندوة أهمية فهم لماذا وكيف تحدث الحروب في المنطقة؟ ولماذا هي حروب مستدامة لا تنتهي؟ وتم نقاش نظرية أنَّ من يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على العالم، وأنَّ العالم ما زال في طريقه إلى الإقرار بأنَّ القضية الفلسطينية هي جوهر قضايا المنطقة، وإنَّه بسبب كثرة القوى الخارجية الهارعة إلى المنطقة، وبسبب تعدد القوى البازغة فيها، وبسبب الاحتلال والعدوان الإسرائيلي، فقد هجرت الثقة والنوايا الحسنة المنطقة وتركتها على حافة حروب مستمرة، وأصبحت القوة لا تضمن الأمان لصاحبها، وأصبح الضعف لا يؤدي بصاحبه إلى الهلاك!! واعتادت المنطقة على الحروب العاجزة عن الحسم، ولم تنجح أي حرب إلا بزرع البذور السريعة النمو تمهيداً للحرب التالية.

وأكدت الندوة أنَّ اقتراح أي توصيات استراتيجية وغيرها لما يمكن أن يقوم به صنّاع القرار العربي والإسلامي المعنيّون بالاستعدادات والأعمال والتعاملات السياسية والإعلامية قبل وخلال وبعد حرب أو حروب متوقعة ونتائجها، أمر في غاية التعقيد والتشتيت والحساسية، ويحتاج إلى دراسات وخطط استراتيجية وتكتيكية وتنفيذية مدعمة ببرامج ومشاريع فعالة وعملية يعمل عليها فريق متكامل من الممارسين والمنظِّرين لمراحل متلاحقة طويلة، وأنه في حالة شنّ عدوان إسرائيلي جديد على غزة فإن هذه الاستعدادات لا بد أن تنطلق من رؤية واستراتيجية لمقاومة شاملة، بما فيها المقاومة السياسية والإعلامية القادرة على التصدي للاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على شن المعارك الكثيرة المتنوِّعة للتَّخلص من جماعة أو مجتمع فلسطيني أو دولة عربية أو إسلامية أو تحالف إقليمي أو دولي، أو السيطرة عليها، أو إضعافها لئلا تقف أمام تحقيق مخططاتهم العدوانية التوسعية، ومن هذه المنطلقات قد تشن إسرائيل حرباً جديدة على قطاع غزة وحماس.

وتنبِّه هذه الورقة إلى أهمية الانتباه إلى التوقيت السياسي والأهداف الإسرائيلية لمثل هذه الحرب، ومن ثم تعرض لجملة من منطلقات الاستعدادات السياسية والإعلامية في مواجهة حرب إسرائيلية جديدة على غزة.

وناقشت الندوة النشاطات السياسية والعسكرية الإسرائيلية والأمريكية التي يُمكن أن يُستنتج منها بأن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، تعملان على إعداد القوات العسكرية والمجهود الحربي ومسرح العمليات، وكسب التأييد الدولي لشنِّ حرب على إيران لتدمير قدراتها النووية، في حال فشل كافة الجهود الدبلوماسية والضغوط الدولية لمنع إيران من الحصول على السلاح النووي.

وقد يكون ذلك على شكل حرب خاطفة على إيران وحلفائها وتلعب فيها إسرائيل دور البطولة، ومن المحتمل استخدام اسلحة نووية تكتيكية في مرحلة لاحقة من الحرب، وقد تؤدي هذه الاستعدادات والتهديدات بالحرب إلى تحقيق الأهداف السياسية دون مباشرة الحرب ابتداءً.

في المقابل، رأت الندوة أن إيران متأكدة من أنها مستهدفة من إسرائيل والولايات المتحدة، وأنَّ استمرارها في برنامجها النووي يُشعر تلك الدول بالخوف على مصالحها، لذلك فهي مستمرة في تطوير قدراتها العسكرية وخاصة الصاروخية لردع أي خطر من الممكن أن تواجهه.

وكان واضحاً من النقاش أنه من الصعب الجزم بأن الولايات المتحدة وإسرائيل قادرتان على تنفيذ خطة الهجوم على إيران، وتحمّل الخسائر المحتملة من الرد الإيراني وحلفاء إيران في المنطقة، إلا إذا ضمنتا تحييد ما يزيد على ٨٠٪ من القدرة الصاروخية المنطلقة من كل من إيران وسوريا ولبنان وغزة.

وناقشت الندوة نتائج الحرب القادمة وتداعياتها في حال نجاح الهجوم الأمريكي والإسرائيلي على إيران وحلفائها، وكذلك في حال فشلهما.

الفصل الأول

البيئة الحاكمة لتحركات الأطراف
- سياسياً وأمنياً- تجاه الحرب

- الورقة الأولى

البيئة الحاكمة لتحركات
الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والصين

- الورقة الثانية

البيئة الحاكمة لتحركات إسرائيل

- الورقة الثالثة

البيئة الحاكمة لتحركات الدول العربية
«الاعتدال والممانعة»، وإيران وتركيا

- الورقة الرابعة

البيئة الحاكمة لتحركات المقاومة
الفلسطينية واللبنانية

الورقة الأولى

البيئة الحاكمة لتحركات الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والصين

د. رائد نعيرات*

إنَّ هدف الدراسات السياسية المستقبلية هو الوصول إلى رسم خارطة شاملة لطبيعة المتغيرات السياسية والعامة وعلاقاتها السببية، ضمن منظومة تتيح للباحث إمكانية ضمّ مسارات هذه المتغيرات وتطوراتها الحالية والمستقبلية، ومن ذلك الوقوف على طبيعة المحدِّدات المؤثرة في هذه المسارات.

ولعلَّ الفائدة الرئيسية للدراسة السياسية المستقبلية تتمثَّل في مساعدتنا في الوصول إلى تصور سليم لموضوع الدراسة، ومحاولة للتنبؤ العلمي بالتطورات المستقبلية؛ فهي دراسة للظاهرة ضمن مختلف محدداتها مشفوعة بحاضرها وماضيها، وطبيعة تطورها واتجاهات هذا التطور.

وتمتاز الدراسات السياسية المستقبلية بالتعقيد غير المقصود، نظراً لكون محددات الظاهرة (موضوع الدراسة) تلعب دوراً مميزاً في طبيعة نموها الحالي والمستقبلي، ومن المهم الوقوف على الديناميكيات المحركة لهذه الظاهرة.

وكذلك فإنَّ التعقيد يكمن في طبيعة الفاعلين المؤثرين، حيث إنَّه لا يمكن إجراء دراسة مستقبلية حول ظاهرة معينه دون الأخذ بمصالح وأهداف الأطراف المؤثرة والمتأثرة بتلك الظاهرة، فأحياناً تكون هناك مصلحة لطرف معين في تطور ما مرغوب في الظاهرة، إلا أنَّ المثبط أو المانع لحدوثها هو ليس ما يجنيه من منافع مقارنة بما قد يجنيه الخصم من منافع.

وستحاول هذه الدراسة الوقوف على المحددات المؤثرة في مواقف الأطراف المعنية في الشرق الأوسط، وتحرُّكاتها، والبيئة التي تحكم هذه المواقف والتحركات باتجاه الدفع أو عدم السماح باندلاع حرب في المنطقة.

ومن هنا فإنَّ الهدف العام لهذه الورقة هو الوقوف على مدى إمكانية اندلاع حرب

* أستاذ العلوم السياسية- جامعة النجاح/ نابلس.

جديدة في الشرق الأوسط، والبيئة التي ستتحكم في توجهات وسياسات وتكتلات الدول العظمى التالية: الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، وروسيا والصين.

تحليل المشكلة

إنَّ تحليل المشكلة (إمكانات نشوب حرب جديدة في الشرق الأوسط وأدوار التكتلات والدول العظمى اتجاهها) يتطلب من محلل السياسات الوقوف على ثلاثة محاور أساسية، ثم معالجة سياسات أطراف الصراع في الشرق الأوسط بناء على هذه البيئة، وهذه المحاور هي البيئة السياسية والاستراتيجية في الشرق الأوسط، والبيئة السياسية والاستراتيجية الدولية، وطبيعة الحرب المتوقعة.

أولاً: البيئة السياسية والاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط

تتميز البيئة الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط في هذه الأيام باحتوائها على مجموعة من العناصر التي يمكن تبويبها على النحو التالي:

١. تعدد مشاريع النفوذ الإقليمية الفاعلة في المنطقة وتنوّعها، وتأثيراتها المتداخلة والمتضاربة، وهذه المشاريع هي:
   - المشروع الإسرائيلي- الأمريكي.
   - المشروع الإيراني.
   - المشروع التركي.

٢. اصطفاف التكتلات والدول الغربية الفاعلة في المنطقة في محورين: محور الممانعة ومحور الاعتدال.

٣. فاعلية قوى المقاومة والرفض العلني في التأثير المحلي والإقليمي: إيران، وحزب الله، وحماس، والعراق، وأفغانستان.

٤. وجود الزخم الجماهيري واقتداره، أو حتى شعوره بالقدرة على التغيير، مقابل الضعف الذي يعتري بعض الأنظمة الرسمية في المنطقة وعلى رأسها مصر، والنظام الرسمي في العراق.

٥. ضعف المؤسسات الرسمية العربية (جامعة الدول العربية، مجلس التعاون الخليجي...)، أو على الأقل عدم فاعليتها في التأثير، بما في ذلك قدرتها على احتواء حرب قادمة.

ثانياً: البيئة السياسية والاستراتيجية الدولية

١. انشغال الدول بالمشاكل الدولية (الانهيارات الاقتصادية، والبطالة والكساد... إلخ).
٢. استمرار التنافس الدولي وتجدده (الصين، وروسيا، والولايات المتحدة الأمريكية).
٣. استمرار فاعلية القاعدة واستمرار الجهود الدولية في مكافحة «الإرهاب».
٤. تطور التوجهات الدولية للإدارات الحاكمة للتأثير في المنطقة وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

ثالثاً: طبيعة الحرب المتوقعة في الشرق الأوسط

١. تنوع أشكال الحرب المتوقعة، ومحاورها، ومناطقها: إيران، ولبنان، وغزة، وسوريا.
٢. الأهداف المتوخّاة، والنتائج المتوقَّعة للأطراف من حرب قادمة في الشرق الأوسط (إسرائيل – لبنان – غزة – أمريكا – العراق- أفغانستان).
٣. دروس الحروب السابقة.
٤. مدى تأثير أي حرب قادمة في عملية السلام والمشاريع في المنطقة.

المشاريع الفاعلة في الشرق الأوسط

١- المشروع الإسرائيلي الأمريكي

إنَّ الهدف العام للمشروع الإسرائيلي- الأمريكي هو جَعْل إسرائيل دولة مركزية في المنطقة، حيث جعلت أمريكا من هذا المشروع الأمريكي- الإسرائيلي مشروعاً كونياً.

وصلب هذا المشروع يدور حول عملية السلام، والازدهار والنمو السياسي (دمقرطة الأنظمة كما ساد في بعض السنوات)، إلا أنه لا يمكن اليوم الحديث عن مؤشرات نجاح هذا المشروع، لأسباب متعددة، فعملية السلام- وبعد مضي ما يقارب العشرين عاماً من المفاوضات- عادت إلى ما قبل نقطة الصفر، بالبحث مجدداً عن إطلاق عملية المفاوضات، أما دمقرطة الأنظمة فقد اصطدمت بجدار الفشل، حيث إن السياسات الأمريكية لم تستطع تحمُّل أعباء التحول الديمقراطي في المنطقة، وتقبُّل نماذج حكم تأتي بخصوم الولايات المتحدة إلى سدة الحكم، ومع عدم الترويج، لذلك يزداد اضطراب المشروع الأمريكي في المنطقة بفشلها في تحقيق سلام أو ديمقراطية في المنطقة وتداخلها ببعضها.

٢- المشروع الإيراني

على النقيض من المشروع الأمريكي- الإسرائيلي يأتي المشروع الإيراني في المنطقة، ورغم عدم قدرة المشروع الإيراني على التعايش مع المنطقة أيدولوجيا، إلا أنَّه ما زال قادراً على البقاء نتيجة لتحالفاته مع قوى الرفض في المنطقة، واحتضانه مشروع المقاومة[١]، وعند النظر إلى مستوى نجاح هذا المشروع نجد أنَّ ما يواجهه المشروع الإيراني من صعوبات أكثر ممّا يبدو من بوادر نجاحاته، نتيجة تبنيه الأيدولوجيا الشيعية، والموقف الجماهيري والشعبي العربي السلبي منها، وبسبب الرفض الرسمي العربي للدور الإيراني لأسباب متعددة.

لكنَّ احتضان المشروع الإيراني للمقاومة يمنح هذا المشروع بُعداً جماهيرياً داعماً.

٣- المشروع التركي

أما المشروع التركي في المنطقة فهو في موقع الوسط بين المشروعين السابقين[٢]، فالمشروع التركي له قابلية جماهيرية عربية عالية، ولديه توجهات داعمة لقوى المقاومة، وهو غير مصنَّف دولياً ضمن دعم القوى «الشريرة»، وبالتالي فإنَّ قبول المشروع التركي، وإمكانية تطوره تُعدُّ من القضايا قريبة التحقق الذي يمثل بالنسبة للقوى الدولية بديلاً للمشروع الإيراني في المنطقة.

الانقسام العربي بين محوري «الاعتدال» و«الممانعة»

من العوامل الفاعلة في بيئة الشرق الأوسط، اصطفاف التكتلات والدول العربية الفاعلة في الصراع العربي- الإسرائيلي في محورين، حيث يتشكل ما بات يعرف بمحور «الاعتدال»، ويتكوَّن من مصر والسعودية والأردن والسلطة الفلسطينية، ويحظى بدعم من دول أخرى.

وكذلك ما بات يعرف أيضاً بمحور «الممانعة»، ويضمّ كلاً من: سوريا وحماس وحزب الله متحالفين في ذلك مع إيران، مدعومين في بعض الأحيان من آخرين، مثل: تركيا وقطر.

ويجدر الانتباه إلى أن فهم ديناميكية المحورين يجب أن تنطلق من الرؤية السياسية للمحورين في التعامل مع التطورات الموجودة على الأرض.

فعلى الرغم من أن محوري الاعتدال والممانعة يختلفان في رؤية المشروع السياسي الغربي ودوره في قضية الشرق الأوسط، إلا أنهما يتفقان بشكل أو بآخر على ضرورة إبقاء

الباب مفتوحاً في التعامل مع أي أفكار يمكن تداولها مع أمريكا، والمثال الأبرز لذلك التطورات في العلاقة السورية- الأمريكية، إلى جانب ما أفصحت عنه الحكومة الفلسطينية في قطاع غزة عن استعدادها فتح حوار مباشر مع واشنطن.

ومن خلال القراءة المعمقة للطرح والرؤية السياسية لمحوري الاعتدال والممانعة، نرى أنهما يتجهان نحو الهدوء أكثر من اتجاههما إلى التوتر في الفترة المقبلة، وهذا أحد مؤشرات عدم إمكانية اندلاع حرب جديدة في الشرق الأوسط.

فاعلية قوى الرفض العلني

أثبتت الأحداث والمؤشرات أنه لا يمكن تجاوز ردود فعل وتأثير الرباعية المنظمة المكونة من (إيران وسوريا)، (حزب الله وحماس)، في حال استهداف أي منها، وهكذا فإن اندلاع أي حرب في المنطقة لن يكون إدلاعاً لحرب جزئية، بل ستدخل فيها الرباعية كلها لمساندة بعضها بعضاً، وإذا ما كان المطلوب حرباً جزئية فإنه من الصعب الحديث عن فرص تحقيق نتائج لحرب بهذه الصورة[٣].

ومن هنا فإن عنصر المواجهة الشاملة المباشرة، والقدرة على استهداف مصالح إسرائيلية أو أمريكية في المنطقة يعظّم من الخسائر المختلفة لأطراف الحرب وحلفائهم.

تأثير الزخم الجماهيري العربي الإسلامي

يتميز الزخم الجماهيري العربي الإسلامي بأنه يرفض السياسة الأمريكية والإسرائيلية، وأيّ حرب ستزيد من حدة هذا الرفض، وفي حال نشوب أي حرب في المنطقة فإن ذلك سيؤدي **أولا** إلى زيادة التأييد الجماهيري لتيار المتشددين في المنطقة، وبالذات تنظيم القاعدة، **وثانياً** إلى زيادة الزخم الجماهيري الكوني، والذي برز بشكل كبير بعد الحرب على غزة، وسيزيد من ضغطه على السياسة العالمية، وسيزيد خسائر إسرائيل في رأسمالها الجماهيري العالمي.

ضعف المؤسسات الرسمية العربية

فالمؤسسات الرسمية العربية ليس لديها القدرة على احتواء الأزمات والحروب، فأول انعكاسات الأزمة ستكون داخل المؤسسات الرسمية الإقليمية، وبالذات جامعة الدول العربية، وهذا ما أكدته الحرب على غزة حيث شهدنا انفصام الموقف داخل جامعة الدول العربية.

إن التحليل الموضوعي للعناصر السابقة يقود إلى أن اندلاع حرب في المنطقة، لن يقود إلى تحقيق الهدف العام للمشروع الإسرائيلي أو الأمريكي، بل سيخلق له مزيداً من الرفض والعقبات.

البيئة السياسية الاستراتيجية الدولية

إنَّ البحث عن إمكانية اندلاع الحرب في الشرق الأوسط، يدعونا لاستقراء توجهات التكتلات والدول العظمى، والوقوف على طبيعة الإشكاليات التي تواجهها هذه الدول الفاعلة، ومدى تحقيق الحرب في الشرق الأوسط لمكاسب من شأنها أن تساعد في إيجاد حلول لهذه المشاكل، أو العكس: تحقيق خسائر، أو على الأقل مضاعفة هذه المشاكل لهذه الدول والتكتلات العظمى.

ولذا فإننا نجد أن المشكلة العالمية اليوم تكمن في الأزمة الاقتصادية العالمية، سواء في الولايات المتحدة أو في أوروبا بشكل أساسي[٤]، وعند تحليل عناصر هذه الأزمة، نجد أنها اختلفت عن باقي الأزمات العالمية، فإذا كانت الأزمات الاقتصادية العالمية تاريخياً سبباً لاندلاع الحروب، فإننا نجد في هذه الأزمة طبيعة مغايرة، فالأزمة الاقتصادية العالمية اليوم أزمة اقتصاديات داخلية تمس الفلسفة والنظرية الاقتصادية، بخلاف الأزمات السابقة التي كانت تختص في الحصول على المصادر والتوزيع، وبالتالي فإن طبيعة هذه الأزمة تتطلب من صنّاع القرار اجتراح الحلول الإبداعية داخلياً، وليس الذهاب إلى الحروب الخارجية، كون الحروب الخارجية قد تضاعف من الأزمة، فالأزمة بطبيعتها تخص الداخل الاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، أما فيما يتعلَّق بالصين وروسيا، فإنَّ الهاجس الاقتصادي الأكبر يكمن في النمو الاقتصادي، الذي يعتمد بشكل كبير على منطقة الشرق الأوسط، وبالتالي فإنَّ اندلاع حرب في المنطقة سيجعل الصين وروسيا من أكثر الدول تأثراً بنتائجها السلبية.

ويضاف إلى هذا طبيعة التنافس الاقتصادي الدولي على القارة الإفريقية ومنطقة الشرق الأوسط، وهو ما يجعل من الاصطفافات العالمية مسألة تعيق اندلاع حرب في المنطقة[٥]، فمن الواضح في السنوات الأخيرة أن الصين وروسيا باتت المنافس الأكبر للسياسات الاقتصادية الغربية في أسواق إفريقيا والشرق الأوسط، وباتت أكثر اعتماداً على نفط الشرق الأوسط، الذي سيكون المتضرر الأكبر في حال اندلاع حرب في المنطقة.

أما الإشكالية الكبرى الأخرى التي باتت تواجه العالم اليوم، وبالذات الولايات المتحدة وأوروبا، فهي الفشل في الحرب على «الإرهاب»، والخسائر الكبيرة في أفغانستان والعراق، واندلاع حرب في منطقة الشرق الأوسط سيعمل على زيادة قدرة تنظيم القاعدة وغيرها على استهداف الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وفتح جبهات جديدة للقاعدة للعمل فيها[٦]، وزيادة الدعم الجماهيري لها.

إنَّ دراسة التوجهات العالمية اليوم للتعامل مع الأزمات العالمية تأتي في سياق استخدام القوة الناعمة (Soft power) أكثر من استخدام القوة العسكرية (Hard power) في وقف سياسة الرئيس الأمريكي باراك أوباما، والقائمة أساساً على سياسة منح الفرص، واستخدام القوة الناعمة، كالعقوبات الاقتصادية ...إلخ من أجل إخضاع الخصم أكثر من استخدام القوة العسكرية[٧].

طبيعة الحرب المتوقعة

إنَّ التنبؤ بمواقف الأطراف المعنية اتجاه الحرب متوقعة في الشرق الأوسط، ويعتمد كذلك على طبيعة الحرب وأشكالها ومناطقها ومحاورها، والأهداف المتوخاة والنتائج المتوقعة لأطراف تلك الحرب، ويساعدنا في التحليل، معرفتنا بالدروس التي تمتلكها هذه الأطراف من الحروب الحديثة الحالية والسابقة، ومن هنا تأتي أهمية تفصيل صورة وسيناريوهات هذه الحرب بأشكالها المختلفة:

أولاً: الحرب على الجبهة الإيرانية

إن اندلاع حرب على الجبهة الإيرانية سيأخذ أحد المسارين التاليين: إما الحرب السريعة الخاطفة ذات الاستهداف التكنولوجي عالي الوتيرة، أو أن تمتد هذه الحرب لتتحول إلى حرب كلاسيكية كباقي الحروب في العالم[٨]، وفي الحالة الثانية فإن المشهد السياسي سيحمل مجموعة من عناصر خسارة الولايات المتحدة بوصفها أبرز الفاعلين، ولإسرائيل بوصفها أبرز المتأثرين، فأمريكا تزداد نفقاتها العسكرية على حروبها الخارجية في إيران والعراق وأفغانستان، كذلك فإنَّ حرباً كهذه ستؤدي إلى زعزعة الاستقرار الموجود في دول الخليج العربي، سواء الاستقرار السياسي، أو الاجتماعي الطائفي، أو الديني، كما أنها ستؤدي إلى خلخله في الاقتصاد العالمي، هذا من جهة النتائج السريعة التي قد تحدث ما أن

تندلع الحرب، أما النتائج طويلة المدى فقد تتمثل في التالي:

١. ليس شرطاً أن يؤدي غياب المحور الإيراني في المنطقة إلى تقوية المحور الأمريكي والإسرائيلي فيها، بل قد يحدث اضطراب كبير في التوازن الإقليمي في المنطقة لا يخدم المصالح الأمريكية- الإسرائيلية.

٢. يُتوقع أن يؤدي غياب المحور الإيراني إلى تقوية المشروع التركي الأردوغاني في المنطقة، وقد يؤدي ذلك إلى ظهور محور سني في المنطقة.

وعليه، فقد تهدف أمريكيا وإسرائيل في أي حرب قادمة إلى الحفاظ على المشروع الإيراني، ولكن دون أن تتحول إيران إلى قوة أولى في المنطقة، من خلال حرمانها امتلاك القدرة النووية، وهذا السيناريو يتطلب السير في المفاوضات السلمية مع إيران أكثر من الذهاب إلى حرب غير محسومة النتائج معها.

ثانياً: الحرب على سوريا

يبدو أن سوريا هي الأكثر استهدافاً حال نشوب حرب في المنطقة، للأسباب التالية:

١- إنَّ اشتعال حرب على الجبهة السورية من شأنه أن لا يحقق خسائر كبرى للولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، بل العكس فإنَّ إسرائيل قد تلحق خسارة واضحة بسوريا.

٢- إنَّ خسارة سوريا ستؤدي إلى ضرب قوى مقاومة إسرائيل[٩]، وإضعاف معسكري حماس، وحزب الله.

٣- إنَّ خسارة سوريا قد تؤدي لتنشيط عملية السلام في المنطقة وفق الرؤية الأمريكية الإسرائيلية، ولو من الناحية الشكلية، وتضعف محور الممانعة لصالح محور الاعتدال.

ثالثاً: الحرب على غزة

من المؤكد أنَّ تقويض حكم حماس في غزة يُعدُّ استراتيجية إسرائيلية- أمريكية، وهدفاً دائماً، ولكن عند البحث في التوجهات الإسرائيلية اتجاه شن حرب على القطاع نجد أن هناك مجموعة من الكوابح التي تحول دون ذلك ومن أبرزها:

١- نتائج الحرب السابقة: حيث إنَّه وبالرغم من كل ما تم استخدامه من قوة لإسقاط حكم حماس في غزة، فقد ثبت لإسرائيل أنَّه ليس بالأمر السهل، بل العكس، فالنتائج كانت أكثر تأثيراً على إسرائيل[١٠].

٢- إن طبيعة الملفات التي تسيطر عليها حماس تجعل من العسير التفكير أنها ستُحَلُّ إذا اندلعت حرب على غزة، فشاليط: الجندي الأسير عند حماس قد لا يفرج عنه عبر حرب، وعملية السلام قد تزداد تعقيداً في حالة اندلاع حرب فاشلة جديدة على غزة.

٣- إنَّ النتائج المتوقعة لحرب فاشلة جديدة على غزة لن تغير من معادلات المنطقة كثيراً بالنسبة للإسرائيليين، بل إنَّ التغييرات المتوقعة قد تكون بخلاف ما يتمناه الإسرائيليون والولايات المتحدة.

الخلاصة

إنَّ ما تم تناوله من تحليل لطبيعة البيئة الحاكمة لتحركات الدول العظمى وتكتلاتها اتجاه أي حرب قادمة في المنطقة، والوقوف على إمكانية اندلاع حرب فيها، يقود إلى أن هذه الإمكانية تكاد تكون ضئيلة في المدى المنظور، وذلك لتعارض نتائجها مع ما تتوخاه تلك التكتلات والدول المذكورة من نتائج، ولكن سياقات نشوب الحروب أحياناً ليس شرطاً أن تكون حروب نتائج، فهناك نوع من الحروب التي يطلق عليها «حروب اللاحل»، فليس شرطاً أن تكون الحروب حروباً مقدَّرة النتائج، بل يمكن أن تكون حروباً تُشنُّ لتعقيد الأوضاع في ظل ضبابية وغياب المشاريع المعاكسة، أو عدم قدرة المشاريع المعاكسة على السير قُدماً، وهذا ما قد يحدث في منطقة الشرق الأوسط إذا أخذ بالحسبان ضبابية وعدم اقتدار مشروع العملية السلمية، أو مشروع تضامن عربي ذي رؤية لدور فعّال في المنطقة.

الهوامش

١. منير شفيق، التحالف الثلاثي والتوازنات الجديدة في المنطقة، تقدير موقف، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة مارس٢٠١٠.

٢. محمد نور الدين، التوجه التركي في العهد الأميركي الجديد، إلى أين؟، تقدير موقف، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة أبريل٢٠١٠.

٣. طول حرب مستقبلية بين إيران وإسرائيل وشروط انتهائها، انظر:

http://www.psp.org.lb/Default.aspx?tabid=107&articleType=ArticleView&articleId=36694

٤. نظرة عامة على تداعيات الأزمة الاقتصادية وأثرها في كافة بقاع العالم، و الجهود المبذولة للإنعاش، أوراق مقدمه لمؤتمر إثراء المستقبل الاقتصادي للشرق الأوسط، الدوحة مايو ٢٠١٠.

٥. علي حسين باكير، التنافس الدولي في أفريقيا..الدوافع والأهداف والسيناريوهات المستقبلية، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة٢٠٠٩.

٦. انظر: http://almalafpress.net/?d=143&id=105394.

٧. علاء بيومي، الولايات المتحدة بين القوّة الصّلبة والقوّة الناعمة، مركز الجزيرة للدراسات، الطبعة الأولى، الدوحة ٢٠٠٨.

٨. طول حرب مستقبلية بين إيران وإسرائيل وشروط انتهائها، انظر:

http://www.psp.org.lb/Default.aspx?tabid=107&articleType=ArticleView&articleId=36694.

٩. حسن خليل، سيناريوهات ومواقف الحرب المقبلة، جريدة الأخبار اللبنانية، عدد ٢٤ أيار ٢٠١٠.

١٠. سركيس أبو زيد، ما بعد العدوان على غزة، العربية نت، انظر:

http://www.alarabiya.net/views/2009/01/12/64032.html.

الورقة الثانية

البيئة الحاكمة لتحركات إسرائيل

أ. عبد الحكيم مفيد*

إنَّ التساؤل عن إمكانيَّة اندلاع حرب هو تساؤل فيه كثير من الغرابة، لأنَّ مثل هذا التساؤل يفترض أنَّه لا حرب ناشبة حالياً، فالحروب ما زالت قائمة ولم تتوقف، على الأقل منذ بداية التسعينيات.

فالحرب التي كانت أعلنتها الولايات المتحدة على العراق في عهد جورج بوش الأب، تعدُّ في تقديرنا من أبرز الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة والغرب منذ الهجمة الاستعمارية على المنطقة بعد سايكس بيكو.

وتعود أهمية هذه الحرب من كونها جاءت لتشكيل المنطقة من جديد، ليس على مستوى الأنظمة فحسب، بل الجماهير أيضاً، وقد ترتب عليها احتلال العراق، فلماذا نسأل السؤال التقليدي: هل ستنشب الحرب وهي ما زالت قائمة، وتنتقل من مكان إلى آخر في المنطقة بأشكال مختلفة؟ هذا السؤال مهم للغاية، لأنَّ الإجابة عنه تستدعي أن نعرِّف ما هي الحرب؟ فهل حصار غزة مثلاً، هو حرب قائمة أم حرب متوقَّعَة الحدوث؟

المسألة الأخرى التي تستدعي الإشارة إليها، ترتبط بالإعلام وكيفية تغطيته الأحداث المحيطة بنا، فالحديث عن إمكانيَّة اندلاع حرب مفتَرَضة يرتبط بمجمل التغطية الإعلامية، من حيث أسلوبها وحجمها، وبالرغم من أننا هنا في مجلس علمي أكاديمي، فإننا لن ننكر أننا أيضاً منشغلون في الحرب المفترضة نتيجة «انشغال الإعلام» بها، وهنا تحديداً لا بد من الإشارة إلى أنَّ الانشغال الإعلامي في الحرب هو مسألة دائمة، وبإمكاننا أن نَعدّ كم عدد المرات التي ضربت بها إيران، أو نشبت فيها حرب على الجبهة السورية، وأمور أخرى.

من خلال الكشوفات الصحفية الكبيرة للصحف الأمريكية الكبيرة، يتبين لنا يوماً بعد يوم، كم هي مجندة، بل ومعادية، وأنَّه لا يمكن الوثوق بكلامها وكشوفاتها التي تبين أنها كاذبة، فقد تم توظيف المادة الإعلامية بشكل مقصود من قبل جهات سياسية، ولهذا فإن

* باحث ومحلل سياسي/ فلسطين ١٩٤٨.

الاعتماد على الكلام الوارد في وسائل الإعلام في تقديرنا غير مجدٍ، بعد أن ثبتت عدم صحته في غالبية الأحيان، وبإمكان كل واحد منا أن يبحث عن الحرب التي اشتعلت على الأقل في السنوات العشر الأخيرة في أماكن كثيرة، لكنها لم تشتعل، فيما أبيدت دول وشعوب، وما زلنا نبحث عن الحرب التي ستشتعل.

إنَّ أي تقييم أو استشراف لحرب مستقبلية قد تنشب أو لا تنشب يجب أن يكون أكثر عمقاً وجدية، ويعتمد في التحليل على أبعاد أكثر عمقاً من تلك التي تم اعتمادها حتى الآن، وتحديداً عبر وسائل الإعلام.

وينبغي علينا أن لا نأخذ أي تحليلات، من تلك التي ترد في وسائل الإعلام، على محمل من الجد، ليس فقط لأننا لا نريد، بل لأن الإعلام كان وما زال شريكاً في التضليل، وسيبقى كذلك في المستقبل.

إنَّ أي تقييم لمسألة اندلاع الحرب يجب أن تنطلق من فهم أطراف الحرب المفترضة، وهي: إسرائيل وإيران وحزب الله وحماس وسوريا والولايات المتحدة، أما العالم العربي فهو ليس مؤثراً فاعلاً في الحرب، ففي أحسن الحالات يستطيع أن يلوذ بالصمت على ممارسات عدوانية، أو يسوِّغها سراً، لكنه في حالته الآن لا يملك أي تأثير حقيقي في مسألة نشوب حرب أو عدم نشوبها.

إنَّ أيَّ إجابة بالنيابة عن أطراف أي حرب مفترضة حول رغبتها في نشوب حرب، هي إجابة مرتبطة بما يمكن أن يحققه كل طرف من أهداف ومصالح في هذه الحرب، والحالة التي سيخرج بها منها.

وفي تقديري فإنَّ الأطراف العربية والإسلامية الأربعة ليس لديها نية لخوض حرب، وكل طرف له أسبابه الخاصة به.

حـــزب الله

إنّ حزب الله غير معني بخوض حرب مع إسرائيل، لأنَّه لا يرغب في تكرار سيناريو حرب عام ٢٠٠٦، للأسباب التالية:

- إلى جانب ما حققه من إنجازات على المستوى العربي والإسلامي، إلا أنَّ حزب الله خرج خاسراً على المستوى المحلي، وهو- في تقديرنا- ما دفعه للدخول إلى حكومة الحريري.

- الحزب طرف لا يلعب وحده في هذه الحرب، فقرار دخول حزب الله في أي حرب مرتبط بقوى خارج لبنان هي إيران وسوريا، وان كانت إيران هي القوة الأكثر تأثيراً على حزب الله.

من هذا المنظور يمكن أن نعدَّ حزب الله «أداة إقليمية»، فعلى الرغم من كل ما يتمتع به حزب الله من قدرات إلا أنه لا يمتلك قرار الحرب إطلاقاً، وهو اليوم مكبل أكثر بالحالة المحلية بعد أن دخل الائتلاف الحكومي، كما أن التقارب الذي حصل بين إيران والسعودية يقلل من قدرة حزب الله في التأثير الإقليمي، وخاصة فيما يخص الحرب التي ندرس احتمال نشوبها.

سوريا

أما فيما يتعلَّق بسوريا، فإنَّه بات من الواضح أن سوريا معنية في أحسن الحالات باسترجاع الجولان المحتل عن طريق المفاوضات، أما أن تشن هي الحرب وتعلنها فلا نعتقد أن هذا مما تفكر فيه سوريا، للأسباب التالية:

- لأن الحالة القائمة في المنطقة تخدم أهداف سوريا ومصالحها أكثر من الدخول في حرب، أو حتى تصعيد من النوع المتوسط.
- من جهة أخرى فإن سوريا غير قادرة على خوض حرب ضد إسرائيل، كما لم تقم بأي رد فعل بعد أن قامت إسرائيل بقصف المنشآت النووية السورية، وهي لم تدخل في أي مواجهة مع إسرائيل منذ العام ١٩٧٣، حتى عندما كانت قواتها موجودة في لبنان على مدار أكثر من ٣٠ عاماً.
- الحالة الداخلية السورية لا تسمح لها بذلك، فسوريا تفضل أن تحافظ على الحالة القائمة، وتكتفي بلقب «دولة ممانعة» على الدخول في حرب لا تستطيع حسم نتائجها، ولتصبح «دولة بطولة».
- ارتباط سوريا بإيران والعمق العربي، وإن كانت بقدر أقل من ارتباط حزب الله، فهي بخلاف حزب الله؛ دولة ملتزمة بقرارات واتفاقيات دولية يجعلها تتصرف على نحو مختلف عن إيران، كما أن ارتباطها بالعمق العربي وقبولها للمبادرة العربية من العام ٢٠٠٢ تجعلها أبعد عن التفكير في منطق الحرب، فتسليمها بمعطيات الواقع، استدعاها

إلى فتح حوار مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، كما أن النظام العالمي يجعلها كدولة أكثر عرضة للابتزاز، وأكثر استعداداً للتعاطي مع الواقع؛ أي قبوله.

- منذ عام ١٩٧٣ لم يحدث أي احتكاك على الجبهة السورية- الإسرائيلية، فحالة اللاحرب واللاسلم ما زالت هي المسيطرة، وهي تخدم السوريين حالياً، وكذلك إسرائيل، فليس هناك ما يبرر الحرب على هذه الجبهة، وليس هناك ما يدفع في اتجاهها على الأقل من الجانب السوري ونؤكد هنا أن الجانب الإسرائيلي غير معني بتاتاً بخرق التوازن على الجبهة السورية، فمن حين لآخر يتحدث السوريون والإسرائيليون عن تسوية سياسة، ثم تفشل المحادثات، وترتفع حالة التوتر، ثم تختفي، وهكذا.

جبهة غـزة

أما جبهة غزة، فهي من أهم الجبهات التي تشغل إسرائيل حالياً، ولا يخفي على أحد الحالة السيئة التي تعيشها غزة في السنوات الأخيرة، وتحديداً منذ الحرب الأخيرة عليها في العام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩.

في هذه البيئة؛ فإن كل ما يمكن أن تفعله حماس بحسب المعطيات الماثلة على أرض الواقع هو أن تصمد، أما إعلان حرب على إسرائيل، كما قد يسميها البعض، فإنَّ التسمية لا تجوز من أساسها، فحماس لا يمكنها ذلك؛ إذ إنها لا تملك أي مقوم من تلك التي تكون بيد من يبادر لإعلان الحرب، ولا تستطيع التحكم بأي من شروط هذه الحرب، لا الجغرافيا ولا السلاح ولا مقومات الصمود الأخرى، فضلاً عن أنها ما زالت محاصرة.

وعليه؛ فإن أفضل وضع يمكن أن تتبنّاه حماس وحكومتها هو المحافظة على الجبهة الداخلية من الانهيار بالحد الأدنى من الشروط، مع حلمها الدائم بفكّ الحصار، فالحرب ليست في حساباتها، غير أنه يمكن أن تُفرض عليها فقط.

الجبهة العربية الإسلامية الرابعة (إيران)

هي بلا شك اللغز المحير في المعادلة، ففي العادة عندما يتم الحديث عن حرب مفترضة قد تنشب فإن إيران- وبحسب كل التحليلات والمقومات- هي لاعب مركزي فيها، بل هي اللاعب المركزي على الأقل كما تبدو حالة التوتر الأخيرة بين إيران والغرب، وسأسمح لنفسي هنا أن أثير عدداً من التساؤلات حول إيران؛ وهي أسئلة لم تتم الإجابة عنها حتى

الآن، وهي أسئلة مهمة لفهم مكانة إيران ودورها الإقليمي، وأكثرها إثارة هو: هل تشكل إيران تهديداً استراتيجياً على المصالح الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة؟ علماً بأن هذا السؤال في نظر البعض محسوم سلفاً، وأنَّه لا حاجة لطرحه، فإجابته بالنفي معروفة.

ستبادر إيران بالحرب في حالة كانت هذه الحرب مع إحدى جاراتها فقط، أو إذا كانت الحالة الداخلية في إيران خطيرة إلى الحد الذي تهدد به هيمنة السلطة الحاكمة.

إيران جزء من حرب في دولتين- بشكل مباشر أو غير مباشر- هما العراق وأفغانستان، ويتفاوت التدخل أو الموقف الإيراني في الحالتين، سواء من خلال التسهيل في احتلال واحدة (أفغانستان) كما كان الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي قد قال: «لولا إيران لما احتلت أمريكا أفغانستان»، ولا يخفى على أحد ما قامت وما زالت تقوم به إيران في العراق، ولكن بالرغم من ذلك فإني أعتقد بأن احتمال أن تبادر إيران إلى حرب ضد إسرائيل يؤول إلى الصفر، مع التأكيد أن العكس غير صحيح، وهذا ما سنأتي عليه لاحقاً.

فليس من مصلحة إيران في وضعها الحالي أن تخوض أي حرب، من أي نوع، لأنها تحتاج إلى «حماية دولية» أو على الأقل تعاطف دولي، في قضية النووي، فأن تبادر إلى شنِّ حرب فهذا يعني انتحارها، ويعني لغيرها التأكيد على عدوانية إيران، والخوف منها، وهو ما يسوِّغ بعد ذلك اتخاذ موقف اتجاهها يكون أكثر حزماً.

إيران غير معنية بشن حرب ما دامت الحالة العراقية والأفغانية تخدم بشكل واضح هيمنتها ومشروعها، وتحولها إلى قوة إقليمية فاعلة، فالحالة السياسة في الشرق الأوسط كما هي الآن تخدم إيران أكثر مما تخدم غيرها، فلماذا ستشن حرباً استباقية قد تخسر فيها الكثير؟

العاملان الأكثر تأثيراً في احتمال نشوب حرب في المنطقة، هما سياسات إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، فالمبادرة بالحرب بيدهما.

وسأناقش ما إذا كانت إسرائيل والولايات المتحدة معنيتين بشن حرب، أو المبادرة لها، هناك- مؤخراً- من يراهن على وجود خلافات في الخطاب والمواقف بين الإدارة الأمريكية والحكومة الإسرائيلية الحالية بقيادة بنيامين نتنياهو، ونحن نؤكد هنا أنه بالرغم من الخلافات التي قد تبدو من صيغة الخطاب، فإن العلاقة الأمريكية- الإسرائيلية ما زالت قوية ومتينة إلى الحد الذي لا يقف بها ضد مصالح الطرف الآخر.

فلا يتوقع أن يكون هناك أي انسجام تام بين أي حليفين، فخارج منطقة تقاطع المصالح المشتركة قد يكون هناك ما هو مختلف عليه، ويمكن أن يكون مادة خلافية بين حليفين يمتازان بعلاقات متينة للغاية مثل تلك السائدة بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

وفي هذا السياق فإن هناك أهدافاً مشتركة للطرفين: الإسرائيلي والأمريكي، فكلاهما متفق على ضرورة تحقيقها، خدمة لمصالحهم، ويكمن **الأول** في إنهاء حالة المقاومة لنفوذهما في المنطقة، وهو ما يفسر الحرب على لبنان عام ٢٠٠٦ والحرب على غزة عام ٢٠٠٨-٢٠٠٩.

أما **الهدف الثاني**، فيتمثل في إبقاء إسرائيل القوة الأولى في المنطقة والأكثر تأثيراً على الحرب وعلى «السلام»، وهو ما يستدعي ضرب أي حال من شأنها أن تشكل خطراً على الهيمنة الإسرائيلية، وهو ما يفسر الحرب على العراق في وقت سابق، والتهديد بضرب إيران في وقت لاحق؛ التهديد الذي ما يزال قائماً إلى الآن.

وبهذا تمكن السيطرة على مقدرات المنطقة وتحديداً النفط في العالم العربي، وهو هدف أمريكي- إسرائيلي- غربي مشترك، ولا يخفى على كثيرين ما قامت به إسرائيل مؤخراً من نشاطات سرية داخل العراق، استهدفت العلماء والقيادة العراقية والشعب العراقي، من أجل مساعدة الأمريكيين في فرض مشروعهم على العراقيين.

ولتحقيق الهدفين المذكورين أيضاً، فإن تقسيم العالم العربي إلى دويلات وطوائف جزء من مشروع إسرائيلي قديم، انضمت إليه الولايات المتحدة لاحقاً، وكانت إسرائيل قد بدأته لدى أكراد العراق، ثم امتد إلى مسيحيي لبنان، وبعدها بإقامة «دولة جنوب لبنان»، وهناك امتدادات لهذا المشروع في السودان ومصر والعراق.

ولتحقيق الهدفين المذكورين، فإن المشروع الإسرائيلي- الأمريكي يسعى إلى منع قيام أي قوة إقليمية عربية أو إسلامية من شأنها أن تهدد هيمنة المشروع الغربي في المنطقة، ويمكن أن نعدَّ ما يحدث في أفغانستان والعراق جزءاً من هذه السياسة.

ويمكن الإشارة إلى مصالح أخرى مشتركة بين الطرفين أقل أهمية أو أقل حجماً، لكن هذه المصالح المشتركة لا تمنع وجود خلافات، بعضها- في رأينا- جدي للغاية بين الطرفين، مثل الموقف من إيران مثلاً.

الولايات المتحدة الأمريكية الآن غير معنية بأي حرب جديدة، وهي غير معنية بضرب إيران، فالتورط الأمريكي في المنطقة، وتحديداً في العراق وأفغانستان يجعل الولايات المتحدة أقل رغبة في شن أي حرب جديدة، ضد إيران وضد غيرها.

والمأزق الأمريكي والغربي لقوات الناتو يبدو أكثر بروزاً وظهوراً اليوم مما كان عليه في السابق، وهو عامل حاسم في احتمالات اندلاع حرب أخرى غير تلك المندلعة الآن.

فالحرب الثالثة التي ينتظرها كثيرون ترتبط إمكانية اندلاعها أساساً بإسرائيل، كما أعتقد، وليس بالولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا ما نشبت حرب فإن هناك أربع قوى مرشحه لأن تكون جزءً منها ضد إسرائيل (إيران وحماس وحزب الله وسوريا)، وإنَّ آخر ما تفكِّر فيه الولايات المتحدة الآن هو الدخول في حرب إضافية مع كل هذه الجهات، قد تزيد من تورطها، وتهدد هيمنتها كقوة عظمى بعد أن لم تعد القوى العظمى المسيطرة.

وليس لأن الولايات المتحدة غير قادرة على شن حرب على إيران فإنها لن تبادر إلى هكذا حرب، بل لأن العلاقات الأمريكية- الإيرانية، وتقاطع المصالح بينهما يمنع مثل هذا الصدام، كما أن المصالح الغربية في النفط الإيراني يجعل من إمكانية توجيه ضربة لها ضئيلاً للغاية في تقديرنا.

وبالرغم مما يُثار عن رغبة إسرائيل في شن حرب على إيران، فإني أُرجح أن إسرائيل بإمكانها أن تحقق الكثير من أهدافها من دون حرب، طالما كان بالإمكان أن ينوب عنها من يحقق لها أهدافها، مثل أمريكا، والحالة القائمة، والأنظمة العربية، والغرب عامة.

وعليه؛ فليس لأمريكا أي نية بالمبادرة لأي حرب، مع تأكيد أنَّ إيران ليست صديقة أمريكا وليست حليفتها، لكن مصالح مشتركة بين الطرفين تقلل من احتمالات توجيه ضربة أمريكية لإيران.

للإجابة عن هذا التساؤل، يمكننا دراسة مصلحة إسرائيل في شن حرب على إحدى هذه الجبهات: إيران، أو غزة، أو حزب الله، أو سوريا.

لقراءة احتمال قيام إسرائيل بشن حرب، يمكن أن نسرد بعض أهدافها المتوقعة من شنِّ حرب، وهي:

١. الوصول إلى الحل الدائم مع الفلسطينيين بحسب رؤيتها هي.
٢. إعادة هيبتها إثر حربي لبنان وغزة.
٣. تدمير القوة النووية الإيرانية.
٤. مواجهة أزمات داخلية إسرائيلية بصرفها نحو حرب خارجية.

إنَّ إسرائيل واعية للدور الذي تلعبه سوريا، فعلى الرغم من كل ما يقال بشأن سوريا وتقديمها المساعدات لحزب الله، أو مرور الإمدادات إليه من أراضيها، فإن سوريا تنكر ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحالة السياسية في سوريا لا تشكِّل أي خطر على إسرائيل، كما أن حالة اللاسلم واللاحرب السائدة منذ حرب رمضان عام ١٩٧٣ تجعل إسرائيل مطمئنة من جهة سوريا.

ومن تجربة الإسرائيليين، فلقد حدث أن كانت القوات السورية في لبنان وجهاً لوجه مع الجيش الإسرائيلي، لكن هذا لم يدفع السوريين إلى الصدام، كما أن الحدود مع سوريا لم تشهد أي مواجهات، ناهيك عن الموقف السوري الرسمي من المبادرة العربية منذ العام ٢٠٠٢، والذي التزمت به سوريا مع العرب بالمفاوضات بوصفها الخيار الأفضل.

لقد شهدت الجبهة السورية مؤخراً أكثر من حالة توتر، لكن العودة إلى الحالة السائدة بين الطرفين في السنوات العشر الأخيرة تشير إلى أن حالة التوتر ليست جديدة، كما أن الحديث عن مفاوضات ورسائل بين الطرفين تشير إلى أن الحرب ليست ممكنة الحدوث، لا من الجانب السوري ولا من الجانب الإسرائيلي.

فليست هناك أي مصلحة إسرائيلية في شن حرب على سوريا، في الوضع السائد الآن، وأي حرب شاملة تشنها إسرائيل، ستكون ضد مصالحها أولاً.

أما احتمالية حرب إسرائيلية قد تُشنُّ على حزب الله، فإن المسألة كما أتوقع ليست واردة حالياً، لأن حالة الهدوء السائدة اليوم تخدم إسرائيل، وبالذات بعد دخول حزب الله الحكومة اللبنانية، الأمر الذي سيصعِّب على إسرائيل شنَّ مثل هذه الحرب، كما أن التقارب الإيراني- السعودي الذي كان السبب وراء دخول حزب الله إلى الحكومة اللبنانية يجعل من إمكانية شن إسرائيل حرباً أقل احتمالاً.

أما شن حرب إسرائيلية جديدة على غزة، فأؤكد ابتداء أن الملف الأهم للإسرائيليين هو الملف الفلسطيني، كل الملفات الأخرى قد تكون مهمة، لكن الملف الفلسطيني هو الأهم لإسرائيل، فعليه يترتب الحل الدائم الذي تريد إسرائيل الوصول إليه وفق رؤيتها لاتفاقية إعلان المبادئ في أوسلو.

وهنا لا بد من ضرورة فهم الرؤية الإسرائيلية للحل الدائم، فبخلاف ما تم الحديث عنه منذ اتفاقية أوسلو في العام ١٩٩٣ حتى اليوم حول إقامة الدولة الفلسطينية، وعودة اللاجئين، وتقسيم القدس، وتفكيك المستوطنات، فإن رؤية إسرائيل للحل مغايرة تماماً.

فهناك ثوابت لم تَحِدْ عنها إسرائيل، وأعتقد أنها لن تحيد عنها: لا كيان آخر بين البحر والنهر غير إسرائيل، **فهذا ثابت** من ثوابت إسرائيل، وهو ما يتناقض مع ترويج حل «دولتان لشعبين»، على الرغم من التصريحات الصادرة من أكثر من مسؤول إسرائيلي، كان آخرهم رئيس الحكومة الإسرائيلي الحالي بنيامين نتنياهو في خطاب بار أيلان المشهور.

فإسرائيل لن تسمح بقيام أي كيان فلسطيني مستقل من أي نوع بين البحر والنهر، والمفاوضات بالنسبة إليها هي مسألة لكسب الوقت، لعل الزمن يفعل ما لم تفعله الحروب.

و**الثابت الثاني** هو: لا حق عودة للاجئين الفلسطينيين، فحق العودة للفلسطينيين ترى فيه إسرائيل كارثة، وهو يتناقض مبدئياً وجوهرياً مع المشروع الصهيوني.

و**الثابت الثالث** هو أن القدس من وجهة النظر الإسرائيلية هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد، فلا يمكن لإسرائيل أن تقبل بتقسيمها.

و**الثابت الرابع** هو أن المشروع الاستيطاني الصهيوني في الضفة الغربية هو مشروع غير مرشح للتفكيك، وفي أحسن الحالات قد يتم تفكيك بعض المستوطنات الهامشية في العمق الفلسطيني، أما الكتل الاستيطانية الثلاث في منطقة القدس، وبيت لحم، ووسط الضفة الغربية، فقد أصبحت واقعاً لا يمكن تجاوزه، وليس في الحسبان أن يتم التفاوض عليها.

هذه الثوابت هي ثوابت الإجماع الإسرائيلي، وإذا كان هناك خلاف بين اطراف هذا الإجماع فيكمن فقط في لهجة الخطاب.

فإذا كان الملف الفلسطيني هو الأهم للإسرائيليين، فإن الجبهة المرشحة لضربة عسكرية من وجهة نظرنا هي غزة، على الرغم من أن غزة في واقعها الحالي لا تشكل خطراً وجودياً

أو عسكرياً على إسرائيل، وهي في تقديرنا أقل أهمية استراتيجية لإسرائيل من الضفة الغربية، وعليه فهي غير مرشحه للاحتلال من جديد كما يرى البعض.

ولكن حالة غزة حالة معقدة للغاية، فمن جهة لا يمكن الوصول إلى حسم عسكري هناك، ومن جهة أخرى لا يمكن إبقاء الحالة على ما هي عليه، كل ما تم المراهنة عليه في غزة فشل فشلاً ذريعاً: لقاء حماس، والحصار، والحرب.

وتختار إسرائيل حالياً الحصار والضربات النوعية، والتوغل في قطاع غزة، ويستبعد أن تشن حملة عسكرية شاملة من النوع الذي كان في العام ٢٠٠٩، لأسباب داخلية وعملية كذلك، وبالذات بعد تقرير غولدستون.

وأخيراً فإن أكثر لغز محير يتعلق بإمكانية نشوب حرب قادمة، هو إيران، ومن وجهة نظري فلن تبادر إسرائيل إلى توجيه أي ضربة عسكرية لإيران، على الرغم من كل ما تقوله إسرائيل من جانبها في هذا الشأن، أو ما يرد من بعض الجهات.

فليس من مصلحة إسرائيل حالياً، ولا من مصلحة الولايات المتحدة أن يتم توجيه ضربة من أي نوع لإيران.

وتوجيه أي ضربة لإيران يرتبط أكثر بالإرادة الأمريكية، وعلى الرغم من قوة تأثير إسرائيل في القرار الأمريكي، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية حالياً لا تفضل توجيه ضربة لإيران، وتوجيهها من قبل إسرائيل دون العودة للولايات المتحدة قد يخلق الكثير من الخلاف بينهما.

والمسألة الأخرى التي يجب الانتباه إليها ترتبط بالعلاقة الإيرانية- الأمريكية، التي نعتقد أنها علاقة ليست صدامية إذا تجاوزنا التصريحات الإعلامية الملتهبة منذ سنوات طويلة.

فهناك مصالح مشتركة بين الطرفين الآن في المنطقة، وتحديداً في منطقة الخليج، والمصلحة المشتركة الأهم بين الطرفين من وجهة نظري هي ضرورة عدم قيام أي قوة سنّية في المنطقة من شأنها أن تهدد مصالح كل طرف وهيمنته.

إن التعاون الأمريكي- الإيراني في العراق ومن قبله في أفغانستان يؤكد هذا التوجه، وإذا كان البعض لا يعيرهذه المسألة انتباهاً كثيراً، أو يراها مجرد لقاء مصالح بين طرفين، إلا أنها في الحقيقة تشكل عاملاً مهماً في تقييم إمكانية نشوب حرب.

والمسألة المهمة هنا ليست التصريحات الإعلامية، وليست النوايا الأمريكية، بل ما هو قائم على أرض الواقع، فليست هناك أي مواجهة أمريكية- إيرانية، بل هناك تعاون.

وهذه العلاقة- من جهة أخرى- تخيف إسرائيل في إمكانية أن تخسر الأخيرة تحالفها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية لصالح إيران، وهذه مسألة أتوقع أنها واردة في الحسابات الأمريكية على المدى البعيد، حينها قد تصبح إسرائيل عالة على الولايات المتحدة مستقبلاً، وإن كان مثل هذا التوقع يبدو ضعيفاً جداً حالياً.

من المهم أن نؤكد هنا أن مكانة إسرائيل مؤخراً قد ازدادت أهمية بسبب تورط الولايات المتحدة في العراق وفي أفغانستان، لكن أيضاً ارتفعت مكانة إيران لدى الولايات المتحدة، فكون إيران دولة نووية يخلق مشكلة لإسرائيل، ليس فقط في ما تشكله من خطر على قوتها وهيمنتها، بل أيضاً في تحوُّل إيران أكثر فأكثر نحو أمريكا، مما يجعل إسرائيل أقل أهمية نسبياً.

أقدر أنه لا حرب في الأفق على أي من الجبهات الأربع، على الرغم من كل ما يقال عن إمكانية اندلاعها.

فاندلاع حرب إقليمية (وليس حملة عسكرية كما كان في لبنان وغزة) هي مسألة خطيرة، تؤثر في كثير من المؤثِّرين الإقليميين والدوليين، مما يجعل إمكانية اندلاعها ضئيلة.

وليست إسرائيل هي المقرر الوحيد في شن حرب على إيران، فهذه قضية تتداخل فيها قوى عالمية ومصالح إقليمية تصعِّب على إسرائيل شنَّها.

ولكن، هل نفاجأ جميعاً باندلاع حرب في منطقتنا دون أي ظروف ومعطيات كافية؟ إنه احتمال وارد، فهذه المنطقة تلوح فيها نُذُرُ الحرب دائماً في الأفق.

الورقة الثالثة

البيئة الحاكمة لتحركات الدول العربية «الاعتدال والممانعة»، وإيران وتركيا

د. أحمد سعيد نوفل*

تعيش منطقتنا هذه الأيام أجواء توترٍ وحربٍ، وتوقُّع شن إسرائيل لعدوان على لبنان، وسوريا، وقطاع غزة، وحتى إيران.

إنَّ الحروب والصراعات هي السمة الرئيسية في المنطقة منذ أكثر من مائة عام، بسبب مقاومة العرب والفلسطينيين للمشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، واستمرار العدوان الإسرائيلي عليهم.

ومازالت حالة الصراع مستمرة بين العرب والحركة الصهيونية، على الرغم من توقيع اتفاقيات تسوية بين إسرائيل وبعض الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية، مما يثبت أن تلك الاتفاقيات لم تنه حالة الصراع والحروب بين العرب وإسرائيل.

إلا أنه يوجد تفاوت في مواقف الدول العربية من الكيان الصهيوني وإدارة الصراع معه، مما أدى إلى ظهور تسميات متعددة للأقطار العربية في مواجهة إسرائيل، كان آخرها مصطلح: دول الاعتدال ودول الممانعة، كما دخل إلى حلبة الصراع مؤخراً عناصر جديدة ومهمة إلى الجانب العربي، لم تكن موجودة من قبل، وهي إيران وتركيا.

وزاد الحديث في الأشهر الأخيرة عن احتمالات حدوث حرب شاملة في المدى المنظور، خاصة بعد وصول حكومة نتنياهو اليمينية إلى السلطة، وتهديداتها بتوجيه ضربة عسكرية لإيران.

وتعالج هذه الورقة البيئة الحاكمة للدول العربية المعتدلة والممانعة، وكذلك لكل من إيران وتركيا، والمؤثرة على مواقفهم من احتمال حدوث حرب شاملة في المنطقة، وأقتصر في بحثي على ثلاث دول عربية هي: مصر والأردن والسعودية، تمثل دول الاعتدال العربي،

* أستاذ العلوم السياسية- جامعة فيلادلفيا.

بينما لم نجد سوى دولة وحيدة ممانعة هي سوريا، ويضاف إلى دول الممانعة طرف غير عربي هو إيران، وحركات مقاومة ليست بدول هي حزب الله وحماس.

وفي البداية لا بد من الإشارة إلى ثلاث ظواهر لطبيعة الصراع في الشرق الأوسط:

الأولى: على الرغم من احتمال حدوث حرب جديدة، إلا أن العدوان العسكري الإسرائيلي الصهيوني على الفلسطينيين والعرب لم يتوقف منذ بدء الصراع العربي- الإسرائيلي قبل أكثر من قرن، وفي حال حدوث مواجهة عسكرية جديدة، فإنها تدخل ضمن سلسلة من الاعتداءات الإسرائيلية على العرب والفلسطينيين، وأنها ليست المرة الأولى التي تدق فيها إسرائيل طبول الحرب.

الثانية: هناك استعراض للقوة لدى جميع أطراف الصراع، وكأن الحرب ستحدث حتماً، من خلال المناورات العسكرية، والحصول على الأسلحة والصواريخ، والإعلان عن جاهزيتها للحرب القادمة، والتهديد بأن نتائجها ستكون مدمرة على الطرف الآخر.

الثالثة: إسرائيل هي التي تبدأ دائماً بالحرب، لخلق واقع جديد، ولفرض ظروف جديدة في معادلة الصراع، وللخروج من المأزق الذي وصلت إليه عملية التسوية مع الفلسطينيين، وللتخلص من الضغوط الأمريكية والدولية عليها، وكذلك للخروج من الوضع الداخلي لحكومتها والتباين في مواقف حكومة الائتلاف من تلك الضغوطات.

وقبل تحليل البيئة الحاكمة لتحركات الدول العربية المعتدلة والممانعة في الظروف الحالية، لا بد من استعراض طبيعة العلاقات العربية- العربية وتطور مواقفها في الصراع العربي- الإسرائيلي.

المرحلة الأولى

غلب على فترة الخمسينيات والستينيات الخلافات الحادة بين تيارين في الوطن العربي، هما: الدول المحافظة والدول التقدمية.

وتعدّ تلك المرحلة من أخطر المراحل في تاريخ العلاقات العربية- العربية، لأن الدول العربية دخلت في لعبة التحالفات في الحرب الباردة بين المعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة، والمعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفييتي، ولا شك في أن كلا المعسكرين لعبا دوراً مهما في تغذية الخلافات بين الدول العربية.

كما شهدت تلك الفترة قيام تكتلات وأحلاف عسكرية وسياسية، دخلت فيها الدول العربية بعضها ضد بعض، ووصلت إلى درجة الاشتباك المسلح، خلال الحرب التي خاضها الجيش المصري مع الجيش السعودي في اليمن، ومشاركة دول عربية أخرى في تلك الحرب إلى جانب الفريقين.

وانتهت هذه المرحلة بالعدوان الإسرائيلي على الدول العربية (الأردن ومصر وسوريا) في ٥ حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧، التي وحدت مواقف الدول العربية اتجاه العدوان الإسرائيلي في مؤتمر قمة الخرطوم في العام ١٩٦٧.

المرحلة الثانية

مرحلة السبعينيات، وتعدّ بحق من أفضل مراحل العلاقات العربية ـ العربية، بسبب ما حدث فيها من تقارب وتعاون بين الدول العربية، إلى حد استعمال سلاح النفط العربي لأول مرة، لمصلحة الصراع العربي- الإسرائيلي، ومشاركة جيوش عربية عديدة إلى جانب القوات السورية والمصرية في حرب تشرين ثاني/ أكتوبر عام ١٩٧٣، ودعم الدول العربية الغنية لدول المواجهة في شراء السلاح والعتاد، وزيادة التعاون الاقتصادي بينها، ولكن تلك المرحلة كانت قصيرة وانتهت مع نهاية السبعينيات، بسبب زيارة الرئيس المصري أنور السادات للقدس، وتوقيعه فيما بعد على اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام مع إسرائيل عام ١٩٧٩، مما دفع غالبية الدول العربية إلى مقاطعة مصر، ونقل جامعة الدول العربية إلى تونس.

المرحلة الثالثة

فترة الثمانينيات والتسعينيات، وتصاعدت فيها الخلافات بين الدول العربية وانقسمت بين مؤيد للعراق في حربه مع إيران، وبين مؤيد لإيران، وانتهت بانقسام حاد في المواقف بعد دخول القوات العراقية إلى الكويت عام ١٩٩٠، ووقوف بعض الدول العربية إلى جانب القوات الأجنبية ضد العراق، ودول أخرى ضد تدخل القوات الأجنبية في حل الأزمة.

واعتبرت هذه المرحلة من أسوأ المراحل في تاريخ العلاقات بين الدول العربية، بسبب استعانة بعض الدول العربية بالقوات الأجنبية لمحاربة دولة عربية هي العراق، وبمشاركة تلك الدول، مما أثر في الأمن القومي العربي، الذي لم يعد قائماً منذ ذلك الوقت، وانعكست تلك الخلافات على مواقفها من القضية الفلسطينية.

المرحلة الرابعة

وهي المرحلة الحالية التي بدأت في مطلع الألفية الثالثة، وتميزت بخلافات في المواقف من القضية الفلسطينية وعملية السلام مع إسرائيل، والحصار المفروض على قطاع غزة، بعد نجاح حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية، وانقسمت الدول العربية بين دول الاعتدال ودول الممانعة، ورفض بعضها المشاركة في مؤتمرات القمة العربية، بسبب انعقادها في دول عربية علاقاتها متوترة معها، وبينما كانت الدول العربية ـ على الرغم من خلافاتها في الماضي ـ تتفق فيما بينها على القضية الفلسطينية، باتت حالياً تتخذ مواقف مختلفة تؤثر في العلاقات العربية- العربية، وفي مواقفها المتباعدة من الصراع العربي- الإسرائيلي.

وعلى الرغم من أهمية القضية الفلسطينية في الخطاب السياسي العربي، إلا أنه من الصعب الحديث عن موقف عربي موحَّد من فلسطين بعد عملية السلام في مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، فهناك دول عربية اعترفت بإسرائيل، وأقامت معها علاقات دبلوماسية، ودول عربية تقيم معها علاقات من دون أن تصل إلى الاعتراف الرسمي، ودول بعيدة عن المشرق العربي ولا تفضل التعامل بشكل مباشر مع تداعيات القضية الفلسطينية، ودول أخرى لا تعترف بإسرائيل ومن غير الممكن تغيير موقفها في السنوات القادمة، وظهرت حالة استقطاب واضحة في الفترة الأخيرة بين الدول العربية التي انقسمت إلى ثلاثة محاور:

١. محور الاعتدال، وهو الحليف التقليدي للولايات المتحدة، ويضم مصر والأردن والسعودية ودول الخليج.
٢. المعسكر الرافض للسياسة الأمريكية والمرفوض من قبل الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة سوريا، ويضم كل منظمات المقاومة، كحزب الله اللبناني وحركتي حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيتين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
٣. المعسكر الثالث يضم باقي الدول العربية، وخاصة اليمن وليبيا والجزائر وقطر، التي وقفت موقف الوسط من القضية الفلسطينية.

وشكَّل العدوان الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة بدء مرحلة جديدة في العلاقات العربية- العربية، فقد انقسمت بين مؤيد لصمود المقاومة الفلسطينية، وبين انتقادها واتهامها بالمسؤولية عن العدوان، وبدلاً من أن يوحد العدوان العرب، فقد زاد من الخلافات فيما

بينهم، وعجز النظام العربي الرسمي في عقد مؤتمر قمة للرد على العدوان، وأثّر ذلك في انكشاف الأمن القومي العربي، وظهر العجز في النظام الرسمي العربي وفقدانه للقوة والتماسك وابتعاده عن نبض الشارع العربي، الذي وقف خلف المقاومة الفلسطينية، مما زاد في عزلة الدول العربية عامة والمعتدلة خاصة عن جماهيرها، وفي الانقسامات العربية- العربية.

وتأتي تلك التطورات لتساهم في ولادة محاور سبق أن ظهرت في النظام الرسمي العربي منذ مطلع التسعينيات، بين دول الاعتدال ودول الصمود، ولكي تعمق الانقسامات في الوطن العربي.

البيئة الحاكمة لتحركات دول الاعتدال العربي

الموقف المصري

من المعروف أن دور مصر في القضية الفلسطينية، تراجع إلى حد كبير بعد توقيعها على اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٩، بخلاف ما كانت عليه في فترة الزعيم جمال عبد الناصر، وفي الفترة الأولى من حكم أنور السادات، إلا أنها استعادت دورها، وزاد اهتمامها بالقضية الفلسطينية من خلال لعبها دور الوسيط بين طرفي الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، بدلاً من الدور القيادي الذي لعبته من قبل.

وحاولت مصر في السنوات الأخيرة، لعب دور الوسيط بين إسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية، وبين التنظيمات الفلسطينية نفسها، إلا أن الخطاب السياسي المصري غلب عليه طابع «الاعتدال» بشكل واضح من خلال الموقف المصري من حرب صيف عام ٢٠٠٦ على لبنان، وصمود المقاومة اللبنانية في وجه العدوان الإسرائيلي، وعدم الاعتراف المصري بهذا الصمود الذي اعترف به قادة الجيش الإسرائيلي، بل واتهام حزب الله بأنه يريد توريط لبنان والدول العربية من خلال خطفها لجنديين إسرائيليين كانا السبب في إشعال الحرب، بدلاً من انتقاد العدوان الإسرائيلي.

وانتقد الرئيس المصري خلال العدوان الإسرائيلي المقاومة الفلسطينية واللبنانية، ورأى أنَّ نشاطهما لا يحقق سوى مكاسب محدودة، وأنَّ الشعب هو الذي يدفع الثمن، وقال حسني مبارك في حديث صحفي: «لا أحد يشكك في حق الشعوب في مقاومة قوات الاحتلال، ولكن هذه المقاومة يتعين أن تلتزم بحسابات الربح والخسارة»، وأن إشعال الموقف تحقيقاً

لمكاسب محدودة يتجاهل الهدف الأساسي للفلسطينيين، وهو إقامة الدولة المستقلة، مشيراً إلى أن ما ذكره عن المقاومة الفلسطينية ينطبق بدوره على المقاومة اللبنانية، وقال: «إنَّ التصعيد الإسرائيلي في لبنان يجر المنطقة لمنزلق خطر»، مشدداً على أن الشعب اللبناني كالشعب الفلسطيني يدفع الثمن[١].

ومن أهم المواقف الصادرة عن مصر خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان، قول الرئيس المصري إنَّ الجيش المصري هو من أجل الدفاع عن مصر فقط، وليس لمقاتلة إسرائيل، وقال مبارك رداً على المطالبين بدخول مصر الحرب دفاعاً عن لبنان، أو حزب الله، خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان «إنهم لا يدركون أن زمن المغامرات الخارجية قد انتهى، وأنه إذا كان ذلك جائزاً في وقت كان فيه تعداد مصر ٢٤ مليون نسمة فإنه ليس ممكناً الآن في ظل وجود ٨٥ مليون مصري يحتاجون تنمية وخدمات وفرص عمل ومشروعات إسكان».

وأكد الرئيس المصري على أنه «ليس مستعداً لإنفاق ميزانية الشعب المصري على حرب ليست حربها»، وقال «إن جيش مصر هو للدفاع عن مصر فقط»، ونصح جميع الأطراف بعدم الانجرار وراء مغامرات حماسية غير مدروسة دون تقدير للعواقب وما ستجره على الشعوب من نتائج يدفع ثمنها المواطنون الآمنون[٢].

وتكرر هذا الموقف خلال العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة نهاية عام ٢٠٠٨ ومطلع عام٢٠٠٩، فقد انتقدت الحكومة المصرية حركة حماس، واستنكرت إطلاقها الصواريخ على جنوب فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨، وأسر الجندي الإسرائيلي شاليط، وأغلقت معبر رفح، وساهمت في فرض الحصار على القطاع ومنعت من دخول التبرعات والدعم لسكان القطاع، وأقامت جداراً فولاذياً على الحدود من أجل منع تهريب المساعدات عبر الأنفاق، كما رفضت حضور مؤتمر القمة العربي الذي دعت إليه حكومة قطر لدعم صمود القطاع، وإعادة بناء ما هدمه الجيش الإسرائيلي خلال الحرب.

الموقف الأردني

يعتبر الأردن من أكثر الدول العربية ارتباطاً بالقضية الفلسطينية، ولهذا فإن موقفه يؤكد ضرورة حل القضية الفلسطينية عن طريق إقامة دولتين في فلسطين التاريخية؛ دولة للإسرائيليين ودولة للفلسطينيين.

وربط العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني، بين نجاح عملية السلام في الشرق الأوسط وإقامة دولة فلسطينية قابلة للبقاء، وقال: «حتى يكون للفلسطينيين مستقبل ينبغي أن تكون لهم دولة قادرة على البقاء، وما أعنيه بكونها قادرة على البقاء هو جغرافياً»[٣].

واتبع الأردن سياسة «الاعتدال» من القضية الفلسطينية، ففي الوقت الذي انتقد فيه العدوان الإسرائيلي على القطاع وممارسات إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، والمشاريع الإسرائيلية الداعية إلى ما أطلق عليه «البديل الأردني»، إلا أنه لم يستجب للضغط الشعبي المطالب بطرد السفير الإسرائيلي في عمان، وسحب السفير الأردني من تل أبيب وقطع العلاقات مع إسرائيل، كإلغاء اتفاقية وادي عربة، على الرغم من حدوث تناغم الموقف الرسمي والشعبي من العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، والسماح بالاحتجاجات والمظاهرات، ويبدو أن الحوار الذي سبق وأن بدأ بين الأردن وحماس قد مهد الطريق للموقف الأردني الأخير.

وزاد الانتقاد الأردني للممارسات الإسرائيلية بعد وصول حكومة نتنياهو اليمينية للسلطة، واستمرارها في بناء المستوطنات وتهويد المدينة المقدسة، إلى الدرجة التي جعلت الملك عبد الله يشبِّه إسرائيل بكوريا الشمالية من حيث عزلتها وخروجها على الشرعية الدولية.

الموقف السعودي

لم تنتقد السعودية حركة حماس بعد نجاحها في الانتخابات التشريعية الفلسطينية كما فعلت مصر، بل انتقدت قلق دول العالم من فوز حماس، واعتبرته غير مبرر.

وقال السفير السعودي السابق لدى الولايات المتحدة تركي الفيصل: «إن فوز حماس يجب أن لا يثير قلق أي من العواصم العربية أو عواصم الدول الأخرى، طالما التزم المجتمع الدولي بتعهداته، المتمثلة في حل للصراع الإسرائيلي الفلسطيني قائم على دولتين تعيشان جنباً إلى جنب».

وحذَّر وزير الخارجية السعودية سعود الفيصل من خطورة وقف المساعدة للسلطة الفلسطينية، لأنه سيكون كارثياً، وقال إن حماس كانت حركة، والآن هي حكومة، وأنهم سيتصرفون بشكل مسؤول كحكومة، واعتبر أن على المجتمع الدولي أن يرى أولاً ماذا

ستعمل هذه الحكومة، بدلاً من أن يحكم على حماس طبقاً للغة التي كانت تستخدمها عندما كانت حركة[٤].

وارتبط موقف السعودية في لبنان بموقف الحكومة اللبنانية السابقة برئاسة فؤاد سنيورة التي كانت علاقتها متوترة مع حزب الله المدعوم من سوريا، مما أدى إلى تدهور العلاقات بين دمشق والرياض.

وتغير هذا الموقف بعد المصالحة التي تمت بين البلدين وتبادل الزيارات وتشكيل حكومة جديدة برئاسة سعد الحريري.

البيئة الحاكمة لمواقف دول الاعتدال العربي

أما العوامل التي تؤثر في البيئة الحاكمة لمواقف دول الاعتدال العربي، فهي العلاقات الخاصة التي تربط بعضها مع الولايات المتحدة والدول الغربية، ووجود تحالفات واتفاقات معها، تحصل بموجبها على دعم اقتصادي أو سياسي يؤهلها للعب دور إقليمي في المنطقة، لكي لا تكون خارج إطار الأحداث، خاصة بعد أن فقدت الدور القيادي الذي كانت تلعبه من قبل.

كما يلعب العامل المذهبي دوراً مؤثراً في مواقف بعض دول الاعتدال في الصراع على الزعامة التقليدية السياسية والدينية، ودخول إيران كلاعب رئيسي في المنطقة خاصة في لبنان والعراق ودول الخليج العربي، جعل تلك الدول تقف في المعسكر المضاد المعادي للدور الإيراني في المنطقة، متحالفة بذلك مع الدول الغربية وإسرائيل ضد العدو المشترك، علماً أن العدو الحقيقي الذي يهدد الأمن والاستقرار في المنطقة هو إسرائيل، ولكن الولايات المتحدة أقنعت بعض دول الاعتدال بأن إيران هي التي تشكل خطراً عليها، إما من خلال التهديد باحتمال امتلاكها لأسلحة نووية، أو أنها تهدد أنظمتها الداخلية.

البيئة الحاكمة لتحركات دول الممانعة العربية

تُعدُّ سوريا الدولة العربية الوحيدة في معسكر الممانعة، إلا أنها ليست الوحيدة في هذا الجانب إذا أضفنا إليها تنظيمات المقاومة العربية كحزب الله والتنظيمات الفلسطينية وإيران.

وقد بدأت تظهر ملامح الدور السوري المتميز في هذا الاتجاه خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان في صيف عام ٢٠٠٦، وعلى قطاع غزة في نهاية عام ٢٠٠٨، ووقوف

سوريا إلى جانب تلك الأطراف التي شنت إسرائيل عدوانها عليها من أجل إضعافها والقضاء عليها.

وكانت سوريا قد عبرت عن ترحيبها بفوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية، واعتبرته انتصاراً لسوريا وموقفها السياسي من القضية الفلسطينية، على أساس أن قيادات حركة حماس في الخارج موجودة في سوريا.

ووصف الرئيس السوري بشار الأسد، فوز حماس بأنه سوف يساهم في تخفيف الضغوطات على بلاده، وبدء لتفكيك العزلة عنها.

وقال الأسد أمام المؤتمر العام للأحزاب العربية الذي انعقد تحت شعار نصرة سوريا ولبنان بحضور ٣٠٠ شخصية عربية يمثلون أكثر من ١١٠ أحزاب سياسية في ١٥ دولة عربية: «إن نجاح حماس في الانتخابات التشريعية سيخفف الضغوط عن سوريا».

ومن جهة أخرى، فإن العلاقات بين سوريا والسلطة الوطنية الفلسطينية بقيادة حركة فتح، كان يشوبها التوتر في السنوات الأخيرة، بخلاف ما كانت عليه علاقاتها مع حماس(٥).

واعترف الرئيس السوري بأن بلاده تدعم حركة حماس سياسياً، لأن لديهم الحق بأن تكون لديهم دولتهم المستقلة، ولديهم الحق باستعادة أراضيهم والحق في تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي، وقال: «نحن نشجع حركة حماس على التمسك بحقوق الشعب الفلسطيني، وهى حقوق سياسية، وتشمل حقوق اللاجئين، لأن لدينا نصف مليون لاجئ فلسطيني في سوريا»(٦).

ومن جهة أخرى، فقد عقدت في العاصمة السورية في نهاية شباط/ فبراير عام ٢٠١٠، قمة سورية- إيرانية بين الرئيسين بشار الأسد ومحمود أحمدي نجاد، شارك في جزء منها حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله، مما شكَّل لأول مرة تحركاً علنياً مشتركاً بين أطراف الممانعة الثلاثة للاتفاق على استراتيجية مشتركة للرد على أي حرب إسرائيلية قد تلجأ إليها إسرائيل ضدهم، والتقى قادة المنظمات الفلسطينية الموجودون في سوريا مع الرئيس الإيراني الذي دعاهم لزيارة العاصمة الإيرانية لمتابعة اللقاءات.

وتتهم إسرائيل سوريا بدعمها للمقاومة اللبنانية والفلسطينية، وجاء آخر اتهام بالمساعدة بنقل صواريخ «سكود» متوسطة المدى، من إيران إلى حزب الله.

وتدَّعي تل أبيب أن سوريا تقوم بتزويد حزب الله بهذه الأسلحة المتقدمة نوعاً ما، والتي ستعطي الحزب القدرة على الوصول إلى معظم الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨.

وبدأ التصعيد في الموقف الإسرائيلي ضد سوريا، على لسان وزير الدفاع إيهود باراك الذي أشار في لقاء له مع قادة عسكريين إلى احتمال حدوث حرب شاملة بين سوريا وإسرائيل، قائلاً: «في ظل غياب اتفاق (سلام) مع سورية، نحن معرضون للدخول في مواجهة عسكرية قد يتسع نطاقها لتتحول إلى حرب إقليمية».

كما صرّح رئيس الأركان الإسرائيلي غابي أشكنازي بأن «الهدوء السائد على الحدود عموماً، الشمالية والجنوبية منها خصوصاً، هش جداً»، ونبَّه الجنود الإسرائيليين إلى «احتمال أن نشهد تدهوراً في الأوضاع خلال فترة خدمتكم».

وكان الرد السوري سريعاً وشديداً ومفاجئاً بقوته، فقد طالب وزير الخارجية وليد المعلم الإسرائيليين «الكف عن التهديدات ولعب دور الزعران» في المنطقة، وقال: «على إسرائيل عدم اختبار عزم سورية، تعلم أن الحرب ستنتقل إلى المدن الإسرائيلية»، وهدد إسرائيل بأنه في حال حدوث حرب «يجب ألا نستبعد كل الاحتمالات من كيان يقوم أساساً على العدوان، ستكون الحرب شاملة سواء أصابت جنوب لبنان أو سورية، واستبعد أن يشهد جيلنا بعدها محادثات السلام».

وقد يجلب لسوريا هذا الموقف الداعم للمقاومة الفلسطينية بعض التوتر في علاقاتها مع بعض الدول العربية المعتدلة، إلا أنها ما زالت متمسكة بخيار دعم المقاومة اللبنانية والفلسطينية، وهذا الموقف، جعلها اللاعب الرئيسي في المنطقة، وأعادت خلط الأوراق من جديد في لبنان لمصلحة سوريا، وأعادت الكثير من الدول الغربية اتصالاتها التي كانت مقطوعة من قبل معها.

وتميز الدعم السوري للمقاومة الفلسطينية خلال العدوان الإسرائيلي على غزة، بدعوة سوريا إلى اجتماع عاجل للملوك والرؤساء العرب من أجل البحث في العمل العربي المشترك لوقف العدوان الإسرائيلي ودعم الفلسطينيين في القطاع، ولم تنجح جهودها، إلا أنها شاركت في القمة التي عقدت في العاصمة القطرية، والتي سميت قمة دعم غزة، وتحدث فيها خالد مشعل عن حركة حماس والمقاومة الفلسطينية، وقاطعها محمود عباس.

وأما بقية أطراف الممانعة العربية كحزب الله، فقد كان رد فعلها لا يقل قوة وصلابة عن موقف سوريا من التهديدات الإسرائيلية.

فقد هدد الأمين العام للحزب حسن نصر الله في شهر شباط/ فبراير عام ٢٠١٠ بتطبيق معادلة «توازن الرعب» إذا قامت إسرائيل بالعدوان على لبنان، وخاطب الإسرائيليين بقوله «إذا ضربتم مطار الشهيد رفيق الحريري الدولي في بيروت سنضرب مطار بن غوريون، وإذا ضربتم موانئنا سنقصف موانئكم، وإذا ضربتم مصافي النفط سنقصف مصافي النفط عندكم، وإذا قصفتم مصانعنا سنقصف مصانعكم، ...».

وكان نصر الله هدد في السنة الماضية بمهاجمة تل أبيب إذا قصفت إسرائيل الضاحية الجنوبية لبيروت، وعاد ليؤكد بالذكرى العاشرة لتحرير لبنان في ٢٤/ ٥/ ٢٠١٠ والانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، أنه في حال شنت إسرائيل حرباً جديدة على لبنان، فعليها أن تعلم أن «كل السفن العسكرية والمدنية والتجارية التي تتجه إلى إسرائيل على امتداد البحر المتوسط ستكون تحت مرمى صواريخ المقاومة الإسلامية، وما أقوله أنا إننا لن نرسل سفناً إلى المياه الدولية لاعتراض السفن الآتية إلى الموانئ الفلسطينية، ولكن أضيف الميناء إلى معادلة المطار في أي حرب مقبلة يريد الإسرائيليون شنها على لبنان»، وأشار إلى أنه يتكلم «عن البحر الأبيض المتوسط، ولم يصل بعد إلى البحر الأحمر، فهذه السفن التي ستتوجه إلى أي ميناء على الشاطئ الفلسطيني تستطيع المقاومة استهدافها وضربها وإصابتها».

وأكد نصر الله على أنه «لا أحد ينكر أن إسرائيل تعيش اليوم حالة من القلق والإرباك تظهر لدى السياسيين أو الإعلاميين الإسرائيليين، ونراهم ينتقلون من تدريب إلى تدريب، ومن مناورة إلى مناورة، وهذا له كلفته المالية والمعنوية، وهذا يؤثر على الاقتصاد والهجرة والسياحة والأمن».

وتساءل نصر الله عن أسباب قيام إسرائيل لأول مرة بهذا النوع من المناورات، وأجاب «لأنهم يريدون طمأنة مجتمعهم من خلال الإجراءات والتدريب والقول له إننا أقوياء ومستعدون لمواجهة أي حرب مقبلة، وفي جزء كبير منها يهزؤون من شعبهم».

شك في أن إسرائيل لم تنس ما لحق بها من هزيمة في حرب صيف عام ٢٠٠٦، ولا عدم تحقيق أهدافها من العدوان الذي شنته على قطاع غزة في نهاية عام ٢٠٠٨، كما أنها لم تكن

مرتاحة إلى عودة العلاقات السورية- اللبنانية إلى طبيعتها، وتجاوز التوتر الذي حدث بين دمشق وبيروت في السنوات الماضية، مما عزز موقف حزب الله في لبنان، وقوى الممانعة.

وما زالت سوريا تتحدث عن أهمية المقاومة الفلسطينية في الصراع العربي- الإسرائيلي، وتعتبره نهجاً مهماً في التعامل مع إسرائيل، ولهذا السبب فإنها تحتضن في أراضيها قيادات التنظيمات الفلسطينية المعارضة.

وتريد إسرائيل من الدول العربية أن تلعب دور الحامي لها، وهو ما ذكره وليد المعلم وزير الخارجية السوري الذي صرح في أثناء لقائه مع وزير الخارجية الألماني جويدو فيسترفيله أن بلاده لا يمكن أن تقبل بلعب دور الشرطي لإسرائيل، وتمنع وصول أسلحة إلى حزب الله اللبناني، وهذا الموقف فيه الكثير من المنطق، لأن الولايات المتحدة تدعم إسرائيل بأحدث الأسلحة المتطورة، وهي تعرف أنها تحتل أراضي عربية وتقيم المستوطنات فيها، بينما هي تنتقد سوريا وتهاجمها، وتتهمها بمد حزب الله بالأسلحة، وهي تعرف أن تلك الأسلحة ليست في مستوى الأسلحة التي تمد بها إسرائيل، بينما أسلحة حزب الله هي من أجل الدفاع عن الأراضي اللبنانية وليس احتلال الأراضي كما تفعل إسرائيل.

وتريد الولايات المتحدة من سوريا، أن تقوم بدور مماثل لدور النظام المصري فيما يتعلق بقطاع غزة، أي أن تقيم جداراً فولاذية، وتفرض حصاراً عسكرياً على حزب الله اللبناني، يمنع وصول أي أسلحة أو عتاد حربي إليه.

إيـــران

تعيش إسرائيل هاجس الخطر النووي الإيراني، وتعمل على معالجة هذا الملف عن طريق استعمال القوة العسكرية، وتريد إشراك الولايات المتحدة والدول الغربية معها، وإدخال دول عربية إلى جانبها، وكأن الحرب على إيران هي حرب عربية- غربية- إسرائيلية ضد إيران وأطراف الممانعة العربية.

ومع تراجع فرص الحوار الأميركي الإيراني بعد أزمة الانتخابات الإيرانية (في حزيران/ يونيو عام ٢٠٠٩) التي اتهمت إيران فيها واشنطن بالتدخل ودعم الإصلاحيين وتأييدهم ضدها، تصاعد التوتر بين إيران وإسرائيل عبر تهديد متبادل بالحرب وبالرد عليها إذا بادر الطرف المقابل إليها.

لكن الولايات المتحدة ومن خلال تصريحات أركان إدارتها لم تكن متحمسة كثيراً لحرب إسرائيلية على إيران، لكنها في الوقت نفسه كانت تلوّح لطهران بحق إسرائيل بالرد إذا تعرضت للتهديد أو الاعتداء[٧].

وتعي إيران جيداً عدم جدوى العقوبات المفروضة عليها، أو التي تحاول الولايات المتحدة فرضها، وصعوبة الضربة العسكرية عليها، التي من الممكن أن تؤدي إلى حرب شاملة قد تعرض المصالح الأمريكية في المنطقة، وإلى فقدان السيطرة عليها، وفقدان الأنظمة المؤيدة لها، مما يعني أن أي حرب على إيران سيكون ثمنها فقدان الكثير مما تتمتع به الولايات المتحدة في الشرق الأوسط من نفوذ، خاصة أن واشنطن لم تسيطر بعد على الوضع في المناطق التي احتلتها كالعراق وأفغانستان[٨].

كما أن إيران تُعدُّ القوة العسكرية الوحيدة في الخليج العربي، ولن تستطيع أي قوة أن تصدها إذا لم تُبق الولايات المتحدة على قواتها في المنطقة، وهذا يعني بقاءها في العراق.

إنَّ القضية الجوهرية بين إيران والولايات المتحدة هي العراق وليست برنامج إيران النووي، لا سيما أن طهران تريد انسحابا أمريكياً من العراق لتبقى القوة العسكرية في المنطقة.

وتريد الولايات المتحدة الانسحاب من العراق لأنها تواجه تحديات في أفغانستان، حيث تحتاج إلى التعاون الإيراني، لذا، يتعين عليها، أن تجد سبيلاً لتحقيق موازنة في القوة مع إيران دون انتشار مفتوح للقوات الأميركية في العراق، ودون عودة العراق قوة، لأن إيران نفسها لا تقبل بذلك.

وترى إيران أنها تمتلك أوراقاً كثيرة من الممكن أن تستخدمها في حال حدوث هجوم عليها، قد تؤثر على مجريات الحرب لصالحها، فلها علاقات تحالف مع سوريا وحزب الله وحركتي حماس والجهاد الإسلامي وأطراف فاعلة في العراق، ولها مؤيدون من الممكن أن تستغلهم في دول الخليج العربي، مما يؤدي إلى دخول المنطقة في حرب شاملة من الصعب السيطرة عليها.

فكون إيران طرفاً في الصراع فإنه في حال قيام مثل هذه الحرب قد ستتعرض مصالح العالم أجمع للضرر، من تدمير منشآت النفط وإغلاق خطوط الإمداد، وهو الذي تعلنه طهران في حال تعرضت لمثل هذا الهجوم، وقد تتعرض إسرائيل إلى ضربات موجعة من إيران وحلفائها في المنطقة.

وكانت سوريا قد اتفقت مع إيران على مواجهة التهديدات الإسرائيلية والأمريكية اتجاههما، وأنهما في خندق واحد، بعد زيارة الرئيس الإيراني لدمشق في شباط/ فبراير الماضي، واعتبر الرئيس الإيراني، الذي أجرى عدة لقاءات مع قادة فصائل المقاومة الفلسطينية، وحزب الله، أن «التهديدات الإسرائيلية لا قيمة لها، وإذا افترضنا ووضعنا لها قيمة، فإن الصداقة السورية الإيرانية لن تمكن أي أحد من التجرؤ على أن يتطاول عليها... والكيان الصهيوني يعرف أن تهديداته تلك لا قيمة لها... وإيران تقف إلى جانب سوريا بكل قوة وقدرة وعزم، فالغاصبون لأرض فلسطين ستقطع أرجلهم بمقدار ما يعتدون على كل شبر من الأرض، وبالرغم من دعم دول الاستكبار، فإن المقاومة في عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٩ في غزة ولبنان قد علمتهم التلذذ بالفشل... فكيف بسوريا البلد الصامد والقوي والذي لديه الإمكانات والاستعداد للدفاع عن نفسه، وإيران تقف إلى جانبه بكل ما تملك من قوة»[٩].

وثمة تناغم في موقف لبنان الرسمي مع حزب الله والموقف السوري- الإيراني، فقد أعلن الرئيس اللبناني ميشيل سليمان أنه «على إسرائيل أن تفهم أنها مهما فعلت لن نختلف في ما بيننا.. كما أنها تعرف أنها ستدفع ثمناً كبيراً وستتألم كثيراً إذا اعتدت على لبنان».

وقال الرئيس اللبناني رداً على سؤال حول التهديدات الإسرائيلية للبنان على خلفية صواريخ «سكود»: «إن هدف إسرائيل هو خلق حالة من الانقسام في الصف اللبناني».

تـــركيـا

بدأت تركيا منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة عام ٢٠٠٢، تأخذ مواقف متفهمة أكثر للجانب الفلسطيني، إلا أننا لا نستطيع أن نضعها إلى جانب معسكر الممانعة أو الاعتدال، فقد انفتحت تركيا على محيطها العربي والإسلامي، مما منحها القدرة على لعب دور قيادي في المنطقة لقي الترحيب من الرأي العام العربي، ومن أطراف معسكر الممانعة.

ويبدو أن أفول الدور المصري القيادي الذي كانت تلعبه من قبل، بسبب مشاركتها في الحصار على قطاع غزة، وإغلاق معبر رفح، قد ساهم في أن تلعب تركيا هذا الدور.

ويحكم الموقف التركي من القضية الفلسطينية العوامل التالية:

أولاً: أن القضية الفلسطينية موجودة في وجدان الشعب التركي وقياداته منذ ظهور المشروع الصهيوني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني؛ ورفضه إعطاء أرض في فلسطين لإقامة

دولة لليهود عليها، وصولاً إلى عهود الحكومات العلمانية المتعاقبة، حتى في أشد الفترات التي كانت تركيا تقف فيها ضد العالم العربي، بل إن كثيراً من المواقف التاريخية اتُّخِذت في عهد قيادات علمانية، مثل خفض العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل نهاية عام ١٩٨١ في عهد نظام الانقلاب العسكري، كما أن رئيس الحكومة بولنت أجاويد، المعروف بتشدده العلماني، وعدائه للتيارات الإسلامية، كان الحاضن لمنظمة التحرير الفلسطينية في السبعينيات، وهو أول من وصف ممارسات إسرائيل بالإبادة عام ٢٠٠٢.

ثانياً: لعبت الجذور الإسلامية لقادة حزب العدالة والتنمية دوراً مهماً في اتخاذ تركيا مواقف تضامنية قوية إلى جانب الشعب الفلسطيني، ووصلت إلى حدود قصوى، عرّضت وضع الحكومة التركية إلى ضغوط شديدة من الخارج دون أن تنحني أمامها، وكانت تعتمد في ذلك على التأييد القوي والحضور الواسع للقضية الفلسطينية في ضمير الشعب التركي، وهو ما دفع رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان للقول مرَّة إنه عندما يتخذ قراراً في السياسة الخارجية، فإنما يصغي لصوت الشعب المؤيد كليَّة للقضية الفلسطينية.

ثالثاً: سعي تركيا لتكون دولة مؤثرة وذات حضور في الساحة الإقليمية والعالمية، اتخذ آليات لا تتصل فقط بالبعد الإسلامي والعمق الحضاري في سياسة حزب العدالة والتنمية، بل أخذ في الحسبان التجاذبات والاستقطابات الموجودة في المحيط الإقليمي لتركيا.

رابعاً: إن انفتاح تركيا على القضية الفلسطينية لم يكن يوماً، وفي عهد حزب العدالة والتنمية أيضاً، على حساب الاعتراف بوجود دولة «إسرائيل»، فمن جهة ما تزال تركيا مرتبطة بنحو ٦٠ معاهدة أمنية وعسكرية مُفعَّلة مع «إسرائيل»، كما تعد الشريك التجاري الإسلامي الأكبر لها، ففي عام ٢٠٠٩ بلغت الصادرات الإسرائيلية إلى تركيا ما مجموعه ١,٠٧٣ مليار دولار، وبلغت الواردات الإسرائيلية من تركيا ما مجموعه ١,٣٨٨ مليار دولار، مع ملاحظة أن الصادرات الإسرائيلية تراجعت بنسبة ٣٣%، بينما تراجعت الواردات بنسبة ٢٤٪ مقارنة بالعام السابق.

ومن جهة ثانية تتبنى تركيا القرارات الدولية ومبدأ الانسحاب الإسرائيلي من الضفة، بما في ذلك شرقي القدس والقطاع، والاتفاق على حل عادل لقضية اللاجئين، ووقفت ضد أي تغيير في هوية شرقي القدس، كما وقفت ضد الاستيطان في الضفة

الغربية، ولم يصل أي موقف من أي طرف تركي رسمي حتى الآن إلى حد التشكيك بوجود الكيان الإسرائيلي.

خامساً: عززت تركيا علاقاتها مع هذا العمق الحيوي بالنسبة لسياستها الخارجية، من خلال إقامة علاقات تجارية واقتصادية مع الدول العربية بلغ مجموعها السنوي نحو ٣١ مليار دولار، فيما وصل حجمها مع إيران وحدها حوالي ١٠ مليارات، وما دامت القضية الفلسطينية في قلب العالمين العربي والإسلامي، فإن ذلك يعني أنه بقدر ما ينسج حزب العدالة والتنمية علاقات متقدمة مع العالمين العربي والإسلامي يقترب أكثر من القضية الفلسطينية.

وعلى الرغم من أهمية تلك العوامل، إلا أن تركيا تواجه بعض الصعوبات في تنفيذ سياستها، كالرفض الإسرائيلي للموقف التركي اتجاهها، وكتعطيل دور الوسيط الذي حاولت القيام به من قبل العدوان الإسرائيلي على غزة بين سوريا وإسرائيل، وعدم ارتياح بعض الدول العربية كمصر للدور الذي تلعبه تركيا في المنطقة، وخشية مصر من أن يكون هذا الدور بتنسيق مع سوريا وإيران التي هي في حالة جفاء معها.

ولهذا، فقد ظهر الموقف التركي وكأنه أقرب إلى محور الممانعة من دول الاعتدال، بسبب العلاقات التي تربط بين تركيا وحزب الله وحركة حماس، إلا أن البعض يرى بأن تركيا قد تقترب من دول الاعتدال من منطلق أن حزب العدالة والتنمية الإسلامي تربطه علاقات جيدة مع بعض دول محور الاعتدال كالسعودية.

ولقد حرص رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان على تأكيد هذا الموقف أو السياسة «التوازنية» التركية بين كافة دول الإقليم بما فيها إسرائيل وبين علاقاتها الإقليمية في الشرق الأوسط وعلاقاتها مع أوروبا بقوله في طهران: إن تركيا لن تضحي بعلاقاتها مع الغرب لصالح التحالف مع الشرق.

ويمكن فهم البيئة الحاكمة لتحركات تركيا من خلال:

- الموقف التركي الرافض للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة.- انسحاب رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان من مؤتمر دافوس الاقتصادي (٣٠ كانون ثاني/ يناير عام ٢٠٠٩) أثناء إلقاء شمعون بيريز كلمته.

- إلغاء ترتيب مشاركة إسرائيل في مناورة «نسر الأناضول» الجوية السنوية.
- تهديد رئيس الجمهورية التركية عبد الله جول بسحب السفير التركي من تل أبيب، اعتراضًا على الإهانة التي وجهها داني آيالون نائب وزير الخارجية الإسرائيلي للسفير، وإصرار تركيا على ضرورة اعتذار إسرائيل للسفير التركي وللشعب التركي، فتح الحدود بين سوريا وتركيا، ولقاء القادة الأتراك مع المسؤولين في حركة حماس.

البيئة الحاكمة لتحركات دول الاعتدال والممانعة تجعلهما يرفضان أي عدوان قد تقوم به إسرائيل ضد الدول العربية وإيران، ولكن الخلاف القائم بينهم في وجهات النظر مرتبط في النتائج التي من الممكن أن يتمخض عنها العدوان.

وبالتأكيد فإن فشل إسرائيل في تحقيق أهدافها، يعني زيادة في قوة محور الممانعة والدور الذي سيقوم به في المستقبل.

الهوامش

(١) القدس الفلسطينية، ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦.

(٢) الاتحاد الإماراتية ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦.

(٣) الحياة الجديدة الفلسطينية، ٨/ ٣/ ٢٠٠٥.

(٤) الحياة ١/ ٢/ ٢٠٠٦.

(٥) الحياة، ٥/ ٣/ ٢٠٠٦.

(٦) الشرق القطرية، ٣٠/ ٣/ ٢٠٠٦.

(٧) فريد زكريا، نيوزويك، الطبعة العربية، عدد ٩ آذار/ مارس ٢٠١٠.

(٨) النهار ١٣/ ٣/ ٢٠١٠.

(٩) القدس العربي، ١/ ٥/ ٢٠١٠.

الورقة الرابعة

البيئة الحاكمة لتحركات المقاومة الفلسطينية واللبنانية

أ. علي باكير*

إنّ التطرق لعناصر البيئة الحاكمة لتحركات المقاومة الفلسطينية واللبنانية إنما يفرض علينا تناول الإطار المحدد لنوع هذه المقاومة وشكلها، وعلى الرغم من يقيننا بوجود فروقات جوهرية بين النموذجين الفلسطيني واللبناني، إلا أنّنا سنتطرق إلى العوامل المشتركة، لتحديد البيئة الحاكمة لكل من حزب الله الذي يحتكر الساحة اللبنانية، وحماس التي تمثّل الفصيل الأكبر على الساحة الفلسطينية.

شكل المقاومة في فلسطين ولبنان

يمكن تعريف المقاومة بأنّها تعبير عن رفض الاحتلال عبر نضال مشروع يتّخذ أشكالاً متعددة، تتراوح بين استخدام العنف (السلاح) والمقاومة السلمية (نموذج عادي)، تكفله كافة الشرائع والأحكام الدينية والدنيوية وجميع القوانين الدولية.

فالمقاومة في الأساس عمل دفاعي مشروع يظهر من خلال إرادة، وتتم ترجمته من خلال وسيلة تشكل جوهر المقاومة، يتم توظيفها لرد المعتدي، ويمكن أن تتجلى المقاومة بمستويات متعددة، كما يظهره الشكل أدناه.

ولا شك في أنّ قوة المقاومة الكليّة إنما تختلف باختلاف الموقع الذي تحتله في هرم مستويات المقاومة، حيث تحتل الدولة أعلى درجة، فيما يحتل الفرد منفرداً درجة أقل، ذلك أنّ الكيان الذي يضم جماعة يمتلك قدرة أكبر على حشد الموارد، ودقة في التخطيط، وإرادة في التنفيذ، وقدرة على الإنجاز، دون أن يقلل هذا من مضمون مقاومة الفرد وقيمتها، إذا كان المقصود أنّ مقاومة الكيان هي مجموع مقاومة أفراد مضاف إليها قدرات الكيان.

---

* كاتب وباحث.

مخطط أشكال المقاومة ومستوياتها (تصاعدي)*

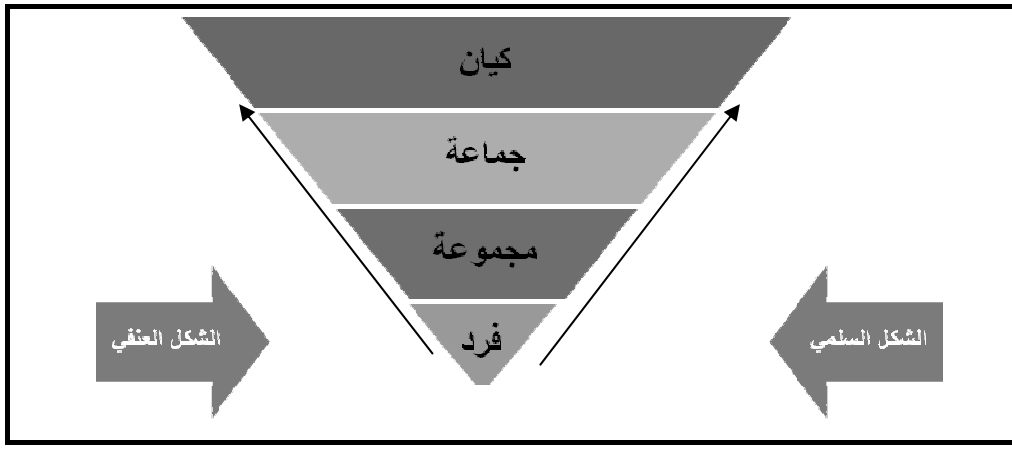

وما بين النموذجين أو المستويين، هناك أنواع متعددة تضم على سبيل المثال:

- فاعلين غير حكوميين (non- state actors) بدعم شعبي واسع وفعالية كبيرة: نموذج حركة طالبان.
- فاعلين غير حكوميين بفاعلية كبيرة في بيئة غير مؤاتية: نموذج المقاومة العراقية.
- فاعلين غير حكوميين ببعد وطني ودعم إقليمي: نموذج حركة حماس.
- فاعلين نصف حكوميين ببعد إقليمي ودعم إقليمي: نموذج حزب الله.

ويستند عمل المقاومة بشكل عام إلى عدد من المبادئ:

- إرهاق العدو واستنزاف جهده.
- القدرة الكبيرة على التضحية بما يفوق قدرة العدو المماثلة.
- إرادة الانخراط في صراع طويل المدى يؤدي في النهاية إلى تحقيق الهدف.
- الرفض الكلي والكامل للعدو.
- التركيز على الجهد فترات طويلة، للقضاء على العدو، والرفض الكلي لإمكانية الاعتراف به.
- عدم التشبث باستراتيجية السيطرة على أرض المعركة إذا كان الثمن إغراق العدو.
- اعتماد معايير نسبية بالنسبة لمنطق سيادة الدولة.

- استخدام تفكير بسيط غير معقد، ووسائل متطورة وأسلحة فعالة.
- التركيز على إلحاق أكبر قدر من الخسائر في صفوف العدو.

ويختلف تطبيق هذه المبادئ باختلاف شكل المقاومة، ونوعها، وظروفها وبيئتها، وقد تستطيع تطبيق كل هذه المبادئ، وقد تلجأ إلى بعضها فقط.

ما هو موجود لدينا الآن في فلسطين ولبنان من ناحية الشكل هو نموذج لحركات تتمتع برصيد شعبي، وتعتمد الشكل العسكري في النضال بوصفه عنصراً أساسياً، وهي مدعومة من دول إقليمية، بعضها أنشأ هذه الحركات واحتضنها، وأصبحت تابعة عضوياً له (كالعلاقة بين إيران وحزب الله) وبعضها الآخر دعم هذه الحركات وتبنّاها (كالعلاقة بين حماس وسوريا وإيران)، ولكل نموذج إيجابياته وسلبياته، التي تنعكس بطبيعة الحال على الحركات المقاومة، وعلى وظيفتهما، وطبيعة النظرة إليهما، والعناصر الحاكمة لعملهما.

مخطط أنواع المقاومة ومستوياتها مقارنة بغيرها[1]

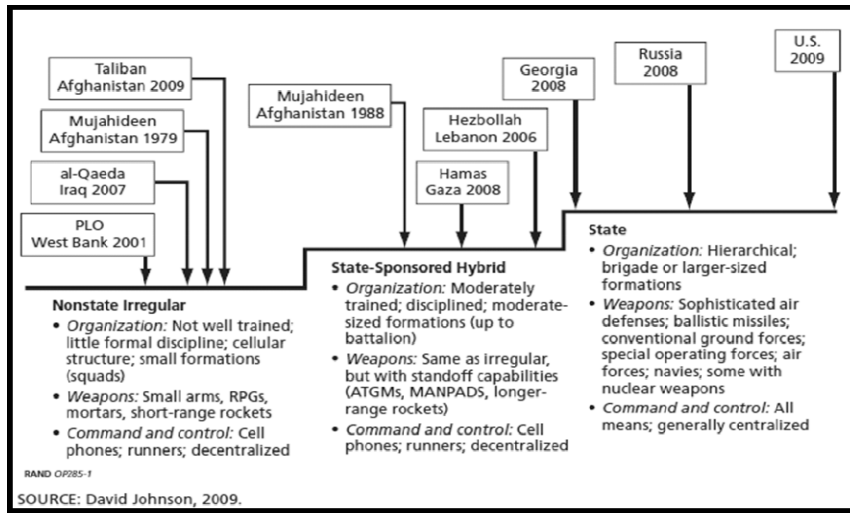

SOURCE: David Johnson, 2009.

العامل الإسرائيلي

انطلاقاً من تعريف المقاومة آنف الذكر المتعلق برد العدوان، فإن للعامل الإسرائيلي تأثيراً في تحديد تحركاتها باتجاه الذهاب إلى الحرب على سبيل المثال أو عدم الذهاب.

ومن هذا المنطلق المبسّط، نصنّف التحركات الإسرائيلية من ضمن البيئة الحاكمة لتحركات المقاومة، التي تتداخل مع بيئات أخرى.

تعيش إسرائيل منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حالة من التيه، فرضتها عليها التطورات اللاحقة في منطقة الشرق الأوسط، أبرزها نزول أميركا مباشرة إلى أرض المعركة، مما أفقد إسرائيل دورها كمنصة أمنيّة تاريخية للولايات المتّحدة، ورغم ذلك، فقد ظل الطرف الإسرائيلي يجتهد في تقديم نفسه أستاذاً في محاربة «الإرهاب» لتعويض النقص الذي أصاب دوره، دون أن يتمكن حتى الآن من استعادة موقعه السابق.

وعلى الصعيد المحلي، يكشف استطلاع للرأي أجراه (معهد رافي سميث) معطيات مذهلة عن المجتمع الإسرائيلي، فمع دخول العام ٢٠١٠، يشير ٦٩٪ من المستطلعة آراؤهم بأن مجتمعهم بات أقل تراصاً، كما يعتقد ٤٧٪ منهم أن إسرائيل أصبحت أشد عنصرية، وأن ٨٢٪ وضعوا أنفسهم في الجانب الأيمن من الخريطة السياسية.

وقد ضَعُفَ مستوى الثقة في القيادة ومؤسسات الدولة؛ إذ بلغ ما نسبته ٦٧٪ من المستطلعة آراؤهم، وقال ٥٧٪ إنهم أقل تفاؤلاً بشأن الدولة[٢].

ومما ساهم في تعقيد هذا الأمر عناصرعدّة داخلية وخارجية، من أهمها:

على الصعيد الخارجي

١- بروز فاعلين إقليميين كإيران وتركيا، ومن الملاحظ أنّ المجال الحيوي لتحرّك هذه القوى هي الساحة العربية، أي أنّه سيكون هناك تقاطعات في عدد من الملفات، إضافة إلى مساحات للتنافس لا بد أن تقوّض من مبدأ احتكار إسرائيل للتفوق في المنطقة.\

٢- الإدراك الأمريكي الذي برز بشكل لافت في عهد إدارة أوباما، بأنّ موقف إسرائيل في المنطقة، وخاصة من عملية السلام، أضر بالولايات المتّحدة وبصورتها وبموقعها وبمصالحها الاستراتيجية، وأظهرها بمظهر المحابي، بل والضعيف غير القادر على تغيير الموقف الإسرائيلي، وهذا العامل أكثر أهمية من سابقه*.

على الصعيد الداخلي

١- تآكل قدرات إسرائيل الردعية بفعل انخراطها في معارك غير متكافئة مع حركات وجماعات أقل منها شأناً وقوة.

٢- عدم قدرة قادتها على القيام بمبادرات استراتيجية فاعلة، وتجمُّد الفكر السياسي الإسرائيلي في إطار محدود.

٣- تواجه إسرائيل في المرحلة القادمة تحدياً يتعلق بتآكل شرعيتها وصدقيتها ومكانتها في العالم كدولة استعمارية عنصرية ودينية وعدوانية.

٤- مواجهة الخطر الديمغرافي، الذي بات من أهم التحديات التي تعترضها، في سعيها للحفاظ على وضعها كدولة يهودية.

هذه المعطيات جعلت إسرائيل تعيش حالياً مأزقاً استراتيجياً، ويتمثل المأزق الحالي في عدم قدرة تل أبيب المحافظة على التوجه الاستراتيجي القائم على مبدأ «لا حرب كبرى مع العرب ولا سلام عادل وشامل معهم»** وهو من أنسب الخيارات للمحافظة على التفوق الإسرائيلي الإقليمي، والحفاظ على دور إسرائيل، وعلى تشكيل بيئة تساعد على بقائها وديمومتها في الإطار الإقليمي[٣]، وذلك لعدد من الأسباب، منها:

١- الدخول في حرب مع عدد من الدول العربية دفعة واحدة قد يؤدي إلى تقويض دولة إسرائيل نهائياً، فالأوراق التي استخدمتها في حروبها السابقة لم تعد موجودة، كما أنّ قدراتها العسكرية والردعية تتآكل مع الزمن[٤].

٢- التوصُّل إلى سلام من شأنه أن يغيّر من معالم الدولة الإسرائيلية ومجتمعها القائم على الاستنفار الدائم والشحن في مواجهة عدو جاهز، فالسلام بهذا المعنى يؤدي إلى تقويض عسكرة المجتمع الإسرائيلي وتهميشه، ويكبّل إسرائيل أيضاً، التي سيكون عليها التركيز على الوضع الاقتصادي فقط، دون أن ننسى أنه سيكون عليها مواجهة القنبلة الديمغرافية الفلسطينية، والمناعة الشعبية العربية التي لا تُلزِم الشعوب الإقرار بشرعية إسرائيل، حتى وإن اعترفت الأنظمة بها، ومثال مصر والأردن خير دليل على ذلك، وبهذه المعطيات تبدو إسرائيل الخاسر الأكبر[٥]، وسيكون على إسرائيل تجرّع إحدى الكأسين المرّتين إذا ما استمر الضغط الأمريكي عليها، إذا ما أحسن العرب (أنظمة وحركات وأحزاباً) استثمار هذه الفرصة التاريخية، أما بخلاف ذلك، فقد تستطيع إسرائيل- كما دأبت العادة- التملّص، إذا لم يتم الضغط عليها بشكل حقيقي، وابتداع خيارات قد يكون منها على سبيل المثال:

a. الدخول في مفاوضات عبثية حول عملية سلام وهمية (محلية أو إقليمية) لإضاعة الوقت وتنفيس الضغوط.

b. شن حرب (والخيارات هنا تتراوح بين سوريا وإيران كحرب تقليدية أو بين لبنان وفلسطين كحرب غير تقليدية).

وفي هذا الخيار الأخير، وسواءٌ أكانت الحرب على أي من هذه الأطراف، فإنَّ كلاً من حزب الله وحماس سيقوم بالرد، كما أظهرت تصريحات قادة الطرفين، ولأن الحركة والحزب على علاقة بدرجات مختلفة بسوريا وإيران، فإن البيئة الإقليمية المتعلقة بكل منهما تحكم أيضاً تحركاتهما.

الإطار الدفاعي لحركات المقاومة

أولاً: مشهد حزب الله

يؤكد قياديو حزب الله، أنَّ استعداداتهم جارية لمواجهة أي عدوان، ويمكن وصف المشهد بعد حرب ٢٠٠٦ والإجراءات التي تمّ المضي فيها، بما يلي:

١- استغلال الاستقرار الذي وفّره القرار (١٧٠١) الصادر في ١٢ آب/ أغسطس عام ٢٠٠٦، على طرفي الحدود، من أجل إعادة بناء ما دمّرته الحرب، وإعادة ترتيب الأوراق الداخلية، وتهيئة السبل اللازمة لإعادة السكّان، وتحريك عجلة العمل لإعادة الحياة إلى المنطقة الجنوبية، وإعادة بناء قدرات الحزب العسكرية والتسلحيّة، والاستفادة من دروس الحرب السابقة.

٢- الانخراط في الدولة الرسمية، للاستفادة من الشرعية والاعتراف، ولتوظيف مقدرات الدولة في خططه، ومنع المجتمع الدولي من عزله أو استهدافه بشكل منفرد، بسبب صعوبة التمييز حينها بين الدولة والحزب.

٣- نجاح شعبة المعلومات في الأمن العام اللبناني في اكتشاف عدد كبير من الشبكات الإسرائيلية وتفكيكها، وهو ما صب في صالح حزب الله والدولة اللبنانية.

٤- إعادة بناء القدرات العسكرية والميدانية وتتضمن[٦]:

a. بناء قوة تسليحية.

b. تعويض ما فقده خلال الحرب بنسبة تُقدَّر بـ١٥٪ من مقاتليه.

c. تركيز وسائله القتالية على الصواريخ المزودة برؤوس متفجرة من النوع المطوَّر؛ حيث تتحدث لغة الأرقام الإسرائيلية عن امتلاك الحزب ٤٢ ألف صاروخ تقريبا.
d. إجراء تدريبات تأهيلية لمقاتليه، وإخضاعهم لتدريبات ميدانية قاسية على أنماط «حروب العصابات والاستنزاف».
e. إجراء «مناورات» اختبارية لفحص مدى جاهزية الحزب لمواجهة جهة افتراضية مع إسرائيل، وهو ما سجلته المعلومات الأمنية المتوفرة لدى جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية المعروف باسم «أمان»،

لكنّ ذلك لا يعني أن حزب الله لا يواجه مشاكل في استعداداته الدفاعية لمواجهة أي عدوان إسرائيلي، فثمة اعتبارات متعددة، من أبرزها:

- عدم القدرة على حشد الطاقات العسكرية في الجبهة المواجهة مباشرة لإسرائيل شمال خط الليطاني، نتيجة للوضع الناجم عن حرب تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦، وهو ما كان الإسرائيلي يريد تحقيقه في الحرب.
- اغتيال القائد العسكري الأرفع في حزب الله عماد مغنيّة، وذلك في عملية معقّدة في دمشق في ١٢ شباط/ فبراير عام ٢٠٠٨.
- فشل كل محاولات الانتقام التي بلغت وفق بعض المصادر أكثر من ٢٦ محاولة للثأر(٧)(٨).
- هشاشة الجبهة اللبنانية الداخلية، نتيجة لأخطاء الحزب على الجبهة الداخلية، وأدى ذلك إلى خسارة تحالفه في الانتخابات النيابية الأخيرة.
- مراقبة إسرائيل لطرق الإمداد الخاصة بالحزب؛ إذ اعترضت البحرية الإسرائيلية في أواخر عام ٢٠٠٩ سفينة على متنها خمسة وخمسين طناً من الأسلحة الإيرانية، كانت في طريقها إلى حزب الله(٩).

ثانياً: مشهد حماس

ترى حماس في محافظتها على القدرات العسكرية عنصراً أساسيّاً في صراعها مع إسرائيل، وترى تل أبيب أن سلم الأولويات العسكري لدى الحركة يعتمد بعد حرب ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ على السعي لتعزيز(١٠):

- قوتها البشرية، من خلال تأهيل مقاتليها، وتعيين قادة ميدانيين جدد، وترميم الوحدات العسكرية عبر تجنيد المزيد من المتطوعين.
- توفير أنواع أسلحة جديدة وبكميات كبيرة، لاسيما المتميزة بقدرات نوعية، كالصواريخ بعيدة المدى التي قد تهدد عمق إسرائيل، إضافة إلى محاولة إيصالها إلى قطاع غزة بكل الطرق الممكنة.
- توثيق التعاون أكثر مع إيران وحزب الله، وسوريا، للحصول على التمويل المالي، والتدريب العسكري، والتسلّح المطلوب، لتعويض ما فقدته في ميدان المعركة، كما تبذل الحركة جهداً مكثفاً لتكبيد إسرائيل «ثمناً باهظاً» من خلال أعمال فدائية ينفذها نشطاؤها في الضفة الغربية، مع حذرها الشديد كي تتجنب ردّاً إسرائيليّاً كبيراً.
- الاعتماد على شبكة الأنفاق الموجودة على الحدود مع مصر، واتخاذها متنفساً لها ولغزة، للتخفيف من آثار الحصار المفروض عليها.

وفي هذا السياق تشير المخابرات الإسرائيلية إلى أن حماس أعادت بناء ترسانتها بأكثر مما كانت عليه وقت الحرب؛ وبحسب تقديراتها، تمتلك حماس اليوم(١١).

- صواريخ يصل مداها إلى ستين كيلومتراً، وهي قادرة على الوصول إلى تل أبيب وإلى عدد كبير من مستوطنات «غوش دان» في وسط إسرائيل، ولديها قدرة صاروخية تصل إلى ثمانين كيلومتراً، قادرة على إصابة مدينة هرتسليا والقدس الغربية.
- مراكمة ما يزيد على ثلاثة آلاف صاروخ «قسّام» قصير المدى؛ أي أنها زادت في عام واحد ضعف ما كان لديها عشية عدوان عام ٢٠٠٨، ومن ضمن منظومة الصواريخ التي تمتلكها، مئات من صواريخ «غراد»، التي يصل مداها إلى ٤٠كم.
- محاولة امتلاك وسائل قتالية في مجالات الدفاع ضد سلاح الجو، من ضمنها محاولات تهريب تشمل صواريخ مضادة للطائرات، وتشير مصادر أمنية إسرائيلية (بحسب صحيفة «يديعوت أحرونوت» الصادرة بتاريخ ١٢/ ١١/ ٢٠٠٩) إلى أن «تقديرات المؤسسة الأمنية، تشير إلى أن حركة حماس استطاعت بعد الحرب على غزة إدخال صواريخ مضادة للطائرات»، ويقول ضباط إسرائيليون إن «حماس تمكنت بالفعل من تهريب صواريخ مضادة للطائرات إلى القطاع، تمكّنها من نصب كمائن للمروحيات

الحربية الإسرائيلية، وأيضاً للطائرات التي تحلّق على ارتفاع منخفض».

- إيلاء موضوع الحصول على صواريخ مضادة للدبابات، ومنها صواريخ متطورة، وعبوات ناسفة شديدة الانفجار، أهمية كبرى، خاصة العبوات من نوع «شاوزر» القادرة على اختراق حاجز فولاذي سمكه ٢٠٠ملم.

العامل الإيراني والسوري

في الإطار الإقليمي أيضاً، لا يمكننا فصل ما يجري على الصعيد الإيراني والسوري عن كل من حزب الله وحماس؛ إذ يحظى الطرفان بدعم طهران ودمشق، وهو دعم يختلف باختلاف العلاقة التي تربط كلاً من حزب الله وحماس[١٢] بشكل فردي بالنظامين، وبطبيعة الدور الذي يؤديه كلٌّ منهما في وجه إسرائيل، والهدف المطلوب منه.

ومن المعلوم أنّ إيران دولة إقليمية لها وزن معين في المنطقة، ولها مشروعها الخاص أيضاً، وساحته المنطقة العربية[١٣]، فقد استغلت إيران التحولات التي طرأت على المنطقة منذ عام ٢٠٠١، والتي تمثلت باحتلال الولايات المتّحدة لأفغانستان والعراق، الأمر الذي شكّل فرصة تاريخية لها، وساعدها على الخروج من القمقم الجيوبوليتكي الذي كان يشكّل كماشة تحجّمها وتمنعها من التمدد[١٤]، وقد اعتمدت على ثلاثة عناصر أساسية لإعطاء مشروعها الدفع المطلوب إقليمياً، وتتمثل هذه العناصر بـ: بناء قوة عسكرية تقليدية، والعزف على وتر القضية الفلسطينية كقضية شعبية، واختراق الساحات العربية شعبياً وحزبياً[١٥].

وتتنافس إيران وإسرائيل اليوم ضمن دائرة التوسّع في العالم العربي، وتخشى طهران أن يؤدي أي سلام بين إسرائيل والعرب إلى تهميشها وعزلها إقليمياً، فهي ترى أنّ أي مشروع سلام سيضرب مصالح إيران الاستراتيجية في العمق في هذه المنطقة، ويبعد الأطراف العربية عنها، ولا سيما سوريا، مما يؤدي إلى عزلها استراتيجياً.

وفي المقابل، لا تسعى طهران إلى خوض حروب مباشرة مع إسرائيل لإثبات تفوقها الإقليمي، وإنما تعمد إلى استغلال بعض الحركات والأحزاب واتخاذها وكيلاً (Proxy) ورافعة لتحقيق أهدافها الخاصة، عبر تجيير نتائج وانعكاسات هذه المواجهات لصالحها، مما يسمح لها بالمطالبة بحصّتها في المنطقة[١٦].

ومن هذا المنطلق، تعتمد إيران في سياستها الإقليمية على «التوتير المضبوط»، ولذلك

فمن غير المستبعد أن تلجأ إلى دفع حزب الله أو حماس إلى المبادرة في مواجهة إسرائيل، إذا اقتضت مصلحتها ذلك، وقد سبق وأن تركت بصماتها في دفع الجهتين في حرب عام ٢٠٠٦ و٢٠٠٩عام أيضاً.

ففي حرب العام ٢٠٠٦، تزامنت عملية خطف حزب الله الجنديّين مع فشل محادثات خافيير سولانا مع إيران حول برنامجها النووي، الذي كان قد وصل إلى منعطف خطير، تمثّل في مناقشة أول مشروع عقوبات في مجلس الأمن ضد إيران، كما قام الطيران الإسرائيلي بالتحليق فوق القصر الرئاسي للرئيس بشّار الأسد في قلب سوريا وعمقها(١٧).

وفي حرب العام ٢٠٠٩، كانت إيران اللاعب الإقليمي الوحيد الذي شجع على عدم تجديد اتفاق الهدنة بين حماس وإسرائيل، بالرغم من كل المناشدات والجهود الإقليمية والدولية وخاصة الروسيّة(١٨).

وقد يتكرر الدفع الإيراني في هذه المرحلة، وقد تكون إمكانية حصول ذلك أعلى في حالة:

- حصول تقدّم في المفاوضات المتعلقة بعملية السلام لا تأخذ بالحسبان وضع إيران الإقليمي، وتتم من دون انخراطها أو مشاركتها.
- فرض عقوبات قاسية على إيران تتعلق ببرنامجها النووي، بشكل يؤدي إلى إيذاء النظام الحاكم، بغض النظر عمّا إذا كانت عقوبات جماعية يتم الاتفاق عليها في مجلس الأمن، أو عقوبات فردية يتم تطبيقها بموجب تشريعات أمريكية وأوروبية.
- الحاجة إلى مزيد من الوقت اللازم للمضي قدماً في البرنامج النووي في حال كان الهدف منه الوصول إلى قنبلة نووية.
- حصول هجوم إسرائيلي أو أمريكي على إيران بسبب التعقيدات المتعلقة ببرنامجها النووي أو طموحها في الشرق الأوسط.

وكما لإيران حساباتها، فلسوريا حسابات خاصة أيضا فيما يتعلق بارتباطها مع حزب الله وحركة حماس، وقد شهد شهر آذار/ مارس عام ٢٠١٠ حركة رباعية نشطة بين سوريا وإيران وحزب الله وحماس، كانت دمشق محورها الأساسي، خاصّة بعد التصعيد الإسرائيلي

الكلامي الذي جسّدته تصريحات وزير الخارجية ليبرمان مهدداً الرئيس السوري بخسارة الحرب والسلطة في حال اندلاع أي حرب جديدة[١٩].

لقد تم ترتيب اجتماع ثنائي بين رئيسي كل من إيران وسوريا، وانضم إليهما فيما بعد أمين عام حزب الله حسن نصر الله، ودُعيت فصائل المقاومة الفلسطينية، يتقدّمها خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس للانضمام إلى اللقاء، وتبع ذلك عقد مؤتمر في طهران لبحث مستقبل القضية الفلسطينية، وقد افتتحه المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية مرشد الثورة السيد علي خامنئي، مما شكل رسالة تُعزز ما حدث في دمشق، وقد أُعلِن فيه أن ما يسمّى منطقة الشرق الأوسط «منطقة إسلامية»، وخصّ خامنئي كلاً من خالد مشعل، ورمضان شلّح أمين عام حركة الجهاد الإسلامي بلقاء جانبي[٢٠].

الإطار الهجومي لحركات المقاومة

أولاً: مشهد حزب الله

تبذل كل من سوريا وإيران جهوداً لضمان توظيف الحركات فيما يخدم منظورهم الخاص، وهو ما ينذر بإمكانية دفعهم إلى الواجهة مع إسرائيل من جديد، وتشير المصادر الإسرائيلية إلى خطوات اتّخذها البلدان في هذا الإطار منها[٢١]:

- محاولة تزويد حزب الله بصواريخ جديدة أرض- أرض، كصواريخ «فجر ٥»، التي يبلغ مداها ٣٥٠كم، وصواريخ من نوع «M-600» التي تصيب أهدافها بدقة، وتُعدَّ تلك الصواريخ نسخة منقولة عن صواريخ «فتح ١١٠» التي يبلغ مداها ٢٥٠كم، وتصيب أهدافها بدقة، وتعمل بالوقود الصلب، وتزن رؤوسها ٥٠٠كغ من المتفجرات.
- تدريب عناصر من حزب الله تقدر بخمس كتائب كوماندوز، على القيام باحتلال أراضي شمال إسرائيل مثل نهاريا (أو مناطق في الجليل الأعلى)، وذلك في حال توغلت قوات جيش الاحتلال الإسرائيلي داخل الحدود اللبنانية.
- يقوم السوريون بجهود كبيرة لبناء ذراع عسكرية لحزب الله مضادة للطائرات، وحسب المصادر فقد أنهى عناصر الحزب تدريبات على كيفية تشغيل صواريخ مضادة للطائرات، ومن بينها صواريخ متطورة تحمل على الكتف.
- أقام السوريون لحزب الله ذراعاً عسكرية مضادة للسفن الحربية، لمواجهة أي قوات

إسرائيلية تحاول دخول الأراضي اللبنانية عبر البحر، حيث قام السوريون بتسليم الحزب صواريخ روسية الصنع من نوع «SS N-26 Yakhont» قادرة على إسقاط صواريخ بعيدة المدى أيضاً.

- أقام السوريون والإيرانيون في أماكن عدَّة في لبنان خطوطاً دفاعية ضد الدبابات، مرتبطة بطرق خاصة لحزب الله، يستخدمها وقت اندلاع الحرب، كما أقاموا شبكة اتصالات عسكرية متطورة.

ولا شك في أنّ دفع حزب الله أو حركة حماس إلى مواجهة إسرائيل لأجندات خاصة بالدول الداعمة يمكن أن يأخذ أشكالا كثيرة، وتغطيات أكبر، كأن يكون تحت عنوان الانتقام لمقتل مغنية أو المبحوح، أو لأغراض أخرى، كما أنه قد يحدث بناءً على خطأ في الحسابات أو تصور خاطئ لمجريات الأمور (تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦ نموذجاً).

لكن، يعتقد أنّ الأمر لن يكون سهلاً، وأنَّ عدداً من العوامل قد تمنع الحزب من المبادرة والتحرّك للهجوم على إسرائيل من بينها على سبيل المثال:

- الوضع في الداخل اللبناني منقسم بالرغم من الصورة التي تحاول الأطراف السياسية جميعاً الظهور فيها بعد الانتخابات النيابية الأخيرة، التي كرّست انتصار الأغلبية[٢٢]، فالقواعد الشعبية لا زالت منقسمة بشكل عميق سياسياً وطائفياً، بالرغم من المحاولات الحثيثة المبذولة من مختلف الأطراف للحد من التوتر السياسي والمذهبي، فأعمال ٧ أيار/ مايو عام ٢٠٠٨ لا زالت ماثلة في ذهن شريحة واسعة من اللبنانيين[٢٣]، والتي صوتت في الانتخابات الأخيرة لصالح ضرورة البحث في مصير سلاح حزب الله وبناء الدولة اللبنانية[٢٤].
- البيئة الشيعية الحاضنة لحزب الله، فبالرغم من تحسن وضعها، إلا أنها لم تهضم بعد كلياً الآثار السلبيّة الناجمة عن عدوان تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦، وجزء منها لم يعد إلى المباني الحديثة التي تمّ إعادة تشييدها[٢٥]، وشريحة واسعة لا تزال تعاني من وضع اجتماعي ومالي صعب جداً، مما أدى إلى انتشار سلوكات اجتماعية خطيرة، كازدياد الإدمان على المخدرات، والسرقات وانتشار البطالة، والفوضى الاجتماعية، وهو ما دفع حزب الله إلى الاستعانة بالدولة لمعاجلة هذا الوضع، الذي بدأ يخرج عن سيطرته عبر ما يعرف باسم

حملة «النظام من الإيمان»[٢٦].

- الوضع المالي المتردي الذي يعانيه لبنان، والخسائر الفادحة المباشرة وغير المباشرة التي تكبدها، والأضرار التي لحقت به نتيجة لاعتصام «المعارضة» في الوسط التجاري، إضافة إلى الخسائر الفادحة التي مني بها الوسط الشيعي اثر إفلاس «صلاح عز الدين»[٢٧] المقرَّب جداً من حزب الله- نتيجة تراكمات متعددة الجوانب، من بينها بالتأكيد، حرب تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦- والذي خسر ما بين نصف مليار إلى مليار ونصف من أموال الشيعة تعود إلى حوالي ١١ ألف مستثمر، وبما يساوي تقريباً ٥٠ ألف متضرر، من بينهم قيادات بارزة في حزب الله (من بين الأسماء الواردة: النائب محمد رعد رئيس كتلة حزب الله النيابية، عضو الكتلة أمين شري، ومسؤول لجنة الارتباط والتنسيق في الحزب وفيق صفا، النائب في كتلة حزب الله حسين الحاج حسن)[٢٨].
- الفساد وانتشار المخدرات بشكل كبير في الداخل اللبناني بين مختلف فئاته وطوائفه لا سيما الطائفة الشيعية، نتيجة الأوضاع المأساوية والتقلبات التي تعيشها هذه الطائفة، خاصة بين فئات الشباب، إلى درجة تحذير الأمين العام لحزب الله من مخاطرها بعدما خرج الوضع عن السيطرة، وهو الأمر الذي دفع الحزب إلى الاستعانة بالدولة وإعطاء الضوء الأخضر لها لدخول مناطق ما كانت تستطيع دخولها قبلاً، واعتقال مجرمين، خاصة في بعلبك والهرمل والضاحية الجنوبية.
- إمكانية أن يكون الرد غير تقليدي على الدول الداعمة، فقد تلجأ إسرائيل إلى الرد على أي هجوم يقوم به حزب الله، بمهاجمة سوريا على سبيل المثال، وهو أمر وارد إذا وجدت إسرائيل أنّ استهداف جيش تقليدي ودولة كاملة أكثر ربحيّة من مهاجمة مجموعة في حرب غير متكافئة، ليس فيها من مكاسب عالية، أو قد يتم استهداف لبنان بأكمله أيضاً.
- الوضع العربي الرسمي الآن لا يستطيع تقبّل حرب من هذه الأنواع لا تتم بناءً على قرار جماعي، لا سيما في وقت يحاول فيه التحرّك كتلة موحّدة، من خلال وسائل وقنوات أخرى بالتفاهم مع الإدارة الأمريكية وفريق الرئيس أوباما، وأي اندفاع أو مبادرة اليوم من الحركات أو الأحزاب الموجودة على الساحة باتجاه إسرائيل عسكرياً سينظر إليها على أنها مدفوعة من الخارج، بهدف تخريب الوضع والجهود العربية المشتركة، على

الأقل خلال الأربعة أشهر القادمة، وما سينتج عنها بعد ذلك من تقييم[٢٩].

كل هذه العوامل وغيرها، إضافة إلى التداعيات المدمّرة التي تركتها تجربة حرب تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦ على وضع البيئة الحاضنة لحزب الله وعلى لبنان جميعه، ستجعل من إمكانية أن يبادر حزب الله بهجوم على إسرائيل (سواء بدافع فردي أو بإيعاز سوري أو بأمر إيراني) أمراً في غاية الصعوبة.

ثانياً: مشهد حماس

وكما حزب الله، يبدو وضع حماس مشابهاً من هذه الناحية بل أكثر صعوبة، نظراً للتماس المباشر بين إسرائيل والأراضي الفلسطينية في القطاع، إضافة إلى عدم توافر الوقت الكافي بعد لإعادة بناء القدرات الذاتية واستنهاض البيئة الشعبية:

- فوضع القطاع لا يزال صعباً في ظل الحصار الذي ما زال مفروضاً على غزة، والوضع الاقتصادي والاجتماعي لسكّانه الذين يعتبرون البيئة الحاضنة لحماس سيئة للغاية، حتى بعد مرور أكثر من عام على العدوان الإسرائيلي؛ إذ يوصف الوضع الاقتصادي لغزّة عقب مرور عام على الحرب الأخيرة بأنه كان الأشد سوءاً وتدهوراً منذ قيام السلطة الوطنية في العام ١٩٩٤[٣٠].
- هناك انقسام فلسطيني داخلي حاد جداً، ولا تزال التوترات قائمة بين أكبر فصيلين حماس وفتح، ولم يتم إلى الآن توقيع اتفاق المصالحة الذي كانت توصلت إليه مصر.
- هناك حذر في مرحلة إعادة ترميم القدرات، خاصّة في ظل سياسة الاغتيال التي لجأت إليها إسرائيل بعد العدوان، لذلك نلاحظ أنّ حماس تتجه إلى المحافظة قدر المستطاع الآن على الهدوء في القطاع، وعدم تصعيد الأمور مع إسرائيل عسكرياً من خلال:
  - الاعتراف أولاً بصعوبة الوضع، والحاجة إلى إعادة بناء الذات، نظراً للتبعات السلبية الضخمة التي نتجت عن العدوان الإسرائيلي.
  - الامتناع عن إطلاق الصواريخ[٣١]، ومناشدة مختلف الفصائل في القطاع والضغط عليهم لوقف إطلاق الصواريخ والحفاظ على الهدوء في هذه المرحلة الصعبة[٣٢]، تحت شعار الحفاظ على الجبهة الداخلية والمصلحة الوطنية العليا للشعب الفلسطيني، لإعطاء الناس فرصة في القطاع من أجل التقاط الأنفاس وإتاحة المجال

أمام إعادة الإعمار.

- إرسال رسائل طمأنة ودعوة إلى فتح حوار مباشر مع الإدارة الأمريكية، مع تأكيد عدم وجود معارضة لدى الحركة للقبول بفكرة دولة فلسطينية على حدود عام ٦٧ وعاصمتها القدس الشريف، وعودة اللاجئين، وإطلاق سراح الأسرى[٣٣].

مقاومة مع وقف التنفيذ

وقد أوصلت هذه المعطيات، التي تمّ طرحها أعلاه حول حزب الله وحماس نتيجة لتجربة العدوان الإسرائيلي في العامين ٢٠٠٦ و٢٠٠٩ إلى وضع باتت فيه المقاومة الآن ترى فيه ضرورة عدم المبادرة في مواجهة العدو، منكفئة باتجاه الداخل، ومحاولة تثبيت موقعها الداخلي، وهو ما أدى إلى الكثير من المشاكل، وقد خلق هذا الوضع حالة أصبحت ترى إسرائيل فيها أنّها استعادت قوّتها الردعيّة، ليس في وجه القوى التقليدية وحسب، وإنما غير التقليدية أيضا.

ويرى «يدلين» رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي «أمان» في تقرير له أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست أنّ إسرائيل، لا سيما جبهتها في الشمال والجنوب، تعيش هدوءاً أمنيّاً في السنة الأخيرة لم تشهد مثله منذ عشرات السنين، عازياً ذلك إلى عدد من الأسباب، من بينها استعادة إسرائيل قوتها الردعية التي فرضت على حزب الله وحماس أن يحسبوا لها ألف حساب قبل الإقدام على أي هجوم[٣٤].

وعليه، تشير الحسابات المنطقية إلى أنّ مختلف الأطراف تحتاج بشكل أو آخر إلى الاستفادة من الوقت المستقطع، لكن فترة الهدوء هذه هي استراحة تكتيكيّة، على الرغم من أنه من المستبعد أن تلجأ حماس أو حزب الله إلى المبادرة بهجوم (أقله خلال الفترة القليلة القادمة)، بانتظار حصول تطورات على مستوى أعلى وأكبر في المنطقة.

يبقى أن نشير إلى أنّ على المقاومة أن تعي عدداً من المعطيات الاستراتيجية، وتلتزم بها لتفادي الوضع الذي هي فيه، بينما تقوم بالاستعداد لدفع العدو والعدوان دوماً، ومنها:

- الحرص دوماً على الارتقاء بمستوى المقاومة إلى المستوى الشعبي الجامع، وليس التقوقع بكانتونات وتحويلها إلى مقاومة فئوية أو طائفية أو مصلحيّة.
- التأكد من عدم تحوّل المقاومة المسلحة إلى غاية، ووضعها في إطارها الصحيح بوصفها

وسيلة يمكن استخدامها، كما يمكن استخدام غيرها من الوسائل.

- ضرورة تحقيق التكامل بين الشق العسكري والشق السياسي التفاوضي، وعدم استبعاد أي وسيلة ممكنة مهما كان نوعها أو شكلها، إذا كان الهدف استرجاع الحقوق.
- احترام قدرات العدو وتفادي نقاط القوة لديه، من خلال اعتماد وسائل وأدوات ذكية، وإدراك الحجم الحقيقي للمقاومة وقدراتها، والحجم الحقيقي للعدو دون تهويل أو تهوين.
- عدم الانخراط في سياسيات محاور وتحالفات محليّة أو إقليمية لقاء الحصول على دعم مهما كان كبيراً، لأن من شأن ذلك أن يحوّل المقاومة إلى ورقة في بازارات السياسية الخاصة بالدول الداعمة، ويمكن الاستفادة من دروس التاريخ وهضم تجارب الماضي في هذا الإطار.
- احترام المعطيات والحقائق الجيو- سياسية القائمة، والحرص دوماً على الاستفادة من العمق الإقليمي السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وعدم الدخول في صراع مع دول وأنظمة ضمن هذا العمق مهما كان السبب، لأن من شأن ذلك أن يسبب مشاكل كبيرة، ويخلق شروخاً عميقة ستنعكس سلباً بالتأكيد على وضع المقاومة في المدى الطويل.
- الحرص دوماً على جمع الصف الشعبي والسياسي بوصفه أولوية تتقدم على مقاومة الاحتلال، وتوظيف مختلف الآراء والوسائل لتحقيق الغاية المنشودة، بعيداً عن سياسية استدرار تعاطف الناسً والتخوين التي تعزز الانقسام، وبالتالي تفيد العدو.
- الاعتماد على سياسة النفس الطويل، وسياسية تجميع النقاط وليس الارتجال والغضب والثأر وردة الفعل، والابتعاد ما أمكن عن السياسية الشعبوية «ديماغوجية ومزايدة» مع الحرص على السياسة الشعبية العامة.
- الحرص على عدم الغرق في وحول السياسة المحليّة للتنافس على السلطة، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى تعطيل المقاومة، والى تحويلها أداة يتم توظيفها لمكاسب سياسية للاحتفاظ بالسلطة.
- إعطاء الأولوية للمصلحة العامة للوطن وللشعب في الحرب والسلام، وليس للفئة أو الطائفة أو الحركة أو الحزب، وقياس الإنجازات دوماً استناداً إلى هذا المعطى، وليس إلى معطى حالة الحزب أو الحركة وكوادرها.

الهوامش

* المصدر: الباحث.

(١) انظر: David E. Johnson، Military Capabilities for Hybrid War: Insights from the Israel Defense Forces in Lebanon and Gaza، RAND، USA، 2010، p:5.

(٢) المشهد الشرق أوسطي على أعتاب العقد الجديد، موقع الجزيرة.نت، ٢٨/ ١/ ٢٠١٠، على الرابط التالي: www.aljazeera.net/NR/exeres/3A688BA8-5BB3-4308-AFCB-7AF6FD9F574A.htm.

* في شهادته أمام مجلس الشيوخ في منتصف آذار/ مارس ٢٠١٠، قال قائد القيادة الأمريكية الوسطى الجنرال ديفيد بترايوس: «إن النزاع الإسرائيلي الفلسطيني يقوض المصالح الأميركية في الشرق الأوسط... يزيد من المشاعر المعادية للولايات المتحدة بسبب فكرة محاباة الولايات المتحدة لإسرائيل...» ومثله ذكر أيضاً رئيس هيئة الأركان الأميركية الأدميرال مايكل مولن.

** يشير تقرير حديث لمؤسسة راند البحثية الأمريكية بعنوان: «اليوم التالي... في القدس: تمرين حول التخطيط الاستراتيجي على طريق تحقيق السلام في الشرق الأوسط» إلى أنّه يجب أن يتم التعامل مع النزاع العربي-الإسرائيلي كواحد من المواضيع الأكثر أهمية على رأس أولويات الأمن القومي الأمريكي في هذه المرحلة.

(٣) علي حسين باكير، المبادرة الأمريكية للتسوية السياسية للقضية الفلسطينية في عهد أوباما: فرصها واتجاهاتها، مجلة دراسات شرق أوسطية، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، العدد٤٩، خريف ٢٠٠٩، ص٨٦.

(٤) نفس المرجع السابق.

(٥) نفس المرجع السابق، ص٨٦-٨٧.

(٦) قراءة في تقرير إسرائيلي: إستراتيجية الجيش الإسرائيلي في مواجهة حماس وحزب الله، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، ٦/ ٤/ ٢٠١٠.

(٧)في عام ٢٠٠٨، أدين اثنان من ناشطي حزب الله وعدة مواطنين أذربيجانيين بالتخطيط للقيام بهجمات ضد السفارات الأميركية والإسرائيلية في باكو وحكم عليهم بالسجن خمسة عشر عاماً، وفي العام نفسه، أحبطت السلطات التركية ما لا يقل عن ستة محاولات كان حزب الله قد خططها لاستهداف إسرائيليين وربما الجالية اليهودية المحلية، وقد ورد في وسائل الإعلام بأن عملاء استخبارات إيرانيين كانوا يساعدون المجموعة على إنشاء شبكة عملاء يقومون بالتنكر كسياح، كما تمّ الكشف عن خلية حزب الله في مصر.

(٨) يشير البعض الى تنفيذ حزب الله أكثر من ٢٦ محاولة للثأر، للتفاصيل راجع: (عامان على اغتيال الحاج عماد مغنيّة:العدو الإسرائيلي يشن أضخم حرب أمنية ضد المقاومة)، اللواء، الأردن، تاريخ ١٦/ ٢/ ٢٠١٠.

(٩) انظر:

Dinner in Damascus: What Did Iran Ask of Hizballah?، David Schenker and Matthew Levitt، The Washington Institute for Near East Policy، Policy Watch

2010.،March 2،#1637

(١٠) قراءة في تقرير إسرائيلي، مرجع سابق.

(١١) بعد عام على «الجنون المصبوب» على غزة حماس ٢٠١٠ = حزب اللّه ٢٠٠٦، صحيفة الأخبار اللبنانية، الأربعاء، ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٩.

(١٢) تبعية حزب الله لإيران تبعية عضوية بحكم الالتزام بالولي الفقيه، وتختلف عن العلاقة بين حماس وإيران وحماس وسوريا ٢٠٠٩.

(١٣) من تجليات هذا المشروع التي تخرج بين الفينة والأخرى الى العلن، دعوة الأمين العام لحزب الله الإيراني وعضو مجلس صيانة الدستور السيد محمد باقر خرازي في منتصف أيار/ مايو ٢٠١٠ الى «إيران الكبرى» لتمتد من أفغانستان إلى فلسطين وتحكم الشرق الأوسط وآسيا الوسطى بما يؤدي إلى تدمير إسرائيل والدول المنافسة المجاورة لإيران (الدول العربية) وظهور المهدي المنتظر.

(١٤) يقول مثلاً الباحث الإيراني وخبير في السياسة الخارجية الإيرانية في طهران «فرزاد بيزيشكبور» في مقال له بعنوان «إيران وميزان القوى الإقليمي»: «إن النظام العراقي بقيادة صدام حسين لم يعد موجوداً اليوم، أمّا النظام الثاني المعادي لإيران والمتمثل بنظام طالبان الأفغاني فقد تمّ التخلص منه، واليوم فإن القادة الجدد للعراق وأفغانستان أكثر قرباً لإيران من أي طرف آخر، وبدلاً من صدام لدينا الآن رئيس عراقي غير عربي وفخور بمعرفته وإتقانه اللغة الفارسية، وعدد كبير من أعضاء الحكومة العراقية والبرلمان العراقي كانوا قد أمضوا سنوات طويلة في إيران وأنجبوا أولاداً لهم هنا ودخلوا مدارس طهران وتعلموا بها، كذلك يحتل الشيعة اليوم في العراق ولبنان والبحرين مواقع مهمة داخل الأنظمة السياسية لبلدانهم مما يعطي إيران كنتيجة لذلك اليد العليا في المنطقة».

(١٥) علي حسين باكير، الاستثمار العربي في المشروع الإقليمي التركي، صحيفة الحياة اللندنية، تاريخ ٦/ ٤/ ٢٠١٠، على الرابط التالي: http://alibakeer.maktoobblog.com/1599519.

(١٦) للمزيد من التفاصيل، راجع: تريتا بارزي، حلف المصالح المشتركة: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتّحدة، ترجمة أمين الأيوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٤٨.

(١٧) للتفاصيل حول حرب تموز ٢٠٠٦ والعلاقة بين إيران وحزب الله، راجع: علي حسين باكير، حزب الله تحت المجهر: رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إيران وإسرائيل، (كتاب الكتروني)، إصدارات الراصد.

(١٨) للتفاصيل راجع: علي حسين باكير، الحسابات الإيرانية في العدوان الإسرائيلي على غزّة، معهد المشرق العربي، بتاريخ ١٤/ ١/ ٢٠٠٩، متوافر على الرابط التالي:

http://alibakeer.maktoobblog.com/1591108

(١٩) وزير خارجية إسرائيل «يصعد» التوتر الكلامي مع دمشق، موقع بي بي سي العربي، الخميس، ٤ فبراير/ شباط ٢٠١٠، على الرابط التالي:

.www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/02/100204_israel_syria_politics_tc2.shtml

(٢٠) التحالف الثلاثي والتوازنات الجديدة في المنطقة، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، ١٤/ ٣/ ٢٠١٠.

(٢١) جدار صواريخ يطول كل إسرائيل.. وقوات برية تخترق الجليل، صحيفة الدار الكويتية، الأحد ٩/ ٥/ ٢٠١٠.

(٢٢) لبنان أمام حقائق الواقع مجدداً: سلاح حزب الله وصراع المناصب والطوائف، سي إن إن العربية، ٨/ ٧/ ٢٠٠٩، على الرابط التالي:

.http://arabic.cnn.com/2009/lebanon.2009/6/9/lebanon.next/index.html

(٢٣) انظر على سبيل المثال: عيّنة من تداعيات «٧ أيار»، لبنان الآن، تاريخ ٥/ ١١/ ٢٠٠٩، على الرابط التالي:

.www.nowlebanon.com/arabic/NewsArchiveDetails.aspx?ID=124475

(٢٤) للمزيد حول مرور سنتين على استخدام حزب الله سلاحه في الداخل اللبناني، راجع: كلما تعاظمت قوة السلاح.. تعاظمت القوة المدنية للشعب اللبناني، يا بيروت، ٧/ ٥/ ٢٠١٠، على الرابط التالي:

http://yabeyrouth.net/content/view/46236/85

(٢٥) انظر: الهجرة المعاكسة..، تحقيق، موقع لبنان الآن، بتاريخ ٦/ ٣/ ٢٠١٠، على الرابط التالي:

www.nowlebanon.com/arabic/NewsArchiveDetails.aspx?ID=151356

(٢٦) انظر: «النظام من الإيمان»، تحقيق، موقع لبنان الآن،ج١+ ج٢، ١٨/ ١١/ ٢٠٠٩، و١٦/ ١/ ٢٠١٠، على الرابط التالي:

www.nowlebanon.com/arabic/NewsArchiveDetails.aspx?ID=127247

www.nowlebanon.com/arabic/NewsArchiveDetails.aspx?ID=138803

(٢٧) انظر: صلاح عز الدين، تحقيق، موقع لبنان الآن، ج١+ج٢، ٤ و ٢٣ أيلول ٢٠٠٩، على الرابط التالي:

www.nowlebanon.com/arabic/NewsArchiveDetails.aspx?ID=112416

www.nowlebanon.com/arabic/NewsArchiveDetails.aspx?ID=115653

(٢٨) إفلاس الحاج صلاح عز الدين يكشف عن تتبع دولي لأموال حزب الله، ٥/ ٩/ ٢٠٠٩، على الرابط التالي: .http://alrouwwad.com/news.php?id=22289

(٢٩) انظر في الطرح العربي: انطلاق المفاوضات غير المباشرة، أخبار الجزيرة.نت، ٩/ ٥/ ٢٠١٠، على الرابط التالي:

www.aljazeera.net/NR/exeres/0998675F-7DA9-4595-ACCD-9DBFBC9E6ED8.htm

(٣٠) اقتصاديون ومسؤولون: الوضع الاقتصادي في قطاع غزة العام الحالي.. هو الأسوأ منذ قيام السلطة، صحيفة الأيام الفلسطينية، ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٩، على الرابط التالي:

.www.al-ayyam.ps/znews/site/template/article.aspx?did=129793&date=12/26/2009

(٣١) حكومة حماس: وقف الصواريخ ضرورة وطنية، وكالة الأنباء الايطالية، ١٣/ ٤/ ٢٠١٠، على الرابط التالي: www.adnkronos.com/AKI/Arabic/Politics/?id=3.1.247860346.

(٣٢) القسام كانت قد أعلنت توافق الفصائل عليه: فصائل تنفي اتفاق وقف إطلاق الصواريخ، أخبار الجزيرة.نت، ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٩، على الرابط التالي:

www.aljazeera.net/NR/exeres/7816D2F9-DDD3-4549-B7A5-A98EABECE23F.htm.

www.islammemo.cc/akhbar/arab/2009/11/22/90771.html.

(٣٣) حكومة هنيّة تحمّل وفدا أمريكا رسائل لإدارة أوباما، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٣/ ٥/ ٢٠١٠.

(٣٤) للمزيد من التفاصيل انظر: (الاستخبارات الإسرائيلية: الصراعات الفلسطينية الداخلية تمنحنا هدوءاً غير مسبوق منذ سنوات)، صحيفة الشرق الأوسط، ٤/ ١١/ ٢٠٠٩.

الفصل الثاني

إمكانات واحتمالات اندلاع الحرب

- الورقة الأولى

قراءة في المشاهد السابقة لحروب (٢٠٠٣ – ٢٠٠٩)

- الورقة الثانية

إمكانات الأطراف وإراداتها في شن الحرب وتداعياتها

الورقة الأولى

قراءة في المشاهد السابقة لحروب (٢٠٠٣ – ٢٠٠٩)

أ. عاطف الجولاني*

الوقوف عند نتائج المواجهات العسكرية التي وقعت في السنوات الأخيرة في كل من لبنان وفلسطين والعراق، وكذلك قرع طبول الحرب في المنطقة ربيع عام ٢٠٠٧، أمر بالغ الأهمية في قراءة احتمالات اندلاع مواجهات جديدة خلال الفترة القادمة في منطقة تميزت بالسخونة على الدوام.

المشهد الأول: العدوان على العراق عام ٢٠٠٣

في ٢٠ آذار/ مارس عام ٢٠٠٣ بدأ العدوان الأمريكي على العراق، وفي ٩ نيسان/ أبريل عام ٢٠٠٣ أعلنت القوات الأمريكية بسط سيطرتها على العراق وإنهاء نظامه السياسي، وأطلقت على الحرب تسميات متعددة، منها: «حرب العراق» و«حرب الخليج الثالثة» و«العدوان على العراق»، فيما أطلقت الولايات المتحدة على الحرب اسم «عملية تحرير العراق» في محاولة لإضفاء بعد أخلاقي على أعمال التدمير التي مارستها بحق العراق، والتي أسفرت عن قتل مئات آلاف العراقيين، وتدمير البنى التحتية.

مسوِّغات العدوان

ساقت إدارة المحافظين الجدد جملة من الذرائع لتسويغ عدوانها، ولإقناع الشارع الأمريكي والرأي العام العالمي بشرعية حربها على العراق، ومن هذه المسوغات:

١- إصرار النظام العراقي السابق على عدم تطبيق قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالسماح للجان تفتيش الأسلحة بمزاولة أعمالها في العراق.

٢- استمرار النظام العراقي السابق بتصنيع «أسلحة دمار شامل» وامتلاكها، وعدم تعاون القيادة العراقية بتطبيق قرارات الأمم المتحدة بخصوص إعطاء بيانات عن ترسانتها من أسلحة الدمار الشامل، وكانت هذه الذريعة من أهم المسوغات التي

* رئيس تحرير صحيفة السبيل اليومية الأردنية.

ساقتها الإدارة الأمريكية لتسويغ عدوانها.

٣- وجود علاقة بين نظام صدام حسين وتنظيم القاعدة المتهم بتنفيذ هجمات ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة.

٤- توفير الحرية للشعب العراقي، ونشر الديمقراطية في المنطقة، وتقديم العراق نموذجاً للإصلاح والحرية والديمقراطية التي ترغب الولايات المتحدة بتعميمها في المنطقة.

تهاوي الذرائع

وقد ثبت فيما بعد تهاوي جميع المسوِّغات التي ساقتها إدارة الرئيس جورج بوش لشن الحرب؛ إذ تأكد بصورة قطعية عدم امتلاك العراق أسلحة دمار شامل، وتهاوت جميع الأدلة التي لفقتها المخابرات الأمريكية لخداع مجلس الأمن بهذا الخصوص، كما فشلت إدارة بوش في إثبات وجود أي علاقة بين النظام العراقي السابق وتنظيم القاعدة.

أما الحرية والديمقراطية التي وعدت العراقيين بها، فقد تأكد أنها لم تكن أكثر من أكذوبة كبرى؛ إذ لم ير منها العراقيون سوى القتل والتشريد والتدمير، وغياب الأمن وسيطرة منطق المحاصصة الطائفية، وثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الفوضى الخلاّقة التي تحدثت عنها وزيرة الخارجية الأمريكية في حينه كونداليزا رايس لم تكن سوى فوضى مدمرة وهدّامة.

وإذا كانت إدارة بوش خططت لأن يكون العراق منطلقاً لإعادة رسم الخرائط السياسية والجغرافية للمنطقة على المقاس الأمريكي، فإنَّ الحرب تحولت إلى واحدة من أكبر الحماقات الأمريكية في العقود الأخيرة، بما أحدثته من انعكاسات مدمرة على المصالح الأمريكية وعلى صورة الولايات المتحدة في العالم، وأضحى الخروج من المستنقع العراقي وإصلاح صورة أمريكا في العالم، هدفاً رئيساً للإدارة الأمريكية اللاحقة، التي اعترفت بحجم الضرر الفادح الذي ألحقته الحرب على العراق بالمصالح الأمريكية الاستراتيجية.

لقد اتضح حجم الخطأ الكبير الذي ارتكبه بوش بتسرُّعه بإعلان النصر في العراق عقب تمكنه من إسقاط النظام العراقي السابق؛ فقد اندلعت أعمال مقاومة بطولية بعد أيام من إعلان النصر، استنزفت قوات الاحتلال الأمريكي وأجبرته في نهاية المطاف على وضع جدول زمني للخروج من العراق، بعد أن كبدته عدة آلاف من القتلى، وعشرات آلاف الجرحى، فضلاً عن خسائر مالية تجاوزت ٢ ترليون دولار.

المشهد الثاني: العدوان على لبنان عام ٢٠٠٦

اندلع العدوان الإسرائيلي على لبنان في ١٢ تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦ واستمر ٣٤ يوماً، وكان مقاتلو حزب الله نفذوا في ١٢ تموز/ يوليو عام ٢٠٠٦ عملية «الوعد الصادق» التي أسفرت عن قتل عدد من الجنود وأسر اثنين، تبين فيما بعد أنهما قتلا في أثناء العملية، واحتفظ مقاتلو حزب الله بجثتيهما.

وقد استغلت إسرائيل هذه العملية مسوِّغاً لشنِّ عدوان واسع على لبنان، استهدف المقاومين والسكان والبنى التحتية، ولم يتورَّع الجيش الصهيوني عن ارتكاب مجازر وحشية ذهب ضحيتها مئات المدنيين.

المسوِّغات

أعلنت إسرائيل هدفين لعدوانها على لبنان، **الأول:** تحرير الجنديين الإسرائيليين المختطفين، **والثاني:** معاقبة حزب الله والقضاء على قدراته الصاروخية من أجل توفير الأمن لسكان المستوطنات الإسرائيلية في الشمال.

وكان واضحا رغبة إسرائيل باستعادة قوة ردعها التي تآكلت عام ٢٠٠٠، بعد أن أجبرتها المقاومة على الهروب تحت جنح الظلام من الجنوب اللبناني.

وإذا كان حزب الله وإسرائيل الطرفين الواضحين في مشهد المواجهة، فإن القناعة كانت كبيرة بأن ثمة وجهاً آخر للمواجهة بين الولايات المتحدة من جهة، وبين سوريا وإيران من جهة أخرى، حيث سعت إدارة بوش لبسط سيطرة حلفائها المحليين على لبنان، في محاولة لتوجيه ضربة قوية للنفوذ السوري والإيراني.

فشل جديد

وبالرغم من الخسائر الهائلة في صفوف المدنيين اللبنانيين، وفي البنى التحتية، فشلت «إسرائيل» في تحقيق أي من أهدافها المعلنة، ومنيت الجبهة الداخلية الإسرائيلية بخسائر كبيرة، ونجحت صواريخ المقاومة في الوصول إلى كثير من المدن الفلسطينية المحتلة.

وعوضاً عن استعادة قوة الردع المتآكلة تعرضت هذه القوة لضربة جديدة مؤلمة، وشُكِّلت لجنة «فينوغراد» للتحقيق في أسباب الإخفاق في حسم نتيجة المعركة وتحقيق أهدافها المحددة.

المشهد الثالث: قرع طبول الحرب عام ٢٠٠٧

في ربيع عام ٢٠٠٧ شارك الآلاف من قوات الجيش والشرطة الإسرائيلية وخدمات الطوارئ والدفاع المدني في مناورات ضخمة، استمرت خمسة أيام، اعتبرت الأكبر من نوعها في تاريخ إسرائيل منذ إنشائها عام ١٩٤٨.

وقامت القوات المشاركة في المناورات بمحاكاة سلسلة سيناريوهات تشكل تهديداً للأمن الإسرائيلي، وفي مقدمتها التدرُّب على التعامل مع احتمال تعرض إسرائيل لإطلاق الصواريخ والقذائف الصاروخية من سوريا ولبنان وقطاع غزة في آن واحد، بحسب الإذاعة الإسرائيلية.

وفيما قامت القوات الأمريكية بحشد قوة بحرية كبيرة قبالة الشواطئ الإيرانية، هدَّد مسؤولون إيرانيون بالرد بقوة على مواقع الوجود الأمريكي في المنطقة، في حال تعرضت إيران لهجوم عسكري.

وثمة من رأى أن قرع إدارة بوش لطبول الحرب في ربيع عام ٢٠٠٧ كان له أهداف انتخابية، فقد كان المحافظون الجدد معنيين بتغطية إخفاقاتهم في العراق وأفغانستان، وبصرف أنظار الأمريكيين عن نعوش جنودهم التي توافدت على الولايات المتحدة، مفجّرة مشاعر غضب شعبي واسع.

وفيما كانت إسرائيل معنية بتوجيه رسائل تحذير إلى كل من سوريا ولبنان، فإنها لم تكن بعيدة عن تحريض المحافظين الجدد، الذين أظهروا تجاوباً كبيراً مع التخوفات الإسرائيلية من تنامي القدرات العسكرية الإيرانية.

وبالقدر الذي كان فيه التهديد بشن حرب على إيران حاجة أمريكية، كان في ذات الوقت حاجة إسرائيلية حرصت تل أبيب على عدم إخفائها.

وعلى الرغم من أن قرع طبول الحرب جعل الكثيرين يعتقدون أن الحرب في المنطقة على واحدة من الجبهات الساخنة، باتت قاب قوسين أو أدنى، فإن التهديدات المبادِرة توقفت عند تلك الحدود، ولم تتجاوزها إلى أعمال عسكرية، في إشارة إلى أن تعالي أصوات الحرب والاستعدادات العسكرية وإجراء المناورات وإطلاق التهديدات شيء، وأن قرار الحرب شيء آخر.

المشهد الرابع: العدوان على غزة مطلع العام ٢٠٠٩

شنت إسرائيل مطلع العام ٢٠٠٩ عدواناً عسكرياً واسعاً على قطاع غزة، شاركت فيه كافة وحدات الجيش الإسرائيلي، واستخدمت فيه قوة نار وتدمير هائلة، بهدف حسم نتيجة المعركة سريعاً، ما أسفر عن سقوط أكثر من ألف شهيد فلسطيني، فضلاً عن عدد كبير من الجرحى، كما ألحق العدوان دماراً هائلاً في البنى التحتية، وترك عشرات الآلاف من سكان القطاع بلا مأوى.

وتجنبت إسرائيل الإعلان عن أهداف محددة لعدوانها على غزة، في محاولة منها لتلافي تكرار سيناريو عدوانها السابق على لبنان، حيث تم الحكم بفشله لكونه لم ينجح في تحقيق الأهداف المعلنة، غير أن الحديث إسرائيلياً كان يدور بصورة غير مباشرة حول جملة من الأهداف الرئيسية، من أهمها:

- تحرير الجندي جلعاد شاليط الأسير لدى حماس.
- القضاء على حكومة حماس في قطاع غزة وإعادة السلطة فيه إلى السلطة الفلسطينية ولحركة فتح.
- ضرب القدرات الصاروخية للمقاومة الفلسطينية، وإضعاف قدرتها على تهديد المستوطنات الإسرائيلية في محيط القطاع.
- تحسين صورة الجيش الإسرائيلي، واستعادة قدرة الردع.

وبالنظر في نتائج العدوان، يتضح فشله الذريع في تحقيق أي من أهدافه، فقد بقي شاليط في الأسر، ولم ينجح العدوان في القضاء على حكومة حماس، وفي إضعاف القدرات الصاروخية للمقاومة، وظل أمن المستوطنات رهناً بقرار المقاومة بالتصعيد أو التهدئة، لا رهناً بقدرة الجيش الإسرائيلي على توفير الأمن لها.

أما قدرة الردع الإسرائيلية فتعرضت لضربة في الصميم، وباتت قدرة الجيش الإسرائيلي على تحقيق النصر وحسم المواجهة مع حركة مقاومة، موضع شك كبير.

خلاصات واستنتاجات

من خلال قراءة نتائج المواجهات العسكرية في العراق عام ٢٠٠٣، وفي لبنان عام

٢٠٠٦، وفي قطاع غزة عام ٢٠٠٩ وكذلك قرع طبول الحرب في العام ٢٠٠٧، يمكن الوقوف عند جملة من الاستنتاجات والخلاصات المهمة، التي تساعد في التنبؤ باحتمالات اندلاع مواجهة جديدة في المدى القصير المنظور، ومن هذه الخلاصات:

١- لقد أثبتت استراتيجية الحروب الاستباقية التي اعتمدتها إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش عدم جدواها، وفشلت المواجهات الأمريكية والإسرائيلية في تحقيق أهدافها المعلنة بالرغم من عمليات الخداع والتضليل في تلفيق مسوغات العدوان؛ وفي الوقت ذاته نجحت استراتيجيات حركات المقاومة في استنزاف الخصم، وفي جرّه لمواجهات طويلة المدى لا يقوى على احتمالها، وفي تكبيده خسائر بشرية واقتصادية فادحة، الأمر الذي كان له انعكاسات مهمة على رغبة الأمريكان والإسرائيليين واندفاعهم لخوض مغامرات عسكرية جديدة.

٢- عرّض قادة عسكريون وسياسيون في الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل مستقبلهم السياسي ومستقبل أحزابهم للخطر، ثمناً لمغامرات وإخفاقات عسكرية في العراق ولبنان وفلسطين، وبات خلفاؤهم في السلطة يفكرون طويلاً قبل التورط في مغامرات جديدة في هذه الساحات أو في ساحات أخرى، في ظل حالة من عدم اليقين بإمكانية أن تحقق أي مواجهات جديدة ما عجزت عن تحقيقه المواجهات السابقة.

٣- أكدت نتائج المواجهات العسكرية الأخيرة جاهزية حركات المقاومة واستعداداتها المسبقة لخوض المواجهة، الأمر الذي زاد من ثقة الجماهير بقدراتها وخياراتها، فيما أظهرت نتائج المواجهات اهتزاز ثقة المجتمعين الإسرائيلي والأمريكي في قدرة جيشيهما على تحقيق انتصارات سريعة، وحماية الجبهة الداخلية كما كان يحصل في أوقات سابقة، ما كان له تأثير مهم في تأييد الأوساط الشعبية لأعمال عسكرية جديدة.

٤- الضرر البالغ الذي ألحقته المواجهات خلال السنوات الماضية في لبنان وفلسطين بقوة الردع الإسرائيلية، يشكّل عاملاً محفزاً باتجاه العمل على استعادة قدرة الردع المهدورة، كما أن تنامي القدرات العسكرية لحركات المقاومة ولدول الممانعة، وفشل المواجهات السابقة في إضعاف هذه القدرات، ترى فيه إسرائيل والولايات المتحدة تهديداً وخطراً

مرشحاً للتصاعد، إن لم يتم تداركه والتعامل معه سريعاً، وهو ما يزيد من فرص المواجهة واحتمالاتها.

٥- حسم المواجهة العسكرية مع جيوش نظامية لا يعني حسم نهاياتها، وقد اتضح حجم التسرع في إعلان بوش عن النصر بعد إسقاط النظام العراقي، فأنت تستطيع أن تشعل حربا، لكن قد لا تستطيع التحكم بنهاياتها ونتائجها.

٦- أظهرت نتائج المواجهات السابقة، صعوبة حسم المعركة مع حركات مقاومة شعبية، كما أثبتت قدرة هذه الحركات- بإمكاناتها المحدودة- على استنزاف جيوش عظمى بإمكانات عسكرية هائلة، كما أثبتت حركات المقاومة قدرتها على الانتقال من خوض المواجهات بأسلوب حرب العصابات، التي تعتمد على الكرّ والفرّ، إلى أسلوب المواجهة شبه التقليدية عبر تشكيل جبهة مقابلة، قادرة على منع العدو من التقدم.

٧- بروز دور الصواريخ عاملاً مهماً في توازن القوى العسكرية، وتغيير المفهوم التقليدي لموازين القوى العسكرية، فقد أظهرت المواجهات العسكرية عدم إمكانية الرهان على الضربات الجوية في حسم نتائج المواجهات العسكرية، وأن وهْم «الحرب النظيفة» ربما يكون ولَّى إلى غير رجعة، فما حصل في الحروب الأمريكية السابقة على العراق وبقايا يوغسلافيا عام ١٩٩١، والتي استطاعت الولايات المتحدة حسم نتائجها من الجو دون تكبد خسائر تذكر، يبدو أمراً يصعب تكراره في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان.

٨- اعتماد سياسة الغموض في ما تملكه المقاومة من أسلحة وإمكانات عسكرية، بخاصة حجم قدراتها الصاروخية، وأظهرت حركات المقاومة قدرتها على مفاجأة القوى الكبيرة بما تملك من إمكانات تسلُّحية وخطط للمواجهة.

٩- فشل سياسة تثوير المدنيين ضد المقاومة نتيجة استهدافهم وإيقاع خسائر كبير في صفوفهم بهدف تحريضهم ضد المقاومة ودفعهم للضغط عليها.

١٠-فشل سياسة تدمير البنى التحتية واستخدام قوة نار هائلة ومدمرة، في تحطيم معنويات المقاومين وتغيير قناعات حاضنتهم الشعبية.

١١-بعد مواجهتي لبنان عام ٢٠٠٦ وغزة عام ٢٠٠٩ سادت تهدئة غير معلنة على الجبهتين ومن كلا طرفي المواجهة، وفيما رأى البعض أن الأمر فرض قيوداً على ممارسة حزب الله وفصائل المقاومة الفلسطينية لأعمال المقاومة، فإن الصحيح أن نتائج المواجهتين كبَّلتا يد القوات الإسرائيلية وفرضتا عليها تخفيض مستوى أعمالها العدوانية ضد قطاع غزة ولبنان.

١٢-هزّت المواجهات الأخيرة في لبنان وغزة ثقة الفرد الإسرائيلي بقدرة جيشه على الانتصار، وعلى توفير الأمن الشخصي للمواطن الإسرائيلي، وخلافاً لما كان عليه الحال في أوقات سابقة، تحولت مواجهات الجيش الإسرائيلي إلى حروب مكلفة للمواطنين الإسرائيليين، الذين باتوا مضطرين لدفع الثمن، تماماً كما هو حال المدنيين في الساحات العربية التي تتعرض للعدوان الإسرائيلي.

١٣-قرع طبول الحرب والحشود العسكرية وإجراء المناورات، لا يعني بالضرورة أن الحرب باتت أمراً مرجحاً، فعملية الاستعداد لمواجهات محتملة باتت منفصلة عن قرار الحرب.

الورقة الثانية

إمكانات الأطراف وإراداتها في شن الحرب وتداعياتها

أ. موسى الحديد*

البيئة الاستراتيجية لأطراف أي حرب متوقعة

أولاً: الولايات المتحدة

ترغب الولايات المتحدة في استمرار سيطرتها على الشرق الأوسط، وتحسين شروط هذه السيطرة، وتوسيعها لتشمل كافة أقطاره، لما يمتلكه هذا الإقليم من ميزات استراتيجية هامة، تتعلق بموقعه الاستراتيجي، واحتوائه مصدر الطاقة الرئيسي، وحفظ الأمن القومي الإسرائيلي، لذلك فهي تهدف إلى بناء نظام أمن إقليمي تشارك فيه إسرائيل، ولتحقيق هذه الاستراتيجية عملت السياسة الأمريكية في اتجاهات عدة:

١- توثيق علاقاتها مع معظم دول المنطقة من خلال اتفاقيات ثنائية، وضمنت بذلك تأييدها السياسي ووجودها الاقتصادي والعسكري.

٢- تشكيل تحالف دولي لغزو واحتلال الدول التي كانت تشكل ممانعة ومقاومة لمشروعها في الإقليم، وأرهبت باقي دول الممانعة.

٣- منع وتفكيك أي محاولة لإقامة نظام أمن إقليمي يستثني إسرائيل، ويهدد مصالحها.

٤- منع أو تحديد ارتباطات دول الإقليم مع قوى عالمية «الصين، وروسيا».

ورغم كل هذه الإجراءات لا زالت هناك صعوبات عدَّة تواجه السياسة الأمريكية في الإقليم، وعلى رأسها:

- قوة المقاومة واستمرارها في كل من العراق وأفغانستان، وبداية تفكك التحالف الدولي الذي أنشأته أمريكا، وضعف الأنظمة التي أقامتها في هاتين الدولتين.
- ارتفاع كلفة الاحتلال مادياً وبشرياً، وبشكل خاص بعد الأزمة المالية التي يعيشها العالم الآن.
- استمرار قوة تيار المعارضة والممانعة وتناميه، وتراجع قوة تيار الاعتدال المساند

* لواء متقاعد وخبير استراتيجي- الأردن.

للسياسات الأمريكية في الإقليم، بسبب غياب المسوغات السياسية والأخلاقية، وضعف الاستراتيجيات الأمريكية في مواجهة المواقف.

ثانياً: إسرائيل

يخالف نشوء الكيان الإسرائيلي الأنماط الطبيعية لنشوء المجتمعات والدول وتكوُّنها، فهو كيان غير متجانس كونه تجمعاً لأعراق من معظم القارات، متعدد اللغات، حضارته متقلبة ومنبوذة لما تتصف به من خبث وأنانية ونشر المفاسد، وعقيدته ميكافلية تتصف بالمادية وتسوغ الدسائس والكذب كسياسة معتمدة للبقاء، وتبنيه فكراً عنصرياً صهيونياً يلغي مفهوم التعايش السلمي والتسامح الإنساني مع المجتمع القائم أصلاً في فلسطينً والمجتمعات المجاورة، من خلال ممارسات غاية في الحقد والكراهية، كاغتصاب الأرض وتزوير الحقائق، وتدمير الفلسطينيين، وقتلهم، وتشريدهم، واضطهادهم.

وهذه السياسات خلقت **صعوبات** عدَّة جوهرية لدولة الاحتلال، أهمها **عداء البيئة المحلية والإقليمية** واستياء البيئة الدولية من السياسات الإسرائيلية الرافضة لقرارات الشرعية، **ومصاعب ديموغرافية** تتمثل بمحدودية القوة البشرية، **ومصاعب اقتصادية** تتصل بمحدودية الموارد مقارنة مع متطلبات البرامج الدفاعية والسياسات التوسعية، وهذه الأمور مجتمعة خلقت هاجساً أمنياً شديد الحساسية، جعل صراع الدولة اتجاه عوامل البيئة صراع وجود عَكَس درجة عالية من التوتر وعدم الاطمئنان، وإحساس دائم بالخوف وفقدان الأمن، وكأن الفرد الإسرائيلي يعيش على فوهة بركان يتوقع ثورانه المدمر في أي لحظة، وزاد الأمور سوءاً الانقلاب الاستراتيجي في معادلة الصراع الإقليمي، وفشل الجيش الإسرائيلي في تحقيق أهدافه، بالرغم من امتلاكه تكنولوجيا دفاعية متقدمة، واستخدامه المفرط لقوة النار في تدمير البنى التحتية، والقتل العشوائي للمدنيين في جنوب لبنان وغزة، وبذلك تراجعت ثقة الشعب بهذا الجيش، وأثر سلباً في تماسك الجبهة الداخلية، وكشف ضعف قدرتها على الصمود في حروب المستقبل.

ثالثاً: الدول العربية

طرأ تغيير كبير على السياسات العربية منذ بد العقد الأخير من القرن الماضي اتجاه الصراع العربي- الإسرائيلي، وبالتالي تغيرت الاستراتيجيات المتَّبعة في الصراع، فتم تجميد

اتفاقات الدفاع العربي المشترك، وغابت الجبهات العربية عن خط المواجهة، وتحول الصراع من صراع عربي مشترك مع إسرائيل إلى صراع قطري مع إسرائيل، وخرجت بعض الدول العربية من دائرة الصراع بفعل اتفاقات التسوية، وتوافقت غالبية الأنظمة العربية على خيار السلام كاستراتيجية وحيدة في إدارة الصراع ونبذ خيار المقاومة، وتمسكت قلة عربية تدعمها معظم الشعوب العربية بخيار المقاومة، لذلك يمكن رؤية تيارين مختلفين في العالم العربي في مواجهة المشروع الصهيوني:

- **تيار الاعتدال**

ويضم الأنظمة الموالية للسياسات الأمريكية في الإقليم، وفي مقدمتها الأنظمة التي وقَّعت اتفاقات تسوية مع إسرائيل، واستطاع هذا التيار أن يجر العالم العربي إلى تقديم مبادرة سلام عربية قدمها إلى إسرائيل والغرب عام ٢٠٠٢ في قمة بيروت، وبالرغم من الفشل الواضح لهذا الاتجاه، إلا أن هذا التيار لا زال متمسكاً بهذه المبادرة التي لم تعرها إسرائيل أي اهتمام.

- **تيار الممانعة**

وهذا التيار يرى أن المفاوضات إحدى وسائل الصراع، إلا أن استراتيجية الصراع الرئيسية هي المقاومة والممانعة ضد المشروع الصهيوني.

وبالرغم من السياسات الأمريكية المنحازة لإسرائيل وممارساتها ضد الأرض والشعب الفلسطيني، واستمرار احتلالها للأراضي العربية، فما زال انقسام الأنظمة العربية قائماً ويترسخ يوماً بعد يوم، ولا زالت المنطقة تفتقر إلى مشروع عربي قومي، يتضمن سياسات وأهدافاً واستراتيجيات وأدوات وآليات وإرادة سياسية لتشكل مشروعاً قوياً متكاملاً، يستطيع إدارة الصراع لمواجهة المشروع الصهيوني والمشاريع الأخرى التي تتهافت على المنطقة، نتيجة الفراغ الذي شكله غياب المشروع القومي العربي، ولا زالت الأنظمة العربية مشتبكة بخلافات بينية أشغلتها وتشغلها عن مواجهة المشروع الصهيوني، وما هو أسوأ من ذلك أن الأنظمة العربية بدأت في توجيه الأنظار ونقل خط المواجهة تجاه إيران وعدِّها عدوّاً، وذلك بفعل التأثير الأمريكي والصهيوني.

رابعاً: إيران

يتنافس **تياران** رئيسيان في إيران للسيطرة على مقاليد الأمور، وكلاهما يؤمن بشكل

عام بمبادئ الثورة الإيرانية، إلا أنهما يختلفان على استراتيجيات الحكم، وهما: **تيار الإصلاحيين** الذي يرى ضرورة الانفتاح على الغرب، **وتيار المحافظين** الحاكم حالياً، ويرى أن الغرب بعامة، وأمريكا بخاصة، تشكل التهديد الرئيسي للأمن القومي الإيراني.

ويعارض هذا التيار أي تنازلات عن مبادئ الثورة الإسلامية، ولهذا التيار تحالفات واسعة مع سوريا والتنظيمات الإسلامية في العالم العربي، وبعد الانتخابات الأخيرة وصلت الخلافات بين التيارين إلى حد كسر العظم، إلا أن الحفاظ على الأمن القومي الإيراني يعدّ هو المطلب الرئيس للشعب والنظام الإيراني، ولهذا فهنالك عاملان رئيسيان يرى التياران أنهما ضروريان لتحقيق هذا المطلب:

أولهما: الحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية من الاختراق والتمزق في ظل التهديد الأمريكي المحدق والمحيط بإيران من كل الجهات، وترى أنَّ الإدارة الأمريكية تتحيَّن الفرص للانقضاض عليها، وأسهل المقتربات وأقلها كلفة هو إحداث شرخ واسع في الجبهة الداخلية لها، لذلك فكلا التيارين حريص جداً على أن لا يكون هو الجهة التي يؤتى من قِبَلها، وأن تماسك الجبهة الداخلية يعدُّ الضامن الرئيسي للأمن القومي الإيراني.

ثانيهما: المشروع النووي الإيراني: فكلا التيارين أيضاً يرى أنَّ بلده يستحق أن يكون قوة إقليمية ودولية، ومن حقه حيازة التكنولوجيا النووية، لذلك فإن نجاح المشروع النووي وتحقيقه أصبح مطلباً قومياً يلتف حوله الجميع، والسياسة الأمريكية تدرك هذه الحقيقة، فهي تسعى لزيادة الضغوط على إيران لتمزيق جبهتها الداخلية والتخلي عن المشروع النووي، بالإضافة إلى محاولة إيقاعها في مواجهة مع بعض الدول العربية، وبذلك يسقط نظام الثورة الإسلامية في إيران، وتبدأ مرحلة الانفلات الأمني بين القوميات والإثنيات الإيرانية، وتمهِّد الطريق لبسط النفوذ الأمريكي على المنطقة بشكل تام.

إمكانات الأطراف

ابتداءً يجب التأصيل لحقيقة هامة جداً عند دراسة إمكانات أي طرف في شنِّ حرب ما على طرف آخر، وذلك بعدم حصر تقييم الإمكانات في الجانب العسكري والدفاعي، بل هنالك معادلة هامة يجب أن توضع في الميزان لتقرير القدرة على شنِّ الحرب، وتحقيق القصد والغاية من هذه الحرب.

وتتكون هذه المعادلة من عوامل رئيسية عدة يجب دراستها قبل الإقدام على هذه المغامرة، والإقرار بأن الإمكانات متوافرة أو لا.

ومجمل هذه المعادلة يكمن في استقراء **القوة العسكرية، والقدرة الاقتصادية والتكنولوجية، والقوة السياسية، والجبهة الداخلية، والبيئة الإقليمية والدولية، والعامل الجغرافي،** وتوقيت **الحرب** (الوقت الذي يجب فيه حسم الحرب)، **وعامل السرية والمفاجأة، وشرعية الأنظمة وإراداتها السياسية، وقدرة العدو وردود أفعاله.**

فاستقراء هذه العوامل وتشريحها بشكل تفصيلي من قبل هيئات ركن أصحاب اختصاص، وبيان إيجابياتها وسلبياتها، ومن ثم تأثر وتأثير كل عامل من هذه العوامل في مجمل المعادلة، يمكّن من التوصل إلى استنتاجات منطقية، ومن ثم صياغة القرار، ووضع الخطة التي تبنى على نقاط القوة وتعالج نقاط الضعف، بالإضافة إلى توفير خطط بديلة لمعالجة الظروف الطارئة، وهنا سيتم تحليل إمكانات الأطراف، بدراسة بعض هذه العوامل:

- **الولايات المتحدة**

- **القوة العسكرية**

تمتلك الولايات المتحدة قوات عسكرية هائلة كمًّاً ونوعاً، مسنودة بتكنولوجيا متطورة، موزَّعة على كافة مسارح العمليات في العالم، بالإضافة إلى قدرة عالية في النقل الاستراتيجي وقابلية الحركة، (لذلك فإن العامل الجغرافي لا يبدو ذا تأثير سلبي فعال في ظل الإمكانات الأمريكية الكبيرة في مجال النقل الاستراتيجي)، كما تمتلك منظومة استخبارات ذات إمكانات دقيقة وواسعة تغطي معظم دول العالم، بالإضافة إلى اتفاقات عسكرية مع دول كثيرة، تخوِّلها استخدام قواعد جوية وبحرية وبرية قريبة من مسارح العمليات، ولها تحالفات عسكرية، يأتي على رأسها حلف الناتو، الذي تم تعديل ميثاقه ليغطي مساحات واسعة جداً تجاوزت المهام الدفاعية في أوروبا والأطلسي، تضمن إشراك دول أخرى في الحروب التي تشنها الولايات المتحدة.

فالولايات المتحدة قادرة على حشد القوة العسكرية التي تحتاجها لتحقيق التفوق الساحق على القوة الإيرانية أو قوة في الإقليم، إلا أن المعضلة الرئيسية التي تواجه الولايات المتحدة من الناحية العسكرية، هي سعيها إلى تحديد تأثير ردة الفعل الإيرانية وتقليلها؛ إذ لا

تزال التقديرات ترجح أن ردة الفعل هذه ستكون عالية وفي عدة أماكن من مسرح العمليات الواسع، والذي سيشمل جميع المصالح الأمريكية في الإقليم، وستكون أيضاً الخسائر البشرية الأمريكية عالية، بحكم وجود هذه القوات وقياداتها في العراق ومناطق مختلفة في الخليج وأفغانستان، وبالقدر الذي يكون وجود هذه القوات ضرورياً في هذه المناطق، لإنجاح المشروع الأمريكي في الإقليم، فإن استمرار وجودها سيشكل مغامرة كبيرة، ويعرضها لخطر التدمير من ردة الفعل الإيرانية.

لذلك، فالولايات المتحدة تبحث عن بدائل لهذا العمل لتقليل الخسائر والكلف البشرية والمادية، وأهم هذه البدائل:

- محاولتها توريط الدول العربية في مواجهة مع إيران، وفي حال نجاح هذه المحاولة ستجني الولايات المتحدة نتائج إيجابية كبيرة جداً؛ إذ سوف تحقق **مبدأ الحرب بالإنابة**، وسيكون تدخلها مبرراً، وتخفف من ردة الفعل الإيرانية على مصالحها، وستكشف مواقع القوات الإيرانية ... إلخ).
- حشد حلفاء يشاركون في العمل العسكري، سواء من حلف الناتو أو من خارجه.
- إحداث شرخ داخلي في الجبهة الإيرانية، وإحداث انفلاتات أمنية داخلية تضعف قدرة إيران على المواجهة، ومن ثم تتدخل الولايات المتحدة لمساندة الجانب الحليف، ويعدُّ هذا البديل من أهم البدائل.

- **القدرة الاقتصادية والتكنولوجية**

يمكن للاقتصاد الأمريكي أن يتحمل كلف حرب محدودة (المكان والزمان) ضد إيران، إلا أنه لا يمكن له تحمل حرب تدوم فترة طويلة، فالاقتصاد الأمريكي الآن يتعرض لهزة كبيرة، أدت إلى إغلاق مئات البنوك التي أعلنت إفلاسها، بالإضافة إلى المديونية والتي تجاوزت ١٣ تريليون، وكلفة الحرب المستمرة في العراق وأفغانستان، وتورطه في حرب مشابهة مع إيران سيكون بمثابة تثبيت المسمار الأخير في نعش الاقتصاد الأمريكي، لذلك فإن وجهة نظري (من الناحية الاقتصادية) أن توجيه أمريكا الأنظار إلى الخطر النووي الإيراني على السلم الإقليمي والعالمي، وإعلانها أن كافة الخيارات اتجاه هذا الخطر مفتوحة، بما فيها الخيار العسكري، يأتي في سياق تخويف دول الخليج للحفاظ عليها كسوق رئيسية للسلاح.

فهذا الرعب يترجم إلى مشاريع صفقات عسكرية وأمنية بمليارات الدولارات، وضرورة اقتصادية ومالية للدول المصدرة للسلاح، وضرورة سياسية لتسويغ سياسة الانحياز لإسرائيل، كما أنه سيحبط أي محاولة عربية جماعية للضغط على واشنطن من أجل تغيير سياساتها المؤيدة والمتواطئة مع إسرائيل، وسيضمن استمرار دعمها لهذا الكيان بالسلاح والمال، كما أنه ضرورة لتسويغ الوجود الأمريكي في الإقليم، وفي دول الخليج بالذات.

- **القوة السياسية**

تحاول الإدارة الأمريكية وضع سياسات لتحقيق مصالحها وأهدافها الرئيسية في الإقليم، وأبرزها:

- ضمان استمرار تدفق النفط
- سيطرتها على هذه المنطقة الاستراتيجية
- ضمان أمن إسرائيل

وتتبع الولايات المتحدة دبلوماسيات تعدُّ ناجحة نسبياً لإقناع الرأي العام العالمي وبشكل خاص «روسيا والصين» بسياساتها في الشرق الأوسط، أمّا إقليمياً، فإن معظم الدول العربية تساير- إلى حدٍّ ما- هذه السياسات أيضاً.

أما الرأي العام الأمريكي فإنه- بفعل المسوغات التي تسوقها هذه الإدارة- أصبح مقتنعاً بأن إيران تشكل خطراً على المصالح الأمريكية، وتشكل تهديداً للأمن القومي الأمريكي، بالإضافة إلى أن السياسات الأمريكية استطاعت تحريك الشارع الإيراني ضد قيادته من خلال دعمها لموقف الإصلاحيين، وبداية إحداث فتنة داخلية في إيران، يمكن تطويرها مستقبلاً لثورة ملوَّنة يمكن أن تُسقط النظام.

ومن الأمور الهامة التي تساعد على إنجاح السياسات الأمريكية في الإقليم، سواءً ضد إيران أو غيرها من البلدان العربية، قدرة السياسة الأمريكية التشكيك في **شرعية الأنظمة**، وبذلك توجد معارضة قوية ضد هذه الأنظمة، لذلك فإن الأنظمة تكون بين خيارين، إما أن تجد نفسها في مواجهة أمريكا، أو الإذعان لهيمنتها على حساب مصالح شعوبها.

- **إيـــران**

- **القوة العسكرية**

تمتلك إيران قوة عسكرية قادرة على رد الفعل القوي اتجاه بعض الخيارات الأمريكية العسكرية، وبشكل خاص إذا كان هذا الخيار يتضمن استخدام قوات برية بهدف احتلال إيران، أو بعض مناطقها، إلا أن رد الفعل الإيراني سيكون أقل تأثيراً في حال اقتصار الخيار العسكري الأمريكي على استخدام الصواريخ وسلاح الجو، ففي هذه الحالة سيكون رد الفعل الإيراني ضرب المصالح والقوات الأمريكية في كل من العراق ودول الخليج، إلا أن التأثير الكبير سيكون على الدول العربية التي تحوي قواعد أمريكية، بالإضافة إلى قدرتها على منع استمرار تدفق النفط، وإمكانية إغلاق مضيق هرمز.

- **القوة السياسية**

استطاعت السياسة الإيرانية أن تحافظ على تماسك الجبهة الداخلية، وبخاصة اتجاه التهديد الأمريكي، لحماية أمنها القومي والمشروع النووي، كما أن هذه السياسة – إلى حد ما- تستطيع إبعاد الدولة العربية عن تشجيع الولايات المتحدة على أي عمل عسكري، من خلال إرسال رسائل تطمين لهذه الدول، وتحذيرها من أن ردود فعلها ستطال – وبقوة- الدول العربية التي سينطلق منها العدوان الأمريكي، أو التي تشارك في هذا العدوان.

أما على الصعيد العالمي، فإن السياسة الإيرانية- ولغاية الآن- قادرة على إبعاد ملفاتها عن مجلس الأمن، وبشكل خاص المادة (٧)، وكثير من الدول الكبرى لا تؤيد استخدام القوة ضد إيران، من خلال اقتناعها بأن السياسات الإيرانية لا تشكل تهديداً للأمن والاستقرار الإقليمي والعالمي، علماً بأنه ليس لإيران تحالفات مع هذه الدول، وإنما لديها مصالح اقتصادية واستراتيجية ترى أن أي حرب ضد إيران ستعرضها للخطر.

وقد استطاعت إيران أن توجد لها حلفاء عرباً: (سوريا، التنظيمات العربية) يمكن أن يساندوها سياسياً وعسكرياً.

- **القوة الاقتصادية**

يبدو أن الشعب الإيراني- بما لديه من إمكانات اقتصادية، وإن كانت متواضعة اتجاه عدو مثل أمريكا- قادر على تحمل هذه الحرب، فإيران بلد واسعة واقتصادياتها محلية،

وشعوبها غير مرفَّهة وعاشت ظروفاً صعبة جداً، ويمكنها التعايش مع ظروف حرب مستقبلية، والحصار والمقاطعة الأمريكية جعلت من إيران بلداً يعتمد على الذات، يسير بخطى متسارعة على طريق التطور الصناعي، وهي بلد زراعي متنوع بالإضافة إلى أنها بلد منتج للطاقة النفطية.

- **إسرائيل**

- **القوة العسكرية**

تمتلك إسرائيل قدرات عسكرية متطورة من كافة الصنوف، تعتبر الأقوى إقليمياً، وتأتي في مصاف الدول العظمى وتمتلك قدرات غير تقليدية: «بيولوجية، كيماوية، نووية»، ولديها وسائل نقل لهذه الأسلحة تغطي معظم مناطق الإقليم، معتمدة بالدرجة الأولى على سلاح الجو والصواريخ البالستية، بالإضافة إلى امتلاكها ثلاث غواصات تحمل أسلحة نووية.

وتفوُّق إسرائيل مقارنة بسورية يعدُّ تفوقاً كاسحاً في حال نشوب حرب كلاسيكية، وتستطيع إسرائيل ضرب كافة مراكز الثقل الاستراتيجي لدى سوريا، بالإضافة إلى قدرتها تهديد العاصمة دمشق، حتى بالأسلحة التقليدية، فالموقف الاستراتيجي يميل لصالح إسرائيل بشكل واضح، حتى العامل الجغرافي فإنه يعمل لصالح إسرائيل من خلال مراكزها العسكرية في هضبة الجولان.

ومما زاد في قوة الموقف الإسرائيلي الاستراتيجي، خروج كلٍ من مصر والأردن من معادلة الصراع مع إسرائيل، لتوقعيهما اتفاقيتي تسوية سلمية مع إسرائيل، واضطرار سوريا للانسحاب من لبنان عام ٢٠٠٤.

إلا أن الموقف الإسرائيلي اتجاه إيران يختلف، فالعامل الجغرافي يلعب دوراً رئيسياً، فمسافة تزيد على ٢٠٠٠ كم، بالإضافة لوجود عدة دول عربية فاصلة بينهما لا يمكن أن تسمح بشن هجوم إسرائيلي من خلال مجالاتها الأرضية والبحرية، وعلى الأقل فهذا يجعل شن حرب إسرائيلية ضد إيران أمراً شبه مستحيل، إلا أن لدى إسرائيل إمكانات تتعلق بامتلاكها سلاح جو متطوراً، ولديه إمكانات عالية لتنفيذ هجمات ضد مواقع وأهداف منتخبة في إيران، بالإضافة إلى امتلاكها لصواريخ بالستية متطورة، وهي أيضاً قادرة على ضرب أهداف إيرانية، وهاتان القدرتان معزِّزتان لوجود إسرائيل في الفضاء؛ فلإسرائيل عدة

أقمار صناعية تعمل في سماء الإقليم، بالإضافة إلى إمكانية حصولها على تسهيلات أمريكية في مجال الاستخبارات والتزويد الجوي والإسناد الإلكتروني، ومنحها ممرات جوية آمنة، وإمكانية توفير إسناد ناري من القواعد والمراكز الأمريكية في العراق ومنطقة الخليج، ومنح الغواصات الإسرائيلية تسهيلات لتنفيذ عمليات ضد أهداف إيرانية.

ومع هذا، فإنَّ عند **العسكرية الإسرائيلية نقاط ضعف** واضحة، يمكن تحويلها إلى وهن إذا أحسن التركيز عليها من الأطراف الأخرى، ويمكن أن تؤدي إلى هزيمة إسرائيل أو تدميرها.

وتتمثل نقاط الضعف هذه في **صغر مساحة إسرائيل، وتزاحم الأهداف ومراكز الثقل الاستراتيجي، وافتقارها لعمق استراتيجي وضيق المناورة الاستراتيجية ومحدوديتها**، فإذا ما أشبع المجال الإسرائيلي بالقصف الصاروخي والمدفعي لفترة طويلة نسبياً، وبشكل خاص فوق مراكز الثقل الصناعي، والسياسي، والسكاني والعسكري، فستكون إسرائيل قد واجهت كارثة قد لا تستطيع معالجتها، وهنا يمكن القول إن توفُّر السلاح النووي، وامتلاك أحدث تكنولوجيا الأسلحة لا يعني تفوق إسرائيل المطلق في مجال التوازن الاستراتيجي، فإسرائيل تعتمد كثيراً على حماية أمريكا ودعمها عسكريا واقتصادياً وسياسياً؛ وإسرائيل تجنِّد للحرب ما نسبته ١٣٪ من سكانها، وهذه أعلى نسبة تجنيد في العالم، وحشدها هذه النسبة للحرب يعني شللاً في الحياة العامة، فإسرائيل لديها حساسية شديدة للخسائر البشرية، (تعتبر نقطة وهن في ميزان القوى الاستراتيجي) وذلك عائد لأسباب عقائدية واجتماعية، وتشكل هذه الحساسية ضغطاً هائلاً على صانع القرار الإسرائيلي، وعلى تماسك الجبهة الداخلية، وأيضاً فإن لفقدان إسرائيل الدوافع الأخلاقية لحروبها في الإقليم أثراً كبيراً في إحداث معارضة داخلية وإقليمية ودولية للحروب الإسرائيلية.

إضافة لذلك، فإن إسرائيل فقدت عوامل الرعب والرهبة التي كانت تركز عليها في حروبها السابقة، والتي كانت تساعدها على تحقيق انتصارات سريعة ومن دون مقاومة معقولة تنهي بها المعركة العسكرية، وتفرض شروطها السياسية.

إن التطور في المقاومة العربية جعل إسرائيل كلها مكشوفة، وأصبحت مساحة إسرائيل كافة ساحة عمليات، وعليها استخدام كل إمكاناتها ووسائلها المتاحة طوال فترة الحرب، وهذا ما لا تستطيعه إسرائيل لفترة طويلة.

كانت إسرائيل هي التي تضع سيناريو الحرب من حيث الاستراتيجية المستخدمة، ومسرح العمليات وزمنها، إلا أن قدرة إسرائيل الآن تراجعت كثيراً، فهي قد تبدأ الحرب إلا أنها لا تستطيع تحديد مسارها وضبط ردود الأفعال زماناً ومكاناً.

ومما يؤخذ في الحسبان زيادة نسبة الإنفاق للحفاظ على التفوق العسكري، فلدى إسرائيل برامج دفاعية كبيرة ومتطورة، وهذا يستنفد جزءاً كبيراً من الدخل القومي الإسرائيلي، ولولا المساعدات الأمريكية لما استطاعت إسرائيل تمويل هذه البرامج.

يمكن القول إن الحقائق الاستراتيجية الآن جعلت من لجوء إسرائيل للخيار العسكري مغامرةً محفوفة بالمخاطر، وبالرغم من كل ذلك، فميزان القوى الاستراتيجي لا زال لصالح إسرائيل لأسباب عدَّة من أهمها:

- احتفاظها بزمام المبادرة الاستراتيجية: الفعل ورد الفعل.
- استجابة الأنظمة العربية وتأثر إراداتها السياسية سلباً بالردع الإسرائيلي.
- تفتت الجبهة العربية لدول المواجهة والدول الداعمة، وانشطارها.
- خروج بعض الأنظمة العربية من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي لتوقيعها اتفاقات تسوية سلمية.

- **القوة السياسية**

يبقى أن نقول إن إسرائيل تبحث الآن عن مسوِّغات سياسية تجعل أي عمل عسكري ضد إيران مقبولاً دولياً وإقليمياً، وهذا ليس بالأمر السهل، بالإضافة إلى حساباتها لرد الفعل الإيراني، الذي يمكن أن يكون قاسياً في «المجال العسكري»، فإيران تمتلك قدرة صاروخية قادرة على ضرب إسرائيل، وإسرائيل الآن في صدد منع الصواريخ الإيرانية من الوصول إلى أهدافها، إما بوضع خطة لتدميرها في مواقعها، أو التشويش عليها، أو التصدي لها بعد إطلاقها، وهنالك صعوبة سياسية تواجه إسرائيل في حال شنها حرباً ضد إيران، فكما ذكرنا، لا بد لسلاح الجو الإسرائيلي أو الصواريخ الإسرائيلية من المرور في المجال الجوي لدولة أو لدول عربية، وهذه معضلة يصعب على إسرائيل التعامل معها إلا من خلال المغامرة وفرض الأمر الواقع، كما حدث عام ١٩٨١ عندما دمرت المفاعل النووي العراقي، وفي حال شن الحرب وفشل إسرائيل في تحقيق أهداف هذه الحرب، وقدرة إيران على الرد، فستتعرض

إسرائيل إلى هجمة سياسية دولية وإقليمية واسعة تهدد مصالحها في الإقليم والعالم إلى الخطر، وهنالك خطر سينطلق من الجبهة الداخلية، تحسب له الحكومات الإسرائيلية ألف حساب عند إقدامها على أي مغامرة عسكرية، وتأثيراتها على الجبهة الداخلية، بالإضافة إلى إمكانية تدخل حلفاء إيران «سوريا، حماس.. إلخ» وقد يتطور الموقف إلى حرب غير محدودة «إقليمية» تتدخل فيها أطراف أخرى، ويعرِّض الأمن الإقليمي والدولي إلى مخاطر كبيرة، وتسبب انفلاتات أمنية في معظم دول الإقليم، وقد تتطور الأمور إلى ما هو أسوأ بكثير.

- **القوة الاقتصادية**

تستطيع إسرائيل أن تتحمل كلفة حرب محدودة «جغرافياً وزمنياً»، إلا أنها ولأسباب عدَّة، تتعلق بالإمكانات الاقتصادية، والجبهة الداخلية، والقوة البشرية، وحساسيتها للخسائر، وعدم قدرتها على إدامة الحياة في المجتمع؛ لهذه الأسباب لا تستطيع إسرائيل إدامة حرب لفترة طويلة، ولقد لاحظنا عجز إسرائيل الواضح في هذه الناحية في حربها المحدودة جغرافياً ضد حزب الله.

- **سوريا**

- **القوة العسكرية**

تمتلك سوريا قوة عسكرية كبيرة نسبياً في سلاحي البر والقوات الجوية، إلا أن قوتها البحرية صغيرة، غير أنَّ معظم الأسلحة التي يمتلكها الجيش السوري قديمة، ولا تستطيع مجاراة التطور التكنولوجي في الأسلحة والمعدات العسكرية الإسرائيلية، ومن خلال مقارنة قوى بشكل مبسط يتبين لنا بوضوح التفوق العسكري الإسرائيلي.

هنالك عوامل رئيسة أثرت سلباً في سوريا في صراعها المستقبلي مع إسرائيل، وهي:

الأول: خروج مصر والأردن من واجهة الصراع بتوقيعهما اتفاقات تسوية سلمية مع إسرائيل.

الثاني: انهيار الاتحاد السوفيتي الحليف الاستراتيجي لسوريا.

الثالث: الاحتلال الأمريكي للعراق، الذي أفقدها العمق الاستراتيجي.

الرابع: اضطرار القوات السورية الانسحاب من لبنان، وبذلك فقدت مجالاً حيوياً لانتشار قواتها، وانكشاف جناحها الأيمن اتجاه إسرائيل، وبذلك تخلت سوريا عن محاولاتها

تحقيق توازن استراتيجي يعتمد ترسانة أسلحة متقدمة وتحولت إلى **استراتيجية الحرب غير المتماثلة**، التي تركز على العناصر الرئيسة التالية:

١-الحصول على صواريخ أرض قصيرة ومتوسطة المدى تهدد مراكز الثقل الاستراتيجي في عمق إسرائيل.

٢-زيادة القوة السورية من الصواريخ المضادة للدبابات «كريزنتما» ويصل مداه ٦كم.

٣-منظومة دفاع جوي متطورة تواجه التفوق الجوي الإسرائيلي «صواريخ S300VM» ذات الفعالية العالية.

٤-زيادة حجم القوات الخاصة، مع اعتماد هذه القوات على أساليب حرب غير تقليدية.

٥-توزيع القوات البرية بما يتناسب وطبيعة الأرض وحركة القوات الإسرائيلية، وتمتلك سوريا ما يقارب ٥٠٠٠ دبابة بالإضافة إلى أسلحة م/ د تمكّنها من تدمير القوة الإستراتيجية المدرعة الإسرائيلية.

٦-التركيز على سلاح المدفعية، وبخاصة تلك القادرة على ضرب الأهداف في العمق الإسرائيلي.

٧-امتلاك صواريخ بر بحر المضادة للسفن والمدمرات «صاروخ C802».

- **القوة الاقتصادية**

تعدُّ سوريا من أفضل الدول العربية اكتفاءً واعتماداً على الذات في المجال الاقتصادي، ولا يعاني اقتصادها من مديونية كباقي الدول العربية، إلا أن الاقتصاد السوري غير قادر على تمويل مشاريع دفاعية كبيرة، تؤدي إلى سباق تسلح مع إسرائيل، لكنه قادر على الإيفاء بمتطلبات سوريا الدفاعية ضمن الحد المعقول.

- **القوة السياسية**

استطاعت السياسة السورية اتباع دبلوماسية حاذقة جنبتها الدخول في ثلاث مواجهات ليست لصالحها، كانت الأولى مع تركيا عام ١٩٩٨، والثانية مع الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣، والثالثة كانت الأصعب في مواجهة أمريكا والدول الغربية ومجلس الأمن بعد مقتل الرئيس الحريري في لبنان عام ٢٠٠٤، وهي الآن تتمتع بعلاقات متميزة مع تركيا، وتحقق

تقارباً ملموساً مع الدول الغربية، وبخاصة الاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى حفاظها على عصا التوازن بين إيران والعالم العربي.

وبالرغم من عدم إحرازها أي تقدم في تحرير أرضها المحتلة من قبل إسرائيل، إلا أنها لم تقدم تنازلات عن حقوقها، وهي في الوقت نفسه ترعى وتتقدم تيار الممانعة العربية، وتحتضن التنظيمات الفلسطينية على أراضيها، وتقدم لها متنفساً وعمقاً استراتيجياً في مواجهة إسرائيل.

إرادات الأطراف ودوافعها لشن الحرب

الإرادة هي التعبير الواضح عن السيادة الوطنية والقومية، وتحمل مشروعاً يتضمن أفعالاً وردود أفعال من أجل تحقيق التنمية الشاملة وتطورها، وتحشد طاقات الأمة وإمكاناتها لإنتاج جهد واحد مشترك، وتتطلب طابعاً إيجابياً في تحقيق ضرورات التنمية والوحدة الوطنية، وتتطلب هذه الإرادة أيضاً عقداً اجتماعياً ينظّم علاقة الأنظمة مع مجتمعاتها، ويحقق الانسجام الكامل بينهما.

وأول أساسيات هذا العقد **شرعية الأنظمة** التي يجب أن تبنى على أسس العدالة والديمقراطية، واحترام العلاقة الواضحة والدقيقة بين الحقوق والواجبات، فلا النظام يستأثر بالحقوق، ولا المجتمع يتكفل بكل الواجبات، ومن هنا يبدأ بناء المؤسسية والمؤسسات.

وهذا البناء بالطبع سيفضي لوضع السياسات والأهداف والمبادئ وإقرار الاستراتيجيات، وما تتضمن من توظيف مدروس للإمكانيات وترتيب الأولويات، لمواجهة التحديات الداخلية، والإقليمية، والدولية، وتحقيق الأهداف.

والإرادة الفاعلة في حشد وتجميع شتات الطاقات والإمكانات لإنتاج جهد واحد في «مشروع وطني وقومي» من خلال عمل مؤسَّسي، يخلق رادعاً قوياً في وجه قوى التحدي والتهديد، الأمر الذي يحقق منجزات تنموية تحفظ الأمن الوطني والقومي، وتصونه.

ويمكن تحقيق هذه الإرادة شريطة متانة العقد الاجتماعي بين النظام والمجتمع مع استمرارية شرعية النظام، وأن لا يتم اختزال جزء من جهود الأمة في مواجهات بينية، وأن لا تدور هذه الإرادة في فلك المشاريع الأجنبية، ولا يتم اختراقها من خلال اتفاقات

ومعاهدات ثنائية مع الأجنبي (سياسية أو اقتصادية أو دفاعية)، وتفضيل الوطني على القومي، تحت غطاء العولمة والانفتاح غير المنضبط.

والدوافع والأهداف الوطنية والقومية المدروسة تعمل رافعة رئيسية لخلق الإرادة الصلبة، وهذه الدوافع تبنى بشكل رئيسي على صياغة الأهداف المناسبة وفهمها، للتمكُّن من تحقيق مواجهة عقلانية مع الواقع الذي يعمل لإعاقة تحقيق هذه الأهداف، وقد تقود هذه المواجهة إلى تغيير جذري يتضمن جهوداً سياسية أو اقتصادية أو دفاعية..إلخ، مع ضرورة بناء علاقات إقليمية ودولية، أساسها المنفعة والاحترام المتبادل، دونما تجاوز على الحقوق السيادية، التي تُعدُّ خطوطاً حمراء، تستدعي استراتيجيات المجابهة.

بناء على ما تقدم، ندرك أن من يمتلك المشروع المتكامل سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، ودفاعياً وأمنياً، يستند إلى استراتيجيات وأدوات وآليات تنفيذ، يمتلك الإرادة لتحقيق هدف مشروعه والدفاع عنه، وتكون أفعاله وردود أفعاله مدروسة ومعدَّة سلفاً، ولا تكون ردود أفعال ظرفية وارتجالية.

- **الولايات المتحدة**

تمتلك الولايات المتحدة مشروعاً متكاملاً يحقق سياساتها في الشرق الأوسط، وهذا المشروع قديم، حقق إنجازات كبيرة في المنطقة، ولا يمكن للإدارات الأمريكية المجازَفة بهذه المنجزات، بل تسعى للحفاظ على مصالحها، والاستمرار في تحقيق منجزات جديدة في ظل المتغيرات الإقليمية والعالمية، ولا يعدُّ تردد الولايات المتحدة في شن الحرب إلغاءً لهذا الخيار، بل إن ذلك يعبر عن وجود خيارات أخرى أقل كلفة، كونها توازن باستمرار بين **فوائد الخيارات** المختلفة وكلفها، وبخاصة خيار الحرب.

فالولايات المتحدة هي التي أوجدت **استراتيجية الحرب الاستباقية**، وتؤمن بجدوى هذه الاستراتيجية، وطبقتها في أكثر من مكان وزمان، بل إنها سارت إلى ما هو أبعد من ذلك في ابتداع **استراتيجية الحرب الوقائية**.

وإذا كانت الحرب الاستباقية تتعلق بالتحركات والإجراءات المعادية، فإن الحرب الوقائية تتعلق بالنوايا المستقبلية للطرف الآخر، وهذا الأمر في منتهى الإفراط والتطرف في إظهار الإرادة، والاستعداد للسير إلى الحرب، ولكن من خلال مغامرة محسوبة، إلا أنه يجب

أن نتذكر أن وجود الإرادة لا يستدعي الإفصاح والإعلان عن نوايا الحرب مسبقاً، لأغراض عسكرية تتعلق بالأمن والمفاجأة العسكرية.

أما أهم أهداف المشروع الأمريكي فتتعلق بتأمين إمدادات النفط دون انقطاع للاقتصاد الأمريكي والاقتصاديات الموالية له، وتحقيق أمن إسرائيل والحفاظ على وجودها وتفوقها المطلق على كل الدول العربية، وبلورة منظمة أمن أقليمي تشارك إسرائيل فيها، ومنع أي تطورات استراتيجية تظهر منها نوايا إزعاجها وتهديدها، وإقامة دولة فلسطينية لا تمثل أي تهديد لإسرائيل، وحماية الأنظمة الصديقة والمعتدلة إلى الحد الذي يحافظ على استمرار دعمها للسياسات الأمريكية ونشر قيمها- سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً .. إلخ- بما في ذلك دفع الأنظمة والمجتمعات إلى تبني صيغ حكم تتوافق مع شعاراتها: «ديمقراطية، وحقوق إنسان، ونظام سوق، وتجارة حرة.. إلخ»، والوقوف أمام أي قوى دولية منافسة قد تهدد مصالحها في الإقليم، ومواجهة ما تسميه «الإرهاب» وقوى التطرف الديني والأصولي الإسلامي، أو أي قوى تمثل جبهة رفض لنفوذها، والحفاظ على قواعدها في المنطقة وبخاصة في العراق، كمنصة انطلاق ذات طابع خاص «سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً» لأطول فترة ممكنة.

ولتحقيق هذه الأهداف هنالك وسائل متعددة، تُعدُّ الحرب إحداها، ولكنها ليست الخيار الأول ولا الأفضل، ومن أهم هذه الوسائل:

- اعتراف معظم الدول العربية بمصالح أمريكا في الإقليم، حتى إن أشد الدول العربية ممانعة للمشروع الأمريكي لا تعلن معارضتها لهذه المصالح.
- خلق فهم سياسي وأمني واجتماعي واقتصادي تتبنّاه نخب فكرية عربية، يتفق فهمها والفهم الأمريكي للقضايا الإقليمية كافة، وما أن تطرح مبادرة أمريكية إلا وتتسابق لتلقفها وتأييدها كثير من الأنظمة والشخصيات العربية، ويدرك صانع القرار الأمريكي بأن هذا المشروع لن يكتب له النجاح في ظل إقليم موحد متماسك، لذلك بُذِلت كثير من الجهود من أجل تقسيم العالم العربي، وتحقق له ذلك، فقد عمل هذا المشروع على ترسيخ القطرية على حساب القومية، وإيجاد جو عدم الثقة بين الأنظمة والشعوب العربية، وإشعار الطرفين بحاجتهما للدعم الأمريكي، فالأنظمة تهدف إلى البقاء والاستمرار، والشعوب تهدف إلى الإصلاح والتغيير والديمقراطية.

- إقصاء الدور الفاعل للتنظيمات الإقليمية وتهميشه، وبخاصة جامعة الدول العربية.
- عقد صفات سرية وعلنية مع معظم الأطراف لحماية مصالحها وتمرير قراراتها.
- ربط معظم الدول العربية باتفاقات ومعاهدات لها أولوية على كافة الاتفاقات البينية، تشمل كافة المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدفاعية والأمنية، مما جعل أمريكا الشريك الإقليمي الأكبر والأهم، ومنحها حرية الحركة المناورة، وأضعف قوى الإقليم على الممانعة، وهذا يسهل اللجوء للخيار العسكري فيما لو فكرت أمريكا فيه لتنفيذ سياسات معينة ضد أي طرف؛ بمعنى آخر، يمكن القول إن العالم العربي يُعدُّ مستعمرة أمريكية بوسائل ناعمة.

نستنتج من كل ما سبق أن خيار الولايات المتحدة في الحرب خيار مطروح، وإرادة الحرب موجودة، إلا أن أمريكا تسعى قبل شن الحرب تحقيق أمور متعددة تضمن نجاحها في الحرب مثل: توسيع دائرة المشاركة معها وبخاصة الدول العربية، والبحث عمن ينوب عنها في هذه الحرب «الحرب بالإنابة» إن أمكن ذلك، وتمزيق قوى الممانعة وتشتيتها من الداخل «إيران، سوريا... إلخ» وإضعاف قدرتها على رد الفعل، وتذليل صعوبات البيئة الاستراتيجية «محلياً، وإقليمياً، ودولياً» وخلق المسوغات السياسية والأخلاقية لهذه الحرب، وبالتالي تقليل كلفة الحرب إلى أدنى درجة ممكنة مادياً وبشرياً.

- **إسرائيل**

تمتلك إسرائيل مشروعاً متكاملاً «المشروع الصهيوني»، وهو يسير بشكل مواز للمشروع الأمريكي، والصهيونية هي التي شجعت أمريكا وجرَّتها للهيمنة على منطقة الشرق الأوسط، فالمشروع الصهيوني قديم، واستطاع تحقيق إنجازات كبيرة «كمَّاً ونوعاً» على حساب الوطن العربي.

والهدف الرئيس لهذا المشروع الحفاظ على الأمن القومي الإسرائيلي، وأهم وسائله:

- شرذمة العالم العربي وإضعافه.
- دفع العالم العربي للاعتراف بإسرائيل.
- ضمان التفوق المطلق لإسرائيل في كافة المجالات، والسيطرة على مناطق حيوية واستراتيجية.

- السعي لإيجاد نظام أمن إقليمي تشارك فيه إسرائيل.
- إيجاد نظم عربية مناهضة للقومية والإسلام، وتسعى للتطبيع مع إسرائيل.
- تشجيع الطائفية في الإقليم، وخلق بؤر انفلات أمني محتقنة يمكن شحنها وتفجيرها بما يتفق والمصالح الإسرائيلية.
- إخراج أكبر عدد من الدول العربية من دائرة الصراع من خلال معاهدات واتفاقات وتسويات بينها وبين إسرائيل، مما يمكن إسرائيل من الانفراد بدولة أو تنظيم عربي.

تتبنى إسرائيل استراتيجية الحرب الاستباقية والحرب الوقائية، شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة، وهي قادرة على خلق المسوغات والأحداث، واستغلالها لشن الحرب بحجة الدفاع عن أمنها الوطني، فقد نجحت في تصوير إيران على أنها خطر، ليس فقط على الأمن القومي الإسرائيلي بل على الأمن والاستقرار الإقليمي العالمي، ووصل نجاحها إلى ما هو أبعد من ذلك، عندما أوحت لبعض الأنظمة العربية بأن إيران هي مصدر التهديد الرئيسي للأمن القومي العربي، وبذلك لفتت الانتباه عن تهديدها المباشر لدول الجوار العربي.

بناء على ما تمتلكه إسرائيل من إمكانات ومساندة أمريكية وما تسعى إليه من أهداف، يمكن القول إنها تمتلك إرادة الحرب وتحتفظ بزمام المبادرة، ومسوغاتها جاهزة لشن الحرب، وهي تستعد لهذه الحرب وتحضر لها، فالحرب بالنسبة لها مطلب حيوي لإنقاذ سمعة مؤسستها العسكرية، إلا أنها قبل ذلك تسعى إلى أمور عدَّة هامة:

أولاً: محاولة توريط من ينوب عنها في هذه الحرب، والمرشح الأفضل هو الولايات المتحدة وحلفاؤها العرب.

ثانياً: إضعاف قوى الممانعة والانفراد بها.

ثالثاً: تقليل كلفة الحرب مادياً ومعنوياً وبشرياً لأدنى حد ممكن.

- **إيـــران**

تمتلك إيران مشروعاً متواضعاً يعتمد على القدرات الذاتية، وله امتدادات إقليمية ضيقة: «سوريا، العراق، تنظيمات إسلامية، تأييد شعبي».

ويهدف المشروع الحفاظ على الأمن القومي الإيراني، ويستند إلى أربعة ركائز أساسية لتحقيق هذا الهدف وهي:

- تماسك الجبهة الداخلية.
- تحقيق نجاح المشروع النووي.
- كسب تأييد الإقليم العربي أو على الأقل تحييده.
- إحباط محاولة إمريكا للحصول على تأييد وتفويض أممي في مواجهتها مع إيران.

والسياسة الإيرانية لا زالت تتقدم في بناء هذه الركائز، وهي تسابق الزمن لتفويت الفرصة على أعدائها، وتستغل التورط الأمريكي في كل من العراق وأفغانستان، فأمريكا بحاجة إلى وقت طويل للتغلب على الصعوبات لإنجاح مشروعها في كلا البلدين، في حين تملك إيران إمكانات التدخل إن أرادت لزيادة الصعوبات الأمريكية في هذين الموقعين، وأمريكا تدرك هذه الحقيقة، وهذا يمنح إيران فرصة الوقت وتحسين موقفها الاستراتيجي في رفع قدرتها على امتصاص الضربة، ورد الفعل المؤثر، وتحسين قدرتها على الردع، وإنجاز المشروع النووي، وتحسين علاقاتها بالجوار الإقليمي.

يمكن القول بأن إيران تمتلك مقومات الرد الفعال وإمكاناته، **وإرادة الحرب الدفاعية**، حيث إنها لن تكون البادئة بشن الحرب لأمور تتعلق بإمكاناتها، بالإضافة إلى صعوبات البيئة الإقليمية والدولية، وما تمتلكه كل من أمريكا وإسرائيل من قدرات ردع نووي، وهذا يفقد إيران زمام المبادرة، إلا أنها قادرة على ردة فعل قوية كما قلنا، وهذا تخشاه كل من أمريكا وإسرائيل، إلا أن ردة الفعل القوية ستكون باتجاه دول الخليج.

- **الدول العربية**

تفتقر الدول العربية إلى مشروع قومي يؤهلها لمواجهة المشاريع الأجنبية، بالرغم من امتلاكها قدرات وإمكانات كبيرة، إلا أن هذه الإمكانات مشتتة.

وفي الوقت الذي تشكل فيه بعض الدول والتنظيمات العربية ممانعة ومقاومة لكل من المشروعين الأمريكي والصهيوني، إلا أن دولاً عربية أخرى تدور في فلك المشروع الأمريكي، وتسخِّر إمكاناتها لمساندته، وبعض الدول العربية تغض الطرف عن المشروع الصهيوني، من خلال عقد اتفاقات تسوية أخرجتها كلياً من دائرة الصراع وخط المواجهة مع إسرائيل.

وبالرغم من أن الدول العربية تملك الأسباب والموسوغات لشن الحرب، حيث إن هنالك أراضي تحتلها إسرائيل في كل من سوريا، ولبنان، وفلسطين، ومع شن إسرائيل

حربين في جنوب لبنان وغزة في هذا العقد، إلا أن الدول العربية لم تحرك ساكناً، بل كانت أحياناً تعطي مسوغات للحرب الإسرائيلية.

ومن جهة أخرى فإن أمريكا تحتل العراق منذ العام ٢٠٠٣ ودمرت بنيته التحتية وحضارته، وقتلت وشردت مئات الألوف من العراقيين، ومع كل ذلك فالدول العربية بالإضافة إلى عدم مساندة العراق قدمت تسهيلات للاحتلال الأمريكي ومنحته الشرعية، وتنظر للمقاومة العراقية على أنها انفلات أمني يهدد الإقليم، وشكل من أشكال «الإرهاب».

وتختلف سوريا في موقفها عن معظم الدول العربية، إلا أن إمكاناتها منفردة لا تمكنها بالقيام بعمليات اعتراضية تجاه إسرائيل، وهي قادرة على شن حرب دفاعية تحت ظروف محددة.

يمكن القول: إن لدى الدول العربية إمكانات كبيرة غير مستغلَّة، ولديها المسوغات لشن حرب، ولكنها تفتقر لمشروع عربي موحَّد، وبالتالي تفتقر لإرادة القتال وشن الحرب.

سيناريوهات وقوع الحرب وعدمها

النقاط الساخنة في منطقة الشرق الأوسط كثيرة، والنزاع لا يقتصر على طرفين وإنما فيه أطراف متعددة، وأسئلة من مثل: من سيبدأ الحرب؟ وضد من؟ وأين ستكون؟ وغيرها، تستدعي توقع عدة سيناريوهات مختلفة ومتداخلة، إلا أننا أثبتنا أن من يملك إرادة شن الحرب وخلق الأحداث والمسوغات هما أمريكا وإسرائيل، والاعتراف بهذه الحقيقة قد يقودنا إلى التصور المنطقي والسليم لتحديد سيناريوهات الحرب، «علماً أن الأمور أحياناً لا تخضع للمنطق» من خلال الافتراضات التالية:

- **الافتراض الأول (أمريكا في مواجهة إيران)**

ومن خلال اعتماد الحقائق السابقة نتوقع السيناريوهات التالية:

سيناريو استبعاد الحرب

فمن خلال دراسة الحقائق والواقع وكافة العوامل المؤثرة، نجد أن هذا هو السيناريو الأكثر احتمالاً، وذلك للحقائق التالية:

- وجود أوراق قوية بيد إيران، وأمريكا تدرك ذلك، وقد تكون هنالك صفقات سرية بين الطرفين، ليس من باب نظرية التآمر، وإنما من منطلق تغليب المصالح.

- حاجة أمريكا لإيران في كل من أفغانستان والعراق.
- من غير المنطقي دخول أمريكا في حرب جديدة مع تورطها في حربين.
- كانت إيران ولا زالت أكبر المستفيدين من احتلال أمريكا للعراق، حيث تلاشى التهديد العراقي، وانشغلت أمريكا عنها.
- ليس من السهل تحقيق نجاح عسكري على إيران وبخاصة في هذه الظروف.
- أمريكا تعيش أزمة اقتصادية حادة لا تسمح لها بفتح جبهة جديدة، وهي الآن تعاني من كلفة الحرب في العراق وأفغانستان، بالإضافة إلى أن إيران ليست كالعراق أو أفغانستان، لذلك فأمريكا ستستمر بتهديد إيران والضغط عليها، وتستمر بإعلانها أن كافة الخيارات مفتوحة بما فيها خيار الحرب، وهذا يؤمِّن لها دعم الصين وروسيا في خيار العقوبات، لتفادي خيار الحرب.

- أمريكا بحاجة لإيران في وضعها الحالي لتشكل «بعبع» لدول الخليج من أجل استمرار وجودها، واستمرار صفقات الأسلحة.

سيناريو شن الحرب

من خلال اللجوء للمنطق أحياناً، ومن خلال توقع الأسوأ، وظاهرة استخفاف الإدارة الأمريكية أحياناً بالحسابات «السياسية والاقتصادية.. إلخ..» ومحاولة إزالة المنكر بمنكر أكبر منه، فيمكن أن تشن أمريكا الحرب على إيران، وفي هذه الحالة ستكون الحرب على شكلين:

أولا: ضربات جوية وصاروخية مكثفة ومركزة

تستهدف الدفاعات الجوية، ومنصات إطلاق الصورايخ، ومواقع المفاعلات النووية، ومراكز القيادة والسيطرة، والمطارات، ومراكز الثقل السياسي، والقوات الإيرانية البرية على الواجهة العراقية، والقوة البحرية وقواعدها، واحتلال مراكز ومواقع برية على الحدود العراقية الإيرانية.

ثانيا: حصار بحري وجوي لفترة طويلة

يهدف هذا السيناريو إلى تدمير المشروع النووي الإيراني وإنهائه، وتدمير قدرة إيران على تنفيذ عمليات اعتراضية «صواريخ، سلاح جو، دفاعات جوية»، وتحطيم الروح المعنوية للشعب الإيراني، ومن ثم إسقاط النظام.

- **الافتراض الثاني (إسرائيل في مواجهة سوريا أو حزب الله أو كليهما)**

والموقف الإسرائيلي يستدعي اللجوء لهذا الافتراض بسبب التهديد المباشر الذي يمثله حزب الله لكافة المواقع داخل الكيان الإسرائيلي، ولإعادة الهيبة للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية، ولقطع ذراع التحالف الإيراني السوري القريب من إسرائيل، وفي هذا الافتراض نتوقع السيناريوهات التالية:

السيناريو الأول

ستشن إسرائيل الحرب على لبنان بتوجيه ضربة جوية وصاروخية لكافة الأهداف التي يمثلها حزب الله، وتدمير المطارات، الموانئ، ومراكز القيادة للجيش اللبناني، وقوات الجيش اللبناني، وتدمير البنى التحتية، ومن ثم اجتياح لبنان واحتلاله بقوات برية كبيرة، ويهدف هذا السيناريو إلى تدمير قوات حزب الله، وتحويله إلى حزب سياسي أو طرده خارج لبنان وقتل قياداته وأسرها، والضغط على لبنان للتخلي نهائياً عن خيار المقاومة ونبذها، وسحب السلاح من يد مقاتلي حزب الله وكافة التنظيمات الفلسطينية الموجودة على الأرض اللبنانية.

السيناريو الثاني

تدخل إيران وسوريا لمساندة حزب الله، وفي هذه الحالة لن تجري إسرائيل تعديلات رئيسية على السيناريو الأول، وسيكون سير العمليات مع إيران وسوريا، على الشكل التالي:

إيران: إمكانية إيران في مساندة حزب الله ستقتصر على ضرب إسرائيل بالصواريخ التقليدية، وسيكون تأثيرها محدودا جداً، وهنا ستجد إسرائيل الحجة لضرب إيران بالطائرات والصواريخ من خلال خطة معدة سلفاً، وستكون أهدافها: المشروع النووي الإيراني، ومراكز القيادات السياسية والعسكرية، والمدن الإيرانية، وسيكون مقصد إسرائيل من ذلك: محاولة تدمير المشروع النووي الإيراني، وإثارة الرأي العام الإيراني ضد النظام، وبالتالي إسقاطه.

وقد تكون العمليات الإسرائيلية بمساندة أمريكية (استخبارية، لوجستية، إسناد عملياتي، وفي مثل هذه الحالة على الرجح، تقوم أمريكا بتنفيذ هذه العمليات، وتتفرغ إسرائيل لمواجهة سوريا وحزب الله.

سوريا: ستكون إمكانات سوريا في التدخل مؤثرة جداً على إسرائيل لاعتبارات عسكرية وجغرافية، فإسرائيل تقع تحت تأثير معظم الأسلحة السورية وبخاصة سلاح الصواريخ والمدفعية، فمعظم مراكز الثقل الإسرائيلي يمكن التأثير عليها بصواريخ قصيرة المدى، ولسوريا القدرة على إشباع الأجواء الإسرائيلية بالصواريخ بحيث تعجز مظلة دفاعها الصاروخي عن المواجهة.

والتدخل السوري أمر تتوقعه إسرائيل، وقد يكون هجومها على لبنان بهدف جر السوريين إلى الحرب، لذلك ستكون خطط المواجهة معدَّة سلفا، وستطور إسرائيل الحرب على الشكل التالي:

- ضربة جوية وصاروخية بالإضافة إلى المدفعية بشكل مكثف ومركز يستهدف الدفاعات الجوية، ومنصات إطلاق الصواريخ، ومراكز القيادات، والمطارات، ومركز الثقل السياسي، والقوات السورية البرية على واجهة الجولان.
- تدمير القوات والقواعد البحري السورية.
- سرعة اجتياح لبنان.
- استخدام القوات البرية الإسرائيلية على ثلاث محاور.
- محور هضبة الجولان باتجاه دمشق، ومحور لبنان، والبقاع، وحمص، وإنزال بحري على سواحل اللاذقية وطرطوس.

رد الفعل الإيراني

يتوقع أن تستطيع إيران امتصاص الضربة الأمريكية أو الإسرائيلية، وسيكون ردها شاملاً المواقع الأمريكية الموجودة في الخليج، إضافة إلى الدول الخليجية، على الشكل التالي:

- ضربة صاروخية إيرانية على القوات الأمريكية في دول الخليج.
- ضربات صاروخية على مراكز القيادات الأمريكية في المنطقة.
- ضرب مراكز القوات الأمريكية وقياداتها في العراق.
- مهاجمة البحرية الأمريكية وقواعدها في الخليج.
- ضرب المراكز السياسية والاقتصادية لدول الخليج.
- هجمات انتحارية مختلفة على القوات الأمريكية في العراق.

- هجوم بري على القوات الأمريكية في العراق.
- تدمير حقول وآبار النفط.
- إغلاق مضيق هرمز.
- ضرب القوات الأمريكية في أفغانستان والتنسيق مع طالبان لهذه الغاية.

رد الفعل السوري

من المتوقع أن تكون الضربة السورية الأولى «ضربة التدخل» ضد إسرائيل مؤثرة جداً، وإلا فلن تقدم سوريا على تنفيذها، وتأثيرها بالدرجة الأولى سيكون على المطارات الإسرائيلية ومراكز القيادة العسكرية والسياسية، وهذا سيخفف ردة الفعل الإسرائيلية، وسيساعد سوريا على تطوير عملياتها على الشكل التالي:

- استغلال الصدمة ضد إسرائيل وإدامة الزخم باستمرار الضربات الصاروخية والمدفعية المكثفة على المطارات، ومراكز القيادات، وطرق المواصلات، ومحاور تحرك القوات الإسرائيلية، والموانئ.
- ضربات مركزة على مواقع القوات الإسرائيلية في الجولان.
- تنفيذ هجوم سوري بري على محورين: **الأول** باتجاه الجولان لاستعادة الأراضي السورية المحتلة، **والثاني**: باتجاه البقاع (جنوب لبنان) لمساندة الجيش اللبناني وحزب الله، ودحر القوات الإسرائيلية خارج حدود لبنان.
- يمكن استخدام سلاح الجو السوري، واستمرار استخدام الصواريخ والمدفعية لإسناد العمليات البرية، مع تغطية كافة الأهداف وبخاصة شمال إسرائيل.

تداعيات الحرب

يعتمد حصر تداعيات الحرب القادمة في الشرق الأوسط بشكل أقرب للدقة على سيناريوهات الحرب والأطراف التي ستشارك فيها، وعمق هذه الحرب ومستواها، وأخيراً النتائج العسكرية التي ستتمخض عنها، إلا أنه- بشكل عام- يمكن توقع التداعيات من خلال افتراض النتائج العامة لهذه الحرب:

١. فشل الحرب على إيران وسوريا

إذا فشلت الحرب الأمريكية والإسرائيلية على إيران وسوريا أو عدم إقدامهما على

شن هذه الحرب، فيتوقع التداعيات التالية:

أ- فشل المشروع الأمريكي في الإقليم، يتبعه تغيير جذري في السياسة الخارجية الأمريكية.

ب- انسحاب كثير من الدول من التحالف الأمريكي الدولي في كل من العراق وأفغانستان.

ت- تقديم تنازلات إسرائيلية في القضية الفلسطينية، والتخلي الأمريكي التدريجي عن دعم إسرائيل.

ث- انسحاب إسرائيل من الجولان ومزارع شبعا اللبنانية، وتوقيع اتفاقات تسوية ضمن شروط مرضية.

ج- انفراط عقد مجلس التعاون الخليجي.

ح- تنامي قوى الممانعة وقوى المعارضة، وتغير بعض الأنظمة وبخاصة في دول ما يسمى بالاعتدال العربي.

خ- تغير جذري في نظام الأمن الإقليمي، وبخاصة جامعة الدول العربية.

د- تزايد نفوذ بعض القوى الدولية في الإقليم وبخاصة الصين.

ذ- تزايد نفوذ إيران في المنطقة وظهور تيار قومي عربي مقابل ذلك.

ر- تعاظم التيار الإسلامي وتسارع نموّه في الإقليم والعالم.

ز- تطور سباق التسلح في الإقليم باتجاه التحول للتكنولوجيا النووية وانفلات النظام العالمي لضبط التسلح.

س- تطور الأزمة الاقتصادية التي تعيشها أمريكا وأوروبا إلى الأسوأ، وتراجع استثماراتها في الإقليم، وحلول استثمارات صينية مكانها.

ش- خسائر اقتصادية كبيرة في دول الخليج تشمل موارد النفط والبنى التحتية، وحدوث انهيار اقتصادي في هذه الدول.

ص-خسائر بشرية كبيرة في دول الخليج.

٢. نجاح الحرب على إيران وسوريا

إذا شُنَّت حرب أمريكية إسرائيلية على كل من سوريا وإيران، أو واحدة منهما ونجحت هذه الحرب، فيتوقع التداعيات التالية:

أ- تسارع نجاح المشروع الإمريكي وتزايد الهيمنة الأمريكية في الإقليم والعالم.

ب- تعمُّق المشروع الصهيوني وزيادة وتيرة التطبيع مع الدول العربية.

ت- تغير الأنظمة السياسية في كل من سوريا وإيران.

ث- حدوث تغير في الجغرافيا السياسية في الإقليم، وتقسيم بعض دوله على أسس طائفية.

ج- ضعف التنظيمات الإسلامية والقومية واضمحلالها.

ح- طرد التنظيمات الفلسطينية من الأراضي الفلسطينية، وتحويل القضية الفلسطينية إلى قضية إنسانية، وتحويل الفلسطينيين إلى سكان على أرض الميعاد.

خ- ظهور النظام القطري على حساب القومية والإسلام.

د- سيطرة أمريكية على نفط المنطقة بما فيها إيران.

ذ- زيادة الاستثمارات الاقتصادية الغربية في الإقليم.

ر- تراجع علاقات الصين وروسيا مع دول الإقليم.

الفصل الثالث

التوصيات الاستراتيجية لصانع القرار العربي والإسلامي

- الورقة الأولى

دوامة الحروب مستمرة رغم تداعياتها المدمرة: لماذا وكيف؟

- الورقة الثانية

الاستعدادات لاندلاع الحرب ونتائجها- سياسياً وإعلامياً

- الورقة الثالثة

الاستعدادات لاندلاع الحرب ونتائجها- عسكرياً وأمنياً واقتصادياً

الورقة الأولى

دوامة الحروب مستمرة رغم تداعياتها المدمرة

لماذا وكيف؟

د. خالد عبيدات*

مقدمة

ليس فتحاً جديداً في آفاق المعرفة تأكيد أن الدولة في جميع مراحل التاريخ وفي الحاضر، وربما في المستقبل أيضاً، كانت وما زالت وستبقى تضع في رأس اهتماماتها تكوين جيش قوي قادرٍ على درء المخاطر الخارجية، وفي الوقت نفسه يساعد على تنفيذ مآرب الدولة على الصعيد الخارجي، والصعيد الداخلي، ولذلك فإن الدولة- إلى حدٍّ ما- يمكن اختصارها بأنها هي الجيش المسلح بجميع أنواع الأسلحة التي يمكن أن تطالها يد القيادة وتحصلُ عليها، فهيبة للدولة من هيبة جيشها، ولا داعي لإنكار قوة الدولة في المجالات الأخرى السياسية والاقتصادية والمالية، فهي مجالات تزيد من حاجة الدولة إلى تعزيز جيشها.

إن هذا الميل من الدولة إلى بناءِ جيشها لا يعني أبداً وجود نزعةً عدوانية، كما لا يعني أبداً استعلاءً على الغير، إنما يعني ضرورة فرضها التاريخ على مدى العصور، حتى إن دولة مثل سويسرا المبنية على الحياد التام بكل أبعاده لها جيشها القوي.

لذلك أصبح من البدهي أن كل دولة تسهر على بناء جيشها، وكأن الحرب قادمة غداً، وتسهر على بناء السلام وكأنه يُعمِّر أبداً، تماماً كما يعمل الإنسان الأكثر وعياً ومعرفة حسب نصيحة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونصها: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

ودول منطقة الشرق الأوسط ليست استثناءً، بل هي تجسيد لنظرية إعطاء الأولوية لبناءٍ القوة العسكرية فالتسابق على التسلح واقتناء السلاح بَدَّ مناطق العالم الأخرى، وأصبحت الموازنة العسكرية فيها تكاد تبتلع موازنة الدولة كلها، وقد بلغ الصرف فيها على الشؤون العسكرية أرقاماً فكلية، الأمر الذي كان له الأثر الفعال في ازدهار تجارة السلاح في العالم؛ إذ

* أستاذ علوم سياسية وباحث سياسي ودبلوماسي سابق- الأردن

تسلطت الأنظار الخبيثة على الشرق الأوسط منهمكة في التخطيط لكيفية ابتلاع أموال المنطقة وفوائدها، ويبدو أن المال في منطقتنا جاء من أجل شراء السلاح وليس من أجل إنتاجه، والسلاح جاء إلى المنطقة من أجل ابتلاع أموالها، لقد استشاط أحد مفكرينا غضباً من هذا الوضع، فاقترح على المتربعين على صناديق المال حلاً للقضايا الوطنية، بطرحها في عطاءات دولية على أن يتم تلزيمها لصاحب أعلى الأسعار!

هناك سباقٌ جنوني على التسلح، وتخصيص ميزانيات له، الأمر الذي وضع المنطقة على كف العفريت، أو على حافة الهاوية، ولا يدري المرء في أي يوم سيصحو على اندلاع نيران الدمار.

أهمية منطقة الشرق الأوسط

لشدة اهتمام القدرات العالمية وعقولها المدبرة بمنطقة الشرق الأوسط، فهي دائمة الانشغال بتحديد المنطقة من أجل حصر موجوداتها الحضارية والاقتصادية والمالية والبشرية، وفي كل مرة يظنون أنهم أشبعوا نهمهم بالدراسة والتحليل يكتشفون أن المنطقة قادرة على التجديد والتطوير، وفي كل مرة يتم إحكام السيطرة الخارجية على المنطقة؛ سرعان ما تظهر قوى جديدة في المنطقة تقلبُ معادلات موازين القوى رأساً على عقب.

إذا كان اهتمام القوى العالمية بمنطقة الشرق الأوسط قد بدأ بدايات منطقية واقعية، لكونها مهد الديانات السماوية التوحيدية الثلاث، وبالتالي لكونها مركز الإشعاع الروحي والحضاري لجميع بني البشر، فإن موقعها الاستراتيجي الذي هو بالفعل القلب والعقل الحقيقي للإنسانية قد جذب كل قوةٍ طامعةٍ للسيطرة على العالم، فإن مَنْ يتمكن من السيطرة على منطقة الشرق الأوسط، يمكنه السيطرة على العالم.

وعندما تمكنت المنطقة من استلام زمام أمورها بنفسها، حينما حملت لواء الإسلام، كادت هي نفسها أن تسيطر على العالم، فأصبحت كياناً سياسياً حضارياً عالمياً.

إن آثار وجذب التأييد والإعجاب من الحريصين على مصير الإنسانية في مسيرتها نحو الازدهار وحتى نحو السعادة، حرَّك ضدها «الإبليسية» النائمة في النفوس الحاسدة والشريرة التي تحالفت تلقائياً مع النزعة السلطوية الكامنة في النفس البشرية الخاوية والمتعطشة إلى الهيمنة.

إن نزعة السيطرة على منطقة الشرق الأوسط أصبحت تراثاً بشرياً، وكأن الكون كله مُجَسَّدٌ فيها، وهكذا أصبح التاريخ في أهم صفحاته إما سيطرة الشرق الأوسط خارج حدوده، وإما تمكن الشرق الأوسط من سيادته داخل حدوده، وإما السيطرة عليه من قبل قوى العصر الخارجية البازغة.

وفي زمننا الحاضر تأخذ أهمية الشرق الأوسط في نظر قوى العالم وجوهاً متعددة، ففيها الطاقة اللازمة لتحريك عجلة العالم، وفيها إسرائيل طفل العالم المدلل، وفيها توجهات جارفة لتقرير مصيرها بيدها، بل وأهم ما فيها هذه الأيام حسب اعتقاد سادة العالم «الإرهاب»، وهناك حرب عالمية على «الإرهاب».

ولذلك فعن أي حرب تتحدث هذه الندوة العلمية اليوم، ما دام أن المنطقة مُتَهَّمة بـ«الإرهاب» في عقيدتها الإسلامية، وفي حقها، في مقاومتها الوطنية؟

الدول الفاعلة في الشرق الأوسط

من دون الدخول في تفاصيل دقيقة لتحديد منطقة الشرق الأوسط، سواء كان صغيراً أو كبيراً، فإن الأمر يعتمد على جنسية ذلك المحدد الاستراتيجي، وعلى نواياه الدفينة.

وتبعاً للتطورات المعاصرة، أصبحت المنطقة تعني أوسع بكثير من المعاني الجغرافية، والدليل على ذلك هذا الاهتمام العالمي بكل ما يجري فيها، فكل دولة على سطح الكرة الأرضية تقريباً أرسلت وحداتها العسكرية لتنال «الشرف» في المشاركة في حرب الخليج، ثم لتتسابق في حصد المغانم في الحرب على أفغانستان، وعلى العراق، ومساهمة أي منها بطريقةٍ أو بأخرى في الحرب التي تم شنها على لبنان في عام ٢٠٠٦ وعلى غزة في عام ٢٠٠٨.

أما بالنسبة للتهديدات بإشعال حرب هذه الأيام على إيران أو على لبنان أو على سوريا أو عليها جميعاً، ودفعة واحدة، فإن إسرائيل يمكن تصنيفها بأنها «واجهة» الدول الفاعلة في المنطقة فيما يتعلق بالحرب وفيما يتعلق بالسلام.

ولا بد إذن من وضع تلك المقولة جانباً وهي: «لا حرب دون مصر، ولا سلام دون سوريا»، إنها مقولة أقرب إلى الشعر المنثور، وأبعد ما تكون عن العمق الاستراتيجي، مع عدم الإنكار الكلي لدغدغات المنثور من الشعر.

إن منطقة الشرق الأوسط أصبحت كعادتها، بل ما تزال تؤكد طبيعة تكوينها بأنها

منطقة عالمية بامتياز، تتأثر جداً بالدول الفاعلة، ولا تؤثر فيها إلا بدرجة قليلة جداً فكل دولة فاعلة على الصعيد الدولي لها فاعلية خطيرة جداً في الشرق الأوسط، مع الأخذ بالحسبان مدى التفاوت في هذه الفاعلية، ولا تتوقف عند العضوية الدائمة في مجلس الأمن الدولي، ولا عند العضوية المؤقتة، وكل دولة تتلمس جسد « دويلتها»، تطمح أن يكون لها فعل فيما يجري في المنطقة، أو قول على الأقل.

ومن المفضل والموضوعية في رسم خارطة الدول الفاعلة، البدء من المنطقة نفسها والبدء من السلطة الفلسطينية؛ إذ مهما تم وصمها بالصفات السلبية أو الإيجابية، فهي تأتي في طليعة الفاعلين سواء قالت نعم أو قالت لا، وليس إذا «فَعَلَتْ»! فهي تملك أن تقول، ولا تملك أن تفعل، ولكن مجرد نطقها يمنحها فاعلية كبيرة.

وبالمقابل تقف إسرائيل، التي لا تكترث كثيراً بقول نعم أو لا؛ إذ إنها مستعدة للمراوغة بنعم أو لا إلى آخر المطاف، وهي منهمكة وبصلف على العمل على التغيير المادي على الأرض، فلها القدرة والتصميم، ولا تكترث لرأي مهما كان مقدار فضله عليها، ومن هنا تبدو فاعلية إسرائيل التي يمكن وصفها بأنها «خارقة».

أما الولايات المتحدة الأمريكية فهي دولة شرق أوسطية بامتياز، وهذا الامتياز يبدأ بتطلع ذلك النصيب المعتبر من شعوب المنطقة إلى «الأمركة»، طموحاً وتعلماً وثقافة، بل وجنسيةً، يشهد على ذلك الطوابير الطويلة جداً التي تصطف منذ الصباح الباكر أمام السفارة الأمريكية لتطرح عليها التحية الصباحية، وهناك الملايين التي تتقن إلقاء التحية بالبريد الإلكتروني، أما الوجود «النفوذي» الأمريكي فلا يقتصر فقط على تلك الجيوش التي تكاد تغطي عين الشمس الموجودة في الجو، وفي البر، وفي البحر، وفي النفوس وفي العقول، ولا يمكن إنكار تلك المقاومة المحلية لهذا الوجود الأمريكي، التي أسالت دم الأنف الأمريكي، ولم تتوقف عند إهانة بوش بحذاء منتظر الزيدي الذي ذهب مثلاً، وفي المحصلة تبقى أمريكا الأكثر فاعلية في الشرق الأوسط، بل وتتكرم بإلقاء بعض الفاعلية على الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا، وبإلقاء بعض الالتزامات على ألمانيا أو اليابان، وبفتح بعض النوافذ في وجه الصين أو الهند أو البرازيل أو فرنسا أو إنجلترا.

أما إيران، فلها فاعلة من طراز «إرغامي عقدي زئبقي»، فهي حليف لأمريكا في

احتلال أفغانستان، وشريك لها في احتلال العراق، وفي حكمه أيضاً، وتثير حسد مجموعة الدول الست وحذرها، وتجعل إسرائيل ترتعد رعباً في كل ما يتعلق بالطاقة النووية السلمية أو العسكرية.

وحين الانتقال بتفاصيل الفاعلية إلى تركيا، فإن دخولها على خط الفاعليات قد أخذ شكل «الصحوة» في اللحظة الأخيرة وقبل فوات الأوان، وتَلَمَّستْ تركيا في هذه الصحوة تاريخها البعيد، وإن كان واقعها المعاصر يمتطي قطار النمو والتغيير، ويحاول عقلها رسم مواقع الفائدة في التوجهات.

ويبدو أن الأمر تَعَدَّى إهانة السفير أو تبادل مغلفات مع إيران والبرازيل حول استبدال كيلوغرامات إيرانية من اليورانيوم المخصب قليلاً، بكيلوغرامات أقل عدداً، مخصبة بدرجة أكثر على الأراضي التركية، ولم تعترف مجموعة الدول الست بأهمية عملية التبادل هذه.

واقتصار الفاعلية على الدول فقط ليس من العدل، حتى وليس دلالة على الوعي، ولا على قراءة صحيحة للواقع، فإن حزب الله في جنوب لبنان مع مريديه أينما كانوا يمتلك بجدارة ثقلاً هائلاً في الفاعلية يحسب لها ألف حساب من جميع الجهات الفاعلة الأخرى، والأكثر فاعلية منه؛ إن معظم الحركات والتحركات والتهديدات تدور في فَلَك وفي آفاق حزب الله، سواء عن قدرته الذاتية، أو قدرته المستمدة بما بين يديه من تقانة عالية، وبما يتدفق عليه من عون بإعجاب وبإيمان، وفاعلية حماس في غزة والمريدين لها في الخارج تقع في نفس إطار فاعلية حركة حماس.

وهناك إضافة إلى كل ما سبق من فاعلياتٍ، «الفاعلية العاقلة والمعقولة»، التي بيدها كثير من المنطق، وكثير من العقلانية والإحساس العميق بالمسؤولية، وكثير من الألم من ضيق ذات اليد مالياً لقسم منها، ونفوذاً ومكانة على الساحة للقسم الآخر، ولكن أياً منها لم يعرف الكلل ولا الملل في بذل المساعي، ويأتي في المقدمة الأردن ومصر والسعودية.

وبدأ يلوح في الأفق تكوين فاعلية تحالفية بين سوريا والعراق وإيران، وربما مصر، والوقوف عند هذا النوع من الفاعلية التحالفية تصديقاً أو اهتماماً أو تحليلاً يطلعنا على أن لا جاذبية فيه.

لكن يجب الوقوف عند أملٍ كبيرٍ وعظيمٍ فيه كل الجاذبية، أقصد بذلك كيفية التوفيق

بين جميع هذه الفاعليات للوصول إلى قاسم مشترك، فقد ارتفعت صيحات حول تكوين منظمة إقليمية، أو إقليمية موسعة، تضم في عضويتها هذه الفاعليات، وها هو مؤتمر القمة العربية في سرت أوكل إلى أمانة جامعة الدول العربية البحث والتباحث مع دول الأطراف.

النوايا الحسنة والثقة والقدرة

تكاد النوايا في الشرق الأوسط تكون في غاية الوضوح؛ إذ إنَّ النوايا الإسرائيلية لا تخفى على أحد، سواء من أهل المنطقة أو من خارجها؛ فأهل المنطقة يعبِّرون علانية عن معرفتهم بالنوايا الإسرائيلية التي لا تريد الخير لأحد غيرها، بينما الدول من خارج المنطقة تتعاطف معظمها مع إسرائيل وتساندها، وتتغابى عن معرفتها بحقيقة النوايا الإسرائيلية، بل نجد رئيساً مثل ساركوزي يصرح بأعلى صوته وهو يشارك إسرائيل احتفالاتها بعيد ميلادها الحادي والستين: «إن قيام إسرائيل هو أعظم إنجازٍ حققته البشرية في القرن العشرين»، أما عن برقية التهنئة التي بعثها أوباما مهنئاً نتيناهو بعيد ميلاد إسرائيل الثاني والستين، فقد خرق جميع الأعراف الدبلوماسية بالمديح الهائل، وخرق حقائق التاريخ من أجل دعم إسرائيل في ادعاءاتها الأساطيرية.

ولذلك فإن «النوايا الحسنة» في المنطقة، وخاصة فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي تكاد تكون معدومة، إلا في الاعتدال من الجانب العربي، الذي يتكلم ويتصرف في سبيل الوصول إلى حل النزاع، وفي سبيل تجنب أي صدام أو معركة أو حرب، من منطلق العدالة والمنطق وبنوايا حسنة.

فالنوايا الحسنة إذا توافرت هي التي تؤدي إلى السلاح، وهي بالأساس التي تحول دون اشتعال الصدام الذي يؤدي إلى الحرب الشاملة، ولا يفيد توفر النوايا الحسنة في الجانب الفلسطيني أو العربي الذي أفصح عن نواياه الحسنة في المبادرة العربية للسلام، التي أطلقها القادة العرب في قمتهم التي انعقدت في بيروت عام ٢٠٠٢، ثم دأبوا على تكرارها وتأكيدها في جميع القمم السنوية الدورية، وكان آخر تأكيد على التزام العرب بها ما جاء في قرارات قمة «سرت» في نهاية آذار/ مارس الماضي، وبالمقابل لم تقم إسرائيل بأي بادرة تظهر فيها قطرة من النوايا الحسنة، رغم الضغوطات عليها، ولا بإزالة ذرَّة تراب من حواجز العزل التي تقطع أوصال الضفة الغربية، وتزيد من معاناة الشعب الفلسطيني وعذاباته.

وما دامت النوايا الحسنة غير متوافرة في الجانب الإسرائيلي، وربما لدى كثير من القوى التي تدعمها، فإن الثقة ستكون مفقودة بشكل عام في أجواء الشرق الأوسط، فهي مفقودة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية، ومعدومة بين إسرائيل وحماس، وتكاد تكون مستحيلة بين حماس والسلطة، ولا يمكن الحديث فيها بين إسرائيل وإيران، وقد تبخرت في لحظة البرق بين تركيا وإسرائيل، وهي غير واردة بين الولايات المتحدة وكل من إيران أو سوريا أو حزب الله.

فما فائدة هذه الثقة إذا وجدت بين كل من تركيا والبرازيل من جهة، بصفتهما عضوين مؤقتين في مجلس الأمن، ومن جهة أخرى مع إيران، إذا كان اتفاق تخصيب اليورانيوم الإيراني على الأرض التركية لم يلق قيراط ثقةٍ من أحدٍ؟ لقد سقطت جهود لزرع الثقة في المنطقة، ويبدو أنه لا أحد يثق بالآخر! فماذا إذن سيتوقع المراقب الذي يتابع ساعة الصفر لقيام الحرب؟!

إن فقدان الثقة لا يعني من قريب أو بعيد فقدان القدرة على شنِّ الحرب أو على تجنبها، فكل طرف من أطراف عميلة السلام أو عملية الحرب تتوافر عنده القدرة لإشعال الحرب، كما تتوافر له القدرة لتخريب عملية سلام، أو أي جهود يمكن أن تتسم بالخير أو بالمساعي الحميدة، مثل مساعي «كارتر» أو «نيلسون مانديلا» أو القس «توتو»، وفي المقابل فإن الطلاسم السياسية في الشرق الأوسط أعطت القدرة لأضعف طرف في النزاع للقول الفعال في عملية السلام، من أجل عرقلتها ونسفها، وإن لم تعطه القدرة على كسب الحرب إذا اشتعلت.

ويبدو أن لا أحد من الأطراف مهما بلغت قدرته قادر على حسم الحرب القادمة، فعدم القدرة على الحسم تجعل الأكثر قدرة كافرا بقدرته، وتجعل الأضعف قدرة متباهيا بضعفه، وهذه المعادلة بين الأقدر والأضعف تطيح بنظرية توازن القوى عن عرشها السياسي الذي حكم أوروبا في التاريخ الحديث، وتجعلها من دون أي معنى في الصراع الجوهري في الشرق الأوسط.

إن هذا الوضع المعقد سياسياً وعسكرياً ومفاهيمياً، لن يفضي إلا إلى مزيد من التمترس، فأصبحت «المَتْرَسة» أحدث «عقيدة»- وليس بمعنى العقيدة الدينية- لجميع الأطراف الفاعلة في الشرق الأوسط؛ فإسرائيل تتمرس في بناء المستوطنات وابتلاع الأرض، والسلطة تتمترس بمبادئ القانون الدولي، والدول العربية تتمترس خلف المبادرة العربية

للسلام، وإيران تتمترس خلف تخصيب اليورانيوم، وتركيا تبني متاريس جديدة، والولايات المتحدة تتمترس خلف إيمانها المطلق بأمن إسرائيل.

ومن هنا، فإن النوايا الحسنة غير متوافرة، والثقة معدومة، والقدرة لها مفعولها وفاعليتها مهما كان وزنها عند العملاق، وعند الأقل عملقة، الأمر الذي يفضي بالنتيجة إلى وضع قابل جداً للاشتعال، بل وربما ينتظر من يعلق الجرس، أي من يشِعل عود الكبريت.

أنماط الحروب التي شهدتها المنطقة ونتائجها

أحدث الحروب التي عرفتها المنطقة حتى اليوم، هي الحرب على «الإرهاب»؛ إذ لم تبدأ هذه الحرب إثر أحداث ١١ سبتمبر في نيويورك وواشنطن، لقد بدأت قبل ذلك بعقدين، ولكنها اشتعلت لتشمل العالم كله، وتحديداً منطقة الشرق الأوسط التي تحولت إلى كونها متهمة بأنها مصدر لتفريخ «الإرهاب»، بسبب دينها الإسلامي، فالإسلام والمسلمون متهمون به، فوجبت إذن مطاردتهما بموجب القوانين الدولية التي شرعها مجلس الأمن الدولي.

وكالعادة استغلت إسرائيل هذا التحول الدولي أبشع استغلال، أو أن التحول الدولي نفسه استغل إسرائيل، وسخرها للحرب على «الإرهاب»، والطرفان لهما فائدة مشتركة؛ إذ إن الحرب على «الإرهاب» اعتبرت المقاومة الوطنية «إرهاباً»، وبما أن الحرب على «الإرهاب» لم تنتهِ، فإن التصويب على المقاومة الوطنية سيستمر.

لذلك يمكن القناعة وبسهولة وبسرعة أن المنطقة برمتها في حرب دائمة مشتعلة ضد «الإرهاب»، وعلى هذا الأساس، وما دام أن الحرب دائمة الاشتعال على «الإرهاب»، فالحرب التي يحتمل أن تشتعل في المنطقة هي حرب أخرى إضافة إلى الحرب القائمة على «الإرهاب»، وفي هذه الحالة فإن الحرب في المنطقة حين اشتعالها ستصبح حرباً «مركَّبة»، أي حرباً فوق حرب، وتضاف إليهما حروب أخرى.

والمنطقة مشهورة بكثرة الحروب فيها؛ إذ لا تشتعل فيها حرب إلا وفيها الوقود الكافي لإشعال حرب أخرى، إنما تختلف عنها نمطاً من حيث الأهداف، ومن حيث الإمكانات، ومن حيث الأضرار، والأهم من كل ذلك من حيث ارتفاع حدة العداوة وحدة الأحقاد.

كانت حرب عام ١٩٤٨ من أجل طرد الفلسطينيين من ديارهم، وإقامة دولة إسرائيل عليها، وقد نجحت الحرب في تحقيق ذلك نجاحاً باهراً.

وكانت حرب عام ١٩٥٦ من أجل لجم قوة مصر الصاعدة والسيطرة على إمكانية بزوغ أي قوة صاعدة في دول الجوار الإسرائيلية، ونجحت في ذلك أيضاً نجاحاً باهراً.

ونجحت حرب عام ١٩٦٧ نجاحاً هائلاً في السيطرة على باقي الأراضي الفلسطينية والجولان وجزء من جنوب لبنان وعلى سيناء بكاملها، وحققت نجاحاً هائلاً.والأهم من جميع تلك النجاحات كلها أنها تمكنت من النفاذ إلى صلب العقل العربي في الوحدة العربية، الذي انزاح كثيراً عن التفكير فيها.

أما حرب عام ١٩٧٣، فإنها ازدادت في نجاحاتها من حيث إغراق العقل العربي في قضايا بعيدة عن القضية الجوهرية، وهي القضية الفلسطينية، بالإضافة إلى تطويعه في كل ما يهم قوى النفوذ الغربية في النفط العربي.

ولا يمكن إغفال تلك الدراسات التي ظهرت حديثاً كاشفة عن رائحة النفط في تلك الحرب، ثم غرق العرب بعد تلك الحرب في موضوع التسويات والمساومات والانصياعات في جميع قضاياهم، وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

وتحول العرب بعد تلك الحرب بالريموت كونترول إلى حرب ضد إيران في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، أودت فيما بعد إلى أن قام العراق بغزو الخليج، الأمر الذي كان جاذباً لتحالف دولي واسع أودى بطرد صدام حسين من الكويت، وملاحقته وتركه حيا، ولكن محاصراً، هو وشعب العراق الذي عاني الأمرَّين، إلى أن قامت حرب كونية ضد أفغانستان فغيرت من سحنتها، تلتها حرب ضد العراق أشعلت فيها النيران منذ عام ٢٠٠٣ ولم تخمد نيرانها الأهلية حتى اليوم، وبعد ذلك تم شن حرب على لبنان عام ٢٠٠٦ كانت إسرائيل فيها كالعادة رأس الرمح، من أجل إلغاء الخرائط التي حكمت المنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، بموجب رسومات سايكس وبيكو السيريالية.

لم تنجح أمريكا ورأس رمحها إسرائيل في تغيير خارطة المنطقة «الديمقراطية»، ولا الجغرافية، لأن رأس الرمح قد انكسر لأول مرة، فقد سقطت في الوحل هالة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، وتمرغت هيبته في الوحل أكثر في تلك الحرب التي شنتها إسرائيل على غزة في نهاية عام ٢٠٠٨ وبداية عام ٢٠٠٩.

والملاحظ أن جميع تلك الحروب لم يكن الطرف العربي هو البادئ في إشعال أي حرب

منها، بل كانت كلها تفرض عليه فرضاً، أويتم توريطه فيها، ولم يكن الطرف العربي في أي حال من الأحوال على استعداد مسبق للتعامل مع أي حرب من تلك الحروب.

والملاحظ أيضاً في آخر حربين، وهما الحرب على لبنان والحرب على غزة، أن المقاومة في لبنان وفي غزة قد أبهرت جميع المراقبين بصلابتها وبقدرتها وبتضحياتها، الأمر الذي من شأنه أن أحدث تحولاً هائلاً في عقلية صانعي الحروب في المنطقة، من أجل الاستمرار في تمكنهم من قدر المنطقة، في جوٍ عام لم تعد فيه الحرب نزهة لمشعلها كما كان عليه الحال في الحقب السابقة.

والدلالات كثيرة على استخدام الأسلحة غير التقليدية، لأن إسرائيل بدأت تذوق الويلات التي لم يألفها الإسرائيليون؛ إذ لم تكن إسرائيل ترتعد أو ترتقب سابقاً كما هو حالها اليوم، ويشهد على ذلك تلك المناورة الإسرائيلية التي شارك الشعب فيها، التي بدأت يوم الأربعاء ٢٣/ ٥/ ٢٠١٠، ولم يكن حزب الله على استعداد لضرب إسرائيل وفي العمق كما هو اليوم بدعمٍ على رؤوس الأشهاد من إيران ومن سوريا، ولم تكن أمريكا على قناعة كما هي عليه اليوم من سوء نوايا إيران المبيَّتة ضد إسرائيل، وفي إنتاج سلاح نووي؛ كل ذلك، في الوقت الذي يعجز فيه نظام الحكم القائم في العراق من تشكيل حكومة بالمقاييس الديمقراطية المستوردة المفروضة، بينما «الإرهاب» يحصد يومياً المئات من الضحايا البريئة، وأضعافها من الجرحى والمعوقين.

أما غزة فيزداد خناق الحصار عليها، إلا من مركب صغير بالكاد يصل إليها وفيه بعض المعونات الإنسانية بعد أن تفتشها إسرائيل، ومن الجهة الأخرى تزداد الأحقاد بين حماس والسلطة في رام الله، التي تتمنى لو أن القدر لم يكن قاسياً عليها لهذه الدرجة التي أدخلها في مفاوضات غير مباشرة مع إسرائيل، هي أقرب إلى الكآبة وإغلاق نافذة من نوافذ الأمل.

والنتيجة من كل ذلك هي الغليان المتصاعد في نفوس الجميع من دون استثناء، وأكثر الأطراف تنام وتصحو، والإصبع على الزناد!!.

الحرب في المنطقة بين الضرورة والكارثة

منذ الحرب العالمية الثانية، دخلت الحرب بكل قوة إلى عقول وثقافة من لديه رأي أو سلطة في اتخاذ القرار، على الصعيدين الرسمي والشعبي، في معظم الرقعة الجغرافية في منطقة

الشرق الأوسط وخارجه، في كل شأن يتعلق بالقضية الفلسطينية، ويزداد هذا الدخول هجوماً لأن القضية الفلسطينية هي جوهر قضايا المنطقة.

إذا كانت القضية الفلسطينية قد بدأت باتفاقية سايكس بيكو، ثم بوعد بلفور، ثم بصك الانتداب البريطاني، وصولاً إلى قرار الجمعية العامة بالتقسيم رقم (١٨١) لعام ١٩٤٧، فإن جميع هذه المراحل قد تحققت باستخدام القتال المباشر، ولم ينتهِ ذلك القتال بقيام إسرائيل، لأن ذلك كان خطوة في مسلسل لا نهاية له من الخطوات، فقيام إسرائيل وإبقاؤها على قيد الحياة يتطلب باستمرار حرباً لكسر إرادة الفلسطينيين، وإرادة الأشقاء العرب، بالإضافة إلى كسر إرادة الضمير الإنساني الحر المتعاطف مع الحق والرافض للظلم.

إن تاريخ البشرية عموماً وهي تصعد سلم الازدهار والارتقاء لم يكن كله سلاماً ورخاءً، بل إن الحروب قد صبغته بسلبياتها وبإيجابياتها أو بعدالتها أو بعدوانيتها، لذلك فلا يمكن إطلاقاً إلا التأكيد على الدور الهائل والفعال لدور الحروب في صنع حضارة الإنسان، وفي منطقة الشرق الأوسط الشواهد الأكثر وضوحاً، ولكن ذلك لا يعني أبداً الوقوف فقط عند ذلك الدور الفعال للحروب، ولا يعني إسباغ الشرعية عليه واعتباره الطريق الوحيد أو الحل الوحيد، علماً بأن هناك حرباً شرعية، وأخرى غير شرعية، وهناك ما هي مشروعة وأخرى غير مشروعة، فكل حرب في نظر من يقوم بها، وخاصة إذا كانت نتيجتها النصر المبين هي شرعية ومشروعة، بل وترتفع في التقدير إلى درجة القدسية، حتى في الأديان السماوية وفي طليعتها الإسلام هناك دار السلام وهناك دار الحرب؛ إذ لولا الحرب ما عرف السلام، وبالمقابل لولا السلام ما عرفت الحرب؛ أي أن الجنوح إلى السلام والحرب أمر بدهي، فكل أمةٍ تمجد أبطالها الذين قضوا دفاعاً عنها وعن الوطن في الحروب التي خاضتها الأمة باختيارها أو رغماً عنها.

والاستشهاد عند المسلم هو الطريق إلى الجنة، وكذلك في الديانات الأخرى، أما عند غير المتدينين فهو الطريق إلى المجد وإلى الخلود!! فكل دولة في الشرق الأوسط تضع في مقدمة أولياتها بناء قوات مسلحة قادرة وعلى أهبة الاستعداد، وميزانية القوات المسلحة تكاد تبتلع الجزء الأكبر من الموازنة العامة، وهذا لا يعني إلا الاستعداد ليوم الوغى؛ أي الاستعداد لخوض الحرب هجوماً أو دفاعاً.

والعلاقة بين الحرب والعدالة علاقة عكسية، فكلما تحققت العدالة تغيب فرص الحرب، وكلما غابت العدالة تزداد احتمالات الحرب.

وفي منطقتنا انقلب المنطق وخوت العدالة من مضامينها، منذ أن وطئت الصهيونية وداعموها أرض المنطقة؛ كل الحروب في المنطقة التي أشعلتها إسرائيل لا منطق فيها، وبالتالي لا عدالة فيها، فإسرائيل اختارت أن تعيش معزولة داخل قلعة محصنة، فهي تارة تُعلّي إلى السماء تلك الجدران، وتارة توسع وتمدد تلك الجدران لتشمل مساحات إضافية، بعد أن تتخلص من سكان العرب الشرعيين، وكل ذلك تمارسه إسرائيل باستخدام القوة التي تعتمد على العون الخارجي.

فإسرائيل قامت بفضل إنجازاتها الحربية، فيما تراجع الطرف العربي وخسر باستمرار، لقصور قدراته الحربية، الأمر الذي فرض الحرب فرضاً على العرب، وإن كان الذي يطفو على سطح العقل العربي الرسمي الآن هو أن السلام هو الخيار الاستراتيجي، في الوقت الذي تقوم فيه الحركة الدموية في بنية العقل الإسرائيلي على استراتيجية الحرب والقوة.

استراتيجيتان متناقضتان، ويستحيل أن تلتقيا على الرغم من مؤتمر أنابوليس، ومن خارطة الطريق، ومن اللجنة الرباعية، ومن المساعي الدولية، وفي مقدمتها المساعي الأمريكية «الأوبامية»، والصيحات تزداد ارتفاعاً بضرورة أن يتخلى الموقف العربي عن استراتيجية خيار السلام، وعن المبادرة العربية للسلام.

جميع الحروب السابقة لم تحقق أبداً ولو خطوة واحدة نحو السلام، بل إن كل حرب كانت نتيجتها تؤكد ضرورة الاستعداد بشكل أدق وأقوى للحرب التالية، أي أن الحرب أصبحت ليست فقط متوقفة بل هي «ضرورة» حتمية.

وتكمن الكارثة في أن الحرب أصبحت بالفعل ضرورة لا بد منها، بغض النظر عن الكوارث التي ستلحق بأطراف الصراع.

أوصاف الحرب القادمة

بما أن أجواء عدم الثقة هي المهيمنة على جميع أطراف النزاع في الشرق الأوسط، فإنه من البدهي إذن أن يكون الأصبع على الزناد جاهزاً لإطلاق النار في اللحظة التي يراها مناسبة له، ومن الأفضل في هذه الحالة الأخذ بالحسبان- ولو كان نادراً- أن يضغط الأصبع

على الزناد، إما بطريق الخطأ وإما من شدة الأرق، وإما لأن الكيل قد طفح «حقداً» أو «وطنيةً»، كما لا يمكن إلا إعطاء نسبة من الاحتمال لشق عصا الطاعة على متخذ القرار بالحرب أو بالسلم من أجل المسارعة في إشعال الحرب، خاصة وأن «الأصولية الدينية» صار لها صولاتها وجولاتها لدى جميع الأطراف، إن كان داخل الجانب الإسرائيلي أو الفلسطيني أو الإيراني أو حزب الله، أو في أوساط المحافظين في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.

لذلك فإن أوصاف الحرب التي إذا اشتعلت بسبب أن الفرصة لتحقيق الهدف أصبحت مواتية، ستختلف حتماً عن الحرب التي ستشتعل بسبب الخطأ أو الأرق، أو لأن الكيل قد طفح.

ولأول وهلة يبدو أن التفريق بين هاتين الحربين يبدو ميسوراً، ولكن حقائق التفريق ستختفي في اليوم التالي، حينما يكون الدمار ساحقاً، وحينما تسيل الدماء بشكل جارف.

وسواء اشتعلت الحرب لاسترداد حقوق متنازع عليها، أو لنشر عقيدة معينةٍ، أو للاستيلاء على مواد استراتيجية، أو للحيلولة دون إنتاج أسلحة دمار شامل، أو لعدم التمكين من استخدام أسلحة دمار شامل موجودة، أو من أجل فرض الهيمنة، أو بهدف القضاء على هيمنة قائمة، فإن مُشعل تلك الحرب لن يعدم القدرة على تسويغ ما قام به، سواء أمام شعبه أو اتجاه المجتمع الدولي، ولا عجب في حال كهذا أن ينقلب الأسود أبيضً أو أن ينقلب البياض سواداً.ومبدأ الحرب الوقائية مبدأ قائم، ويجد الآذان الصاغية، كما أن مبدأ الحرب الاستباقية قد أدخلته الولايات المتحدة، أو على وشك أن يكون في صميم القانون الدولي الجديد المطور.

وحين تشتعل الحرب هذه المرة ستكون الأكثر دماراً، ولن تقف عند حدٍ معين، ولن يصدر القرار من مجلس الأمن ما دام الفيتو في متناول اليد تمريراً للمصالح الأمريكية، وصوناً للمصالح الإسرائيلية، ولن تقف الدول الدائمة في مجلس الأمن كذلك الموقف حين شنَّ بوش حربه على العراق عام ٢٠٠٣، ما دام أن التوافق ضد طموحات إيران أصبح لا خلاف عليه، وما دام أن المحافظة على أمن إسرائيل وحمايتها أمراً لا يتوفر له الإجماع، حتى من معظم الأعضاء غير الدائمين في المجلس.

ليس هناك إطلاقاً من إشارات من الجانب العربي أو الإيراني بأنهما سيبدآن إشعال

الحرب.إن إسرائيل وبدعم من مجموعة (٥+١) هي التي ستبدأ الحرب ضد إيران أو ضد سوريا أو ضد لبنان أو ضد غزة أو ضد الضفة الغربية، وسيتم استخدام أحدث الأسلحة وأكثرها تطوراً من أجل كسر إرادة العدو، بأسرع من ومضات البرق.

ومع كل ذلك، فليس هناك ضمانة لتحقيق الهدف ما دام أن الطرف الآخر فيه تصميم على عدم الرضوخ، وفي هذه الحالة ستكون الحرب ورطة كبيرة لا يعرف من بدأها كيف سيخرج منها، ولن يعرف الطرف المتلقي للضربات رفع الرايات البيضاء، بل سيقاوم مقاومة يؤلم فيها المعتدي، وستذوق الأمهات الإسرائيليات والأمريكيات ومن معهما المرارة والألم كما ذاقتها الأمهات في المنطقة.

سيزداد اللجوء والنزوح، وسيزداد الطرد القسري من جميع الاتجاهات وإلى جميع الاتجاهات، الأمر الذي سيرغم الأطراف التي ارتأت عدم الدخول في الحرب على الدخول فيها، وسيتحول جزء كبير من السكان إلى ما يشبه الطعان التي تهيم على وجهها بحثاً عن النجاة، وستهتز «الهويات» في المنطقة بما فيها الهوية الإسرائيلية، ولن تمتلك قوةٌ مهما كانت، وأينما كانت احتواء نتائج هذه الحرب، وبالتالي لن يبقى أمامها إلا التعايش مع تلك النتائج؛ أي التعايش الاضطراري.

وسيكون «الإرهاب» أكبر المستفيدين من هذه الحرب، أكثر بكثير من الفوائد التي جناها نتيجة للحرب على أفغانستان، أو للحرب على العراق، أو على لبنان أو على غزة.وليس ابتعاداً عن الحقيقة الافتراض بأن «الإرهاب» الكامن في عقول وقلوب مشعلي الحرب هو الذي قادهم كالأنعام من أجل أن يشعلوا هذه الحرب، ما دام أن «الإرهاب» وحده سيحصد لصالحه معظم نتائج هذه الحرب.

التعايش مع نتائج الحرب

إذا كانت جميع القوى الفاعلة في المنطقة غير قادرة، أو بالأحرى غير راغبة في العمل دون نشوب الحرب لغرضٍ في نفس يعقوب لكل واحدة منها، فإنه من دون شك لكل دولة خططها التي ستسير عليها حين اشتعال النيران؛ فإسرائيل على سبيل المثال، تدَّعي بأنها ستغير نظام الحكم في سوريا بعد أن تعيده إلى العصور الحجرية، ولكن سوريا أقل حدة في الرد فتقول إنها ستذيق إسرائيل الكثير من الآلام.

أما إيران فتقول في حال ضربت إسرائيل المنشآت النووية السلمية في إيران: إن إسرائيل حينها ستواجه حتفها الكامل، بينما يؤكد حزب الله أن لديه القدرة لضرب إسرائيل في العمق وفي كل مكان، ولن يجد الجيش الإسرائيلي حين اعتدائه على جنوب لبنان مكاناً يعود إليه في فلسطين، كما لن يجد الإسرائيليون مكاناً يلجؤون إليه من حدة الضربات الصاروخية لحزب الله.

أما الولايات المتحدة الأمريكية ومعها الدول الخمس فما زالت تصر على المزيد من العقوبات على إيران بقرار جديد يصدر من مجلس الأمن، غير مكترثة بتبادل إيران لليورانيوم على الأراضي التركية، ومع تكرار أمريكا رغبتها في الحل الدبلوماسي، فإنها لا تغلق الباب أبداً أمام الحل العسكري.

وعند نشوب الحرب فإن أي طرف فيها سيستخدم كل ما لديه من قوة ضاربة، ابتداءً من الأسلحة التقليدية وانتهاء بالأسلحة غير التقليدية، والثابت حتى اليوم أن الأطراف التي تمتلك السلاح غير التقليدي هي الولايات المتحدة، وقد صرح أوباما بأن بلاده لن تستعمل السلاح غير التقليدي إلا ضد الدول التي تحاول امتلاكه، وهذا يعني بصريح العبارة أن أمريكا ستستخدمه ضد إيران إذا لزم الأمر، ومن تحصيل الحاصل إن إسرائيل ستستخدمه إذن ضد إيران وغير إيران حينما يختلط الحابل بالنابل.

سبق وصرح الرئيس بوش الابن بأنه عند نشوب الحرب ضد إيران (وحلفاء إيران وهما سوريا وحزب الله)، فإن بلاده ستضرب بكل قوة ودقة وسرعة تفوق التصور، وأن أمريكا في هذه الحرب ستجمع بين الاستراتيجيات الخلاقة والتكنولوجيا المتقدمة، وتدّعي أمريكا وإسرائيل بأن قوة ضرباتهما لن تفسح المجال للمضروب بالقيام بردود فعل مؤثرة، بمعنى أن الحرب ستكون ساحقة ماحقة.

ولو تم تصنيف جميع هذه التصريحات المتبادلة بأنها تقع في إطار التأثير على النفوس، فإنه ما من شك في أن الحرب ستكون مدمرة أكثر من حرب سابقة شهدتها المنطقة، ولكن حرب من الحروب السابقة كانت بعيدة عن الحسم ولم تكن قادرة إلا على زرع بذور الحرب التالية.

ولا شيء يشير إلى أن الحرب القادمة ستكون حاسمة سياسياً، بالتوازي مع ذلك الكم

الهائل من الدمار الذي ستحدثه، ولا يمكن استثناء أمريكا من الدمار الذي ستذوقه، ليس فقط بالنسبة لجيوشها ومصالحها في المنطقة؛ بل إنها في سيطالها الدمار في عقر دارها أيضاً.

إن أي طرف من أطراف الحرب فيه من القدرة لأن ينهض حياً من تحت الدمار، لينطلق من جديد.

الحرب بشكلها الحالي إن كان فيها قوة الدمار المادي والجسدي، فإنها لا قدرة فيها على تدمير الإرادة، وإن الإرداة في الشرق الأوسط على الحياة، وعلى الانتصار على الظلم والعدوان لا يمكن أن تستكين أو تلين، وإن كانت قابلة للتعايش مع نتائج الحرب التدميرية، لأنها قادرة على الاستمرار في العطاء، إن «القدرة الكامنة» في الشرق الأوسط عصيَّة على العالم الجديد، وعلى كل ما ابتدعه من فنون للقضاء على الآخرين.

سيواجه أهل المنطقة العين بالعين والسن بالسن، وبعد ذلك سيضطرون للتعايش مع النتائج باستيعاب جحافل المهجرين، أو بإعادة بناء كل ما تهدم، بما في ذلك إعادة بناء أنظمة سياسية إذا طالها الهدم، وسيبقون طرفاً في الخارطة السياسية الجديدة إذا تم فرضها، وإن لم ينجحوا سابقاً في دحر خارطة سايكس بيكون، لكنهم نجحوا في النهاية في تلمس قوتهم من خلال تلك الخارطة، الأمر الذي دفع قوى الشر الخارجية إلى العمل لرسم خارطة جديدة على أنقاض خارطة سايكس بيكو، وسيبرز في المنطقة فكر سياسي جديد غير منقطع عن منابعه الأصيلة، وهي التعاليم الإلهية، وذلك سيشكل أعظم ما يستخلص من آثار الحرب القادمة.

وبالمقابل سيبدأ التغيير داخل الولايات المتحدة نفسها التي أصيبت بالإرهاق والتعب والملل، ليس فقط بسبب الصدمات التي ذاقتها من الحروب التي خاضتها في الشرق الأوسط بالنيابة، بل لأن هناك في الأفق البعيد تلوح مؤشرات إلى حتمية تغيير العقيدة الأمريكية نفسها، ويمكن في هذه النقطة بالذات التأمل بعمق بما أصاب المغول حينما كادوا يحرقون الشرق الأوسط بأكمله، ولكنهم في النهاية عادوا وقد تغيرت عقيدتهم؛ لقد اعتنقوا الإسلام.

الخلاصة والاستنتاج

إن الأهمية التي تتمتع بها منطقة الشرق الأوسط جعلت منها محط أنظار القوى العالمية، التي تسعى لنيل أكبر قدر من الأسهم فيها، فقد أسقطت هذه الأهمية أي نظرية سابقة تتحدث عن كيفية السيطرة على العالم، وأصبح أحدث النظريات أن من يسيطر على الشرق

الأوسط يسيطر على العالم، وما زال العالم في طريقه إلى الإقرار بأن القضية الفلسطينية هي جوهر قضايا المنطقة.

وبسبب كثرة القوى الخارجية الهارعة إلى المنطقة، وتعدد القوى البازغة فيها، وبسبب الوجود الإسرائيلي، فقد هجرت الثقة والنوايا الحسنة المنطقة وتركتها على حافة الهاوية، يؤرقها القلق المتصاعد المستمر والأرق من وضع السبابة على الزناد في كل الأوقات، وتتساوى في ذلك القوى الأكثر فاعلية مع القوى الأقل فاعلية، لقد أصبحت القوة لا تضمن الأمان لصاحبها وأصبح الضعف لا يؤدي بصاحبه إلى الهلاك.

فقد اعتادت المنطقة على الحروب غير المحسومة، ولم تنجح أي حرب إلا بزرع البذور السريعة النمو للحرب التالية، فالحرب غدت ضرورة من دون حسابات لكوارثها، والحرب القادمة التي يتراكض الجميع إلى ساعة الصفر فيها لن تلد إلا بذور حرب جديدة.

كما اعتادت المنطقة أيضاً على عدم بذل الجهود الخارقة من أجل احتواء الأسباب المؤدية إلى الحرب، فإنها بارعة في احتواء نتائج الحرب مهما كانت كوارثها عجيبة، فالمنطقة أشبه بإسفنجة كثيفة تمتص الإيجابيات والسلبيات معاً، وهذا هو سر أهميتها وسر استمرارها، فمنابعها الحضارية لا تنضب أبداً.

ولا ننسى أن الحرب مشتعلة على الدوام في المنطقة، ألا وهي الحرب على «الإرهاب»، الأمر الذي لا يثير الكثير من الخوف حين اشتعال حرب أخرى موازية.

الورقة الثانية

الاستعدادات لاندلاع الحرب ونتائجها – سياسياً وإعلامياً

د. صبري سُميرة*

مقدمة

إن اقتراح أي توصيات استراتيجية وغيرها لما يمكن أن يقوم به صُنَّاع القرار العربي والإسلامي المعنيون من الاستعدادات، والأعمال والتعاملات السياسية والإعلامية، قبل أي حرب أو حروب متوقعة ونتائجها أو خلالها أو بعدها، أمر في غاية التعقيد والحساسية، ويحتاج إلى دراسات وخطط استراتيجية وتكتيكية وتنفيذية، مدعمة ببرامج ومشاريع فعالة وعملية، يعمل عليها فريق متكامل من الممارسين والمنظِّرين لمراحل متلاحقة طويلة، فزمان هذه التوصيات قبل الحرب وخلالها وبعدها، وأطراف الحرب وجبهاتها وأنواعها ومستوياتها وجوانبها متعددة، وابتداء فإن التوصيات يجب أن تستوعب كل البيئات والخلفيات المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي وحروبه وتسوياته، بكل أطرافه، وأن تبلور رؤية واستراتيجية ومضموناً، وخطاباً وسياسات، ومواقف وخططاً وبرامج ومشاريع تنفيذية سياسية وإعلامية، تخدم المصالح العليا للقضية الفلسطينية والمنطقة العربية، وفق منهجية المقاومة الشاملة للاحتلال الإسرائيلي، والبناء المستمر نحو دولة فلسطينية حرة مستقلة، وبالتحالف والاستعانة بكل القوى المحلية والعربية والإقليمية والدولية، الرسمية والشعبية، وبكل ما لديهم من قدرات مادية ومعنوية.

وسعياً للتركيز في هذه الدراسة، فإنني سأعرض للاستعدادات والأعمال السياسية والإعلامية اللازمة للتعامل مع أي حرب قادمة، ولكن بالتركيز على حرب تشنها إسرائيل على قطاع غزة.

وتنطلق الاستعدادات من رؤية واستراتيجية لمقاومة شاملة، بما فيها سياسية وإعلامية تتصدى للاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على شن المعارك الكثيرة المتنوعة للتخلص من أو السيطرة على أو إضعاف أي جماعة أو مجتمع فلسطيني، أو دولة عربية أو إسلامية، أو تحالف

* أستاذ علوم سياسية وسياسات عامة وخبير في تحليل الاستراتيجيات الأمريكية والشرق أوسطية- الأردن.

إقليمي أو دولي يقف أمام تحقيق مخططاتهم العدوانية التوسعية، ومن هذه المنطلقات قد تشن إسرائيل حرباً جديدة على قطاع غزة وحماس.

وتنبِّه هذه الورقة إلى أهمية الانتباه إلى التوقيت السياسي والأهداف الإسرائيلية لمثل هكذا حرب، ومن ثم تعرض لجملة من منطلقات الاستعدادات السياسية والإعلامية في مواجهة حرب إسرائيلية جديدة على غزة.

فإمكانية وقوع الحروب في الصراع العربي- الإسرائيلي إمكانية دائمة ومفتوحة، ولا تحتاج للكثير من المسوغات، وتتداخل فيها عوامل كثيرة محلية وإقليمية ودولية في شتى المجالات والمستويات، فهي جزء من حياة هذه المنطقة فرضه وجود الاحتلال الإسرائيلي القائم على القوة والحروب.

وعليه، فلا بد من استعداد دائم للتعامل مع حروب عسكرية قد تقع.

وأشير هنا إلى أن التعامل مع الحروب الأخرى غير العسكرية لا يقل أهمية عن التعامل مع العسكرية منها، وعلى رأسها تلك الحروب الطاحنة السياسية والدبلوماسية، ومشاريع التسوية، والإعلامية، والنفسية، والقانونية الدولية وغيرها.

وأخطر من ذلك الحروب الميدانية في فلسطين، حروب الديمغرافية، والاقتصاد، والحصار، والتهجير، والانقسام، والتبعية، وغيرها.

وحيث إن هذه القوى مختلفة الرؤى والتحالفات والمحاور والسياسات والمصالح، وفي مواقفها اتجاه أي حرب محتملة، فإن المعني بالتوصيات بالدرجة الأولى هي الكيانات المقاومة والرافضة لأي نوع من الحروب والاحتلال، أو الهيمنة الأجنبية على أي جزء من المنطقة، وأي كيانات أخرى تساندها.

وعدا عن هؤلاء فإن المعنيين بالدرجة الثانية في أن يأخذوا بأكبر قدر من التوصيات خدمة للمصالح العليا للقضية الفلسطينية والمنطقة العربية هم الأنظمة الرسمية العربية المتحالفة مع أمريكا والسلطة الفلسطينية، التي تختلط حساباتها في موازنة «فوائد» الحروب وأضرارها وفق مناطقها وأنواعها ونتائجها المتوخاة، وخاصة في التأثير على سيطرتها ومكانتها المحلية والإقليمية ومصالحها الذاتية الضيقة، وفي التأثير على مستوى تحالفها مع أمريكا.

فقد برهنت الحروب السابقة والمتوقعة أن البعض قد يقبل بحرب على إيران يدمر

قدراتها التهديدية- إن وجدت-، أو يقبل بحرب على سوريا يُقلم أظافرها ويعيدها للصف العربي، أو يقبل بحرب على حزب الله لاجتثاث النفوذ الشيعي المسلح من المنطقة، أو يقبل بحرب على حماس لإزاحة الإسلاميين عن سدة الحكم ولإعادة الحكم لنظام عربي تقليدي مرتبط بأمريكا، وكل ذلك يفتح الباب واسعا لإسرائيل وأمريكا للقيام بحروب يزداد فيها العرب ضعفاً وتشرذماً، إن لم يعيدوا حساباتهم وترتيب أوضاعهم، وهذه الحال تعقُّد عمليات التحليل والتوقعات، ومن ثم إقتراح التوصيات بشأن الاستعدادات والأعمال والتعاملات السياسية والإعلامية مع الحرب المحتملة.

دراسة وتحليل الاستعدادات السياسية والإعلامية في وجه حرب إسرائيلية جديدة

حتى تكون الاستعدادات والأعمال السياسية والإعلامية مناسبة لمعالجة أوضاع الحرب المتوقعة، فإن ذلك يستلزم ابتداء دراسة وتحليل والتنبؤ بكافة البيئات العامة والسياسية، الاستراتيجية والمرحلية، السائدة قبل الحرب، والتي قد تسود خلالها وبعدها، وأن يتم دراسة وتحليل والتنبؤ بالرؤى والتوجهات الاستراتيجية والسياسات العامة والأهداف، والمواقف المرحلية الخاصة بكل الأطراف، وتلك المتعلقة بالحرب خلال نفس الفترات.

وتستلزم سلامة هذه الاستعدادات كذلك استيعاب صنَّاع القرار العربية والإسلامية المعنيين لكل ما سلف، وتحديد كيفيات ومستويات وأشكال تفاعلهم معه، وتأثيرهم فيه، وتوظيفهم له في خدمة مشاريعهم، واستيعاب تداعياته وانعكاساته على مستقبل القضية الفلسطينية والمنطقة العربية والشرق الأوسط، وعلى أطراف الصراع واللاعبين الأساسيين في المنطقة، وخاصة على مشروع المقاومة فيها.

وبالرغم من انخفاض توقعاتي الشخصية بحدوث أي حرب خلال العام القادم، فإن حرباً على غزة قد تكون هي صاحبة الاحتمالية الكبرى للوقوع، لقلة كلفتها على إسرائيل وحلفائها مقارنة بالحروب الأخرى، ولإمكانية أن تحقق إسرائيل- وفي بعض الأحيان بعض من يقف وراءها- بعض الأهداف التي قد تبدأ بهدف شراء الوقت وخلط الأوراق، وإثارة المنطقة لتتجنب حكومة نتنياهو دفع أي أثمان مطلوبة أمريكاً لجهود التسوية، وقد تنتهي بالسعي لتحقيق هدف القضاء على حماس وتسليم غزة للسلطة الفلسطينية، لتطبيق نموذج الضفة فيها الخاضعة للمقاسات الإسرائيلية.

رؤية لمقاومة شاملة، بما فيها سياسية وإعلامية في وجه حرب إسرائيلية جديدة على غزة

من المتوقع أن تستمر حركة حماس في رؤيتها واستراتيجيتها العامة القائمة على مقاومة شاملة- بما في ذلك السياسية والإعلامية- والرامية إلى زيادة قوتها ونفوذها الشامل داخل فلسطين وخارجها، وأهمها زيادة القوة العسكرية الميدانية داخل فلسطين والصمود والمقاومة، بحيث تستطيع التأسيس لقيام كيان فلسطيني حقيقي على بقعة فلسطينية ذات سيادة، وتواصُلٍ حر مع العالم، لتحقيق الحلم الفلسطيني بالعودة وإقامة دولة مستقلة، وقد تكون في المستقبل البعيد- فيما لو تغيرت موازين القوى- المنطلق لتحرير باقي فلسطين.

والمطلوب لتحقيق كل ما سبق، شراء بعض الوقت- القصير أو الطويل بحسب الأهداف المتوخاة- لترتيب الأوضاع وبناء وقائع صمود ومقاومة، وأسس كيان قابل للحياة على الأرض يصعب تغييرها.

ولتسهيل هذه المهمات فلا بد من تحقيق حد معقول من التماسك والبنيان والوحدة الوطنية الفلسطينية، لحم الصمود والمقاومة، ومنع الاستفراد والاستغلال الإسرائيلي، وبناء تحالفات وانفتاح خارجي يعزز ذلك، ووفق هذه الاستراتيجية فإن حركة حماس غير معنية باستمرار مفاوضات أبدية عبثية، أو إنشاء كيان هش غير قابل للحياة، ولكنها- إذا ما شعرت بالقوة واستتباب الأمور- قد تكون جاهزة لمفاوضات حقيقية لهدنات طويلة الأمد، إذا ما اقتنع الإسرائيليون بتقديم تنازلات حقيقية للشعب الفلسطيني.

فوفق هذه الاستراتيجية طورت حركة حماس من عملها، وتقدمت في المراحل إلى أن وصلت إلى السيطرة الكاملة على غزة، ومنذ ذلك الحين تدرك حماس بأن إسرائيل ستسعى بشتى الطرق للقضاء على سيطرتها تلك، بما في ذلك العدوان العسكري على غزة، وكان ذلك في عام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ وفشلت إسرائيل في القضاء على حماس.

وبناء على ذلك، ينبغي الاستمرار في تطوير رؤية حماس واستراتيجيتها تجاه قطاع غزة، لتحقيق التحصين والصمود الشامل، والسيطرة الميدانية الأمنية والحكومية والشعبية، وفتح المعابر إلى غزة بصورة طبيعية، وفك الحصار بصورة كاملة، ولتحقيق ذلك كله، ينبغي العمل على جبهات داخلية وعربية وإقليمية ودولية كثيرة، رسمية وشعبية ومؤسسات دولية، سياسية ودبلوماسية وإعلامية، إضافة إلى العسكرية والاستخبارية والتمويلية.

وفي الصورة الأكبر، فإن أشكال العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني قديماً وحديثاً ومستقبلاً إنما هي معارك تضاف إلى قائمة طويلة من المعارك التي شنها الاحتلال الصهيوني والإسرائيلي ضمن حربه المستمرة الشاملة على الشعب الفلسطيني والعربي.

ومن خلال هذه الحرب التي بدأها الصهاينة منذ قرابة القرن من الزمان- وتابعهم فيها الإسرائيليون- مدعومين من الغالبية العظمى ليهود العالم وأمريكا والدول الأوروبية، خاصة الغربية، يريد المحتلون ديمومة دولة إسرائيل على كامل أرض فلسطين، وتهويدها وتفريغها من شعبها وتشريدهم، بل وتوسعة نفوذها في الإقليم بالأشكال المتاحة.

فاستراتيجياً ومن أجل تحقيق ذلك، يقوم الصهاينة والإسرائيليون بشن المعارك الكثيرة المتنوعة، للتخلص من أو السيطرة على أو إضعاف أي جماعة أو مجتمع فلسطيني أو دولة عربية أو إسلامية أو تحالف إقليمي، أو دولي يقف أمام تحقيق مخططاتهم العدوانية التوسعية، ومن هذه المنطلقات قد تشن إسرائيل حرباً جديدة على قطاع غزة وحماس.

التوقيت السياسي لحرب إسرئيلية جديدة على غزة

ينبغي إدراك أن ظروف إسرائيل السياسية تلعب دوراً كبيراً في تحديد التوقيت السياسي لأي حرب قد تشنها على قطاع غزة.

ومن هنا فينبغي دراسة هذه الظروف وتحليلها ومتابعتها، وإدماجها في الاستعدادات السياسية والإعلامية للتنبؤ وللتصدي لأي حرب قادمة، ويمكن تلخيص بعض هذه الظروف السياسية المحيطة بالحرب الإسرائيلية المتوقعة على غزة بالآتي:

١. لا زال الوضع السياسي الداخلي الإسرائيلي يشوبه الكثير من النزاعات الشخصية والحزبية والائتلافية والسياسية، وقد يدفع ذلك بنتينياهو وباراك إلى شن حرب لإشغال الإسرائيليين بالخطر الخارجي، ولمحاولة إبراز قيادتهما بصفات القوة والانتصار.

٢. يشكل الضغط الأمريكي المتنامي على إسرائيل لإحراز إنجاز في تسوية صراعها مع العرب، مصدر إزعاج وإحراج دائمين لها لدفعها لتقديم تنازلات لا ترغبها، وعليه، فحرب على غزة قد تخلط الأوراق، وتحمي إسرائيل من تقديم مثل تلك التنازلات.

٣. لا زال الانقسام الفلسطيني وفشل المصالحة بين حركتي فتح وحماس على الشرعية والسلطة والنفوذ والعلاقات والتحالفات الخارجية يشكل تشجيعاً كبيراً لإسرائيل لشن

حرب جديدة على غزة، ومما يساعدها أكثر هو تهالك السلطة الفلسطينية من أجل الإطاحة بحركة حماس بأي ثمن يدفعونه، أو يدفعه الشعب الفلسطيني أو المصالح العليا للقضية الفلسطينية، وبرفض المصالحة الحقيقية وبالمقاطعة شبه الكاملة لحركة حماس، والتهجم الدائم عليها، وبالانفتاح والتعاون الكامل والأمني مع إسرائيل، كانت السلطة الفلسطينية عونا كبيراً لإسرائيل، ومنحتها ما تجادل به أمام العالم من أنها تخدم بذلك «الشرعية الفلسطينية»، التي تخاصم المقاومة العبثية غير الشرعية المتمثلة في حركة حماس.

٤. لا زالت عوامل الانقسام العربي بين معسكري: الممانعة والاعتدال-، واللعب على وتر مواجهة النفوذ الإيراني، وانشغال الدول العربية بمشاكلها الداخلية، وغياب أي قيادة عربية فاعلة، لا زالت عوامل مساعدة لإسرائيل على شن حرب جديدة على غزة، وأكثر من ذلك، فإن سكوت أو مساعدة بعض الفلسطينين والعرب على حرب غزة وحصارها يشجع إسرائيل على شن مثل تلك الحرب.

في المقابل فإن وحشية الحرب الإسرائيلية الأخيرة على غزة، والدمار الكبير الذي سببته للفلسطينيين، ونتائجها غير السارة لإسرائيل، والانتقادات الدولية الشعبية والأممية، والحصار البشع المستمر حتى اليوم، وعدم التشجيع الأمريكي لمثل هكذا حرب، يقيد من حرية إسرائيل في شن حرب جديدة على غزة، ومن هنا فإن توظيف كل من هذه القضايا يمكن أن يُساعد في تجنيب غزة حرباً أخرى بشعة.

أهداف حرب إسرائيلية جديدة على غزة

ينبغي أن تبنى الاستعدادات والاستراتيجية السياسية والإعلامية في مواجهة أي حرب جديدة على غزة على استيعاب، ومن ثم محاولة إفشال الأهداف الإسرائيلية من حربها تلك، والتي يمكن الإشارة إلى أهمها بالآتي:

١. أن إسرائيل تبحث عن أمنها وحسب دون اكتراثها بمأساة الفلسطينيين، أو تقديم أي حل سياسي حقيقي لقضيتهم العادلة، فإسرائيل بعدوانها العسكري تريد إشغال الجميع عن السبب الرئيس لكل الاضطرابات المتمثلة بالاحتلال والاستيطان والتهويد.

٢. تسعى إسرائيل إلى ضمان هيمنتها المطلقة العسكرية والأمنية على حدود قطاع غزة،

وإن أمكن في داخله، لتضمن التخلص أو السيطرة على السلاح الفلسطيني فيه، وضمان عدم توجيهه إلى الإسرائيليين، وتدمير الأنفاق ووقف التهريب عبر الحدود مع مصر، وتدمير البنية التحتية العسكرية ومصادر الإمداد العسكري لحركة حماس.

٣. تسعى إسرائيل إلى هزيمة حركة حماس أو إضعافها، لكي يضعف محور الممانعة والمقاومة في المنطقة، ولكي يزول وهج انتصار صمود حزب الله ومقاومته ضد إسرائيل في عام ٢٠٠٦ وصمود الفلسطينيين وحماس ومقاومتهم في عام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩، ولكي يظهر هذا المحور بالعاجز عن نصرة حركة حماس.

٤. تسعى إسرائيل إلى القضاء على حكومة حركة حماس أو إضعافها لما تمثله من «إرهاب ورفض للسلام» أي مقاومة للاحتلال ورفض للتفريط بالحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني.

٥. تسعى إسرائيل للمحافظة على السلطة الوطنية الفلسطينية بعدما أضعفتها حركة حماس كطرف وشريك مفاوض باسم الشعب الفلسطيني، للوصول إلى السلام المنشود وحل الدولتين.

٦. تسعى إسرائيل للتأكيد بأن القوة العسكرية الإسرائيلية هي القوة الكبرى في الشرق الأوسط، وذلك لردع محور الممانعة، والامتنان بذلك على محور الاعتدال لمنعهم من الضغط على إسرائيل بخصوص القضية الفلسطينية.

٧. تسعى إسرائيل إلى إقناع الفلسطينيين والعرب بأن استراتيجية محور الاعتدال القائمة على خيار السلام الوحيد، وبناء الاقتصاد والأمن الفلسطيني تحت الاحتلال هي الاستراتيجية الناجحة، عندما يرون رضى إسرائيل والغرب وأمريكا ومحور الاعتدال على سلطة الضفة الغربية، بينما تغرق غزة في الدمار والحصار والحروب المتلاحقة، التي تسببها سيطرة حماس على القطاع، كما يريد أن يثبت الإسرائيليون.

منطلقات للاستعدادات السياسية والإعلامية في مواجهة حرب إسرائيلية جديدة

١. الاستفادة الكاملة من دراسة وتحليل مجريات العدوان العسكري الإسرائيلي على غزة في عام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ وما رافقه من معارك سياسية وإعلامية ودبلوماسية وشعبية وغيرها، ودراسة وتحليل نقاط القوة والضعف في ثبات وصمود ومقاومة الشعب

الفلسطيني وحركة حماس وفصائل المقاومة في غزة، حيث فشلت إسرائيل في تحقيق الكثير من أهدافها، وتكبدت خسائر إضافية كذلك، فاستراتيجية وسياسات ومواقف حركة حماس في المقاومة الشاملة والسياسية لم تمكن إسرائيل من القضاء على المقاومة وحركة حماس، بل على العكس زادت من قوتها السياسية والجماهيرية والدولية.

٢. أهمية التوعية المبكرة والفضح المستمر الكثيفين على كافة المستويات لوحشية عدوان إسرائيل على غزة، ووحشية حصارها، وحجم الدمار وعدد القتلى الناتج عن الحرب، وتعزيز الاتجاه الشعبي الصراعي في الجانب العربي والإسلامي والعالمي ضد إسرائيل.

٣. زيادة الإلحاح- بصورة مباشرة وغير مباشرة وبالأفعال والمواقف على المؤثرين الرئيسيين ودول العالم- للضغط على إسرائيل بعدم ارتكاب أي حماقات حربية ضد قطاع غزة المحاصر، وفضح التطرف والتعنت الإسرائيلي؛ أي إبراز حالة الضحية التي يعيشها الشعب الفلسطيني بقوة.

٤. الاستفادة من الانفتاح والتعاطف العربي والإسلامي والدولي الذي حظي به الشعب الفلسطيني وحماس بعد الحرب الأخيرة على غزة.

٥. التنسيق والاستفادة القصوى من الحليف التركي ودوره المتعاظم إقليمياً، كقوة ودولة وحكومة إسلامية علمانية وسنيَّة حليفة لأمريكا، ومنفتحة على إسرائيل وصديقة لدول «الاعتدال» و«الممانعة» في آن واحد.

٦. تعظيم الاستفادة وتحريك الشارعين الشعبي والرسمي من دور حماس القيادي، وبرنامجها المقاوم ونفوذها وشعبيتها فلسطينياً وعربياً في التصدي للعدوان الإسرائيلي، خاصة في ظل تخاذل أو ضعف مواقف السلطة الفلسطينية والأنظمة العربية اتجاه الاحتلال والعدوان الإسرائيلي المستمر، وهذا بالتالي سيعطي مزيداً من الشرعية والدعم لبرنامج الصمود والمقاومة وحماس كقيادة للشعب الفلسطيني.

٧. يجب أن تصر حماس استراتيجيا وسياسياً بأن لا حل للقضية الفلسطينية إلا بمشاركتها في لدفاع عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وبأنه مهما سعت إسرائيل بحصارها وحروبها، وأمريكا بجهودها وضغوطها ومشاريعها، فإن حماس رقم صعب كبير في قضية فلسطين، وعليه فيجب مخاطبة العالم بأنه بدلاً من الحروب، فليرفع الحصار

وتفتح الأبواب لمشاريع تسويات أكثر عدالة، تشارك فيها حماس.

٨. لا بد أن تستمر حماس في مراعاتها لظروف الساحة العربية، والتعامل المرهق مع حالة الانقسام والصراع، وغياب الرؤية والإرادة السياسية في التعامل الحازم الحريص مع الاحتلال الإسرائيلي بشكل عام، وأشكال عدوانه الشاملة والعسكرية على الشعب الفلسطيني وأمن المنطقة العربية؛ فالعدوان العسكري الإسرائيلي الأخير على غزة أظهر المستوى الكبير من الهشاشة والتخبط واضطراب الأولويات لدى الجسم العربي الجمعي، والدول العربية منفردة، وقد أدت حالة التمحور والانكفاء نحو الداخل الوطني والتخفف من العبء القومي العربي، إلى تسهيل التدخل والتحكم والفاعلية الخارجية في تقرير كيفية التعامل مع العدوان العسكري الإسرائيلي على غزة.وأظهرت الأحداث عدم قدرة الطرف العربي على الضغط على المجتمع الدولي، فلم يكن للعرب دور كبير في صمود غزة أمام الهجمة العدوانية عليها، ولم يكن لديهم دور في صدور قرار مجلس الأمن، أو حتى قرار وقف إطلاق النار أو القمة الأوروبية، وقمة شرم الشيخ جاءت في حينه لإعطاء مخرج للوضع الإسرائيلي، ولإعطاء إسرائيل تغطية لانسحابها من قطاع غزة، وعليه؛ فيجب على حماس وفي إطار استعداداتها لمواجهة حرب إسرائيلية على غزة أن تختط طريقاً يخفف من أضرار وشرور الانقسام العربي بين معسكر التسوية والاعتدال، ومعسكر المقاومة والممانعة، وقوام ذلك، تعزيز تحالفها مع محور الممانعة إلى درجة التحالف الاستراتيجي المتبادل، والتعاون بأقصى درجة مع محور التسوية من دون التنازل عن المصالح العليا الفلسطينية والعربية، ودون الإضرار بتحالفها مع محور الممانعة.

٩. لا بد أن تطور حماس رؤية متكاملة للتعامل مع قضايا خلافية ضاغطة لأطراف الصراع قبل وخلال وبعد حرب قد تشنها إسرائيل على غزة، ومن هذه القضايا: قضية الحصار والمعابر ومواقف وأدوار إسرائيل ومصر فيها، قضية إعادة الإعمار، قضية الحوار والمصالحة الوطنية الفلسطينية، قضية شاليط.

١٠. لا بد من القيام بتجهيزات وإطلاق حملات من قبل القوى الإسلامية والقومية والوطنية، هدفها التأثير الحقيقي في كافة المستويات والمجالات الشعبية والرسمية، كل

في بلده وإطاره، من أجل التصدي لأي حرب إسرائيلية قادمة على غزة، وأن يتم التخطيط الاستراتيجي لكي يصب كل ذلك في صالح القضية الفلسطينية.

١١. لا بد من القيام بتجهيزات وإطلاق حملات مبكرة منهجية فعَّالة وكبيرة لعمل إعلامي محلي وعربي، وإقليمي وإسلامي ودولي قادر على توجيه الرأي العام المحلي والعربي والإسلامي والدولي ضد أي حرب إسرائيلية، وكشف صورة إسرائيل العدوانية أمام العالم، متسلحين بالكثير من المواد من الحرب الأخيرة على غزة، ومن تقرير جولدستون والتقارير الدولية، ولا بد من زيادة الزيارات الإنسانية للقطاع، والتعريف بمعاناة متضرري الحرب، واستمرار حملات القوارب البحرية لكسر الحصار، ورفع الدعاوى القضائية ضد مجرمي الحرب الإسرائيليين، وإثارة كل ذلك إعلامياً لأقصى درجة ممكنة.

١٢. وعلى المستوى الإعلامي كذلك، ينبغي الاستعداد لإفشال إسرائيل إعلامياً، بل والتفوق عليها، والمحافظة على استمرار وسائل الإعلام بالعمل والتغطية الميدانية والتعبوية، وأن تستمر قيادات المقاومة العسكرية والسياسية من إيصال رسائل مُستمرة للمقاومة وللشعب الفلسطيني وللعالم أجمع، وأن تقدِّم خطاباً ومضامين إعلامية مُناسبة، ولا بد من تشجيع وخدمة وسائل الإعلام العربية والعالمية، وخاصة الفضائيات والإنترنت، داخلياً وخارجياً، لتنفيذ عمل إعلامي ضخم ضد الحروب الإسرائيلية.

١٣. ينبغي الاهتمام والتركيز على استراتيجيات مبكرة للحرب النفسية ضد الاحتلال الاسرائيلي بتخويفهم من الخسائر التي ستصيبهم، ومن قوة المقاومة الشاملة التي تنتظرهم على كافة الجبهات، وبطريقة محترفة وشعبية ودولية، لإضعاف معنويات الإسرائيليين ومن يقف معهم ووراءهم.

١٤. يجب الاهتمام بتوعية ورفع معنويات أهالي غزه والمقاومين، وتأكيد أهمية صمودهم ومقاومتهم.

١٥. يجب تعظيم نفوذ ودور التجمعات الفلسطينية والعربية والإسلامية في الضفة الغربية وفي داخل الخط الأخضر، وفي المخيمات والشتات والعالم أجمع، في التصدي للحرب الإسرائيلية القادمة، لتحريك دول العالم وحكوماته وشعوبه.

الورقة الثالثة

الاستعدادات لاندلاع الحرب
ونتائجها عسكرياً وأمنياً واقتصادياً

د. أحمد الخلايلة*

مقدمة

تتابعت في الآونه الأخيرة الكثير من الأحداث التي تدفع باتجاه خلق توتر شديد في منطقة الشرق الأوسط، فموقف إيران وسعيها للحصول على السلاح النووي من أبرز عوامل هذا التوتر، فاسرائيل والولايات المتحدة ومعهما العديد من دول الغرب وبعض الدول العربية، يزداد قلقها يوماً بعد يوم نتيجة الموقف الإيراني المماطل، وعدم الرضوخ للمحاولات الدولية لثني إيران عن الاستمرار في برنامجها النووي، فبالرغم من تجاوب إيران لبعض المطالب والوساطات الدولية، مثل تخصيب اليورانيوم خارج إيران، إلا أن إسرائيل تدفع باتجاه تأزيم الموقف للقضاء على الخطر الإيراني والأخطار الأخرى في محيطها الجغرافي.

ومن المؤكد أن لدى اسرائيل والولايات المتحدة الكثير من الخطط العسكرية لحماية أمنها الوطني ومصالحها الحيوية، ويتم التدرب عليها لتكون جاهزة للتنفيذ، ويتم تصنيف هذه الخطط وإعطاؤها الأولوية بناءً على درجة تهديدها للأمن الوطني.

العوامل الحاكمة لاتخاذ القرار بالحرب

على القادة الاستراتيجيين والعسكريين الاستعداد التام في أي وقت لتنفيذ الخطط العسكرية (الدفاعية والاعتراضية) الموضوعة مسبقاً.

وتتحكم العوامل التالية في القرار السياسي بإعلان الحرب، وتنفيذ أي من الخطط العسكرية الجاهزة للاستخدام:

١- تعاظم التهديد أو الخطر على المصالح الوطنية والحيوية بعد استنفاد الوسائل الدبلوماسية.

---

* مدير مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية – عمان.

٢- توفر القدرة على تحقيق الأهداف السياسية بالوسائل العسكرية مقارنة بقدرات العدو.

٣- تهيئة البيئة الإقليمية والدولية.

٤- تهيئة البيئة المحلية للمساهمة في المجهود الحربي، وتأييد قرار الحرب، وتحمل الخسائر البشرية والمادية المحتملة.

٥- العقيدة السياسية لأصحاب القرار (الحزب الحاكم).

التهديدات والتحديات التي تواجه إسرائيل والولايات المتحدة وتدفع باتجاه حرب

من خلال متابعة الحالة السياسية في إسرائيل وتصريحات المسؤولين فيها، نخلص إلى أن إسرائيل منشغلة في هذه الفترة بإقناع الولايات المتحدة بضرورة معالجة التهديدات والتحديات التالية:

١- سعي إيران الحثيث للحصول على السلاح النووي، الذي سيسهم في خلق توازن استراتيجي، ويزيد من عدوانية إيران وتهديدها للمصالح الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة.

٢- زيادة قوة حزب الله المدعوم من إيران وسوريا، واستمراره في تهديد أمن إسرائيل بعد فشل الوسائل السياسية والعسكرية، لتحويله إلى حزب سياسي وتجريده من قدراته العسكرية.

٣- صمود المقاومة في غزة وعزمها التصدي لمحاولات إسرائيل فرض الحلول على الشعب الفلسطيني، وتصفية القضية الفلسطينية.

٤- تزايد احتمالات اندلاع انتفاضة كبرى في الضفة الغربية، بسبب يأس الشعب الفلسطيني من انتظار حلم الدولة الفلسطينية المستقلة.

٥- تعاظم الدور الإيراني في العراق وامتداده نحو الغرب.

٦- حاجة إسرائيل إلى إعادة الاعتبار لقدرة قواتها المسلحة على التصدي لأي تهديد لأمنها الوطني، خاصة بعد هزيمتها عام ٢٠٠٦ في مواجهة حزب الله، وفشلها في القضاء على حركة حماس في غزة.

الاستعدادات الأمريكية والإسرائيلية لاندلاع الحرب

من خلال مراقبة النشاطات السياسية والعسكرية الإسرائيلية والأمريكية يمكن الوصول إلى استنتاج بأن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية تعملان على إعداد القوات العسكرية والمجهود الحربي ومسرح العمليات وكسب التأييد الدولي لشن حرب على إيران، لتدمير قدراتها النووية في حال فشل كافة الجهود الدبلوماسية والضغوط الدولية لمنع إيران من الحصول على السلاح النووي.

وهناك الكثير من المظاهر والاستعدادات التي تعطي دلالة لكل مراقب بأن الولايات المتحدة وإسرائيل تقومان بالتحضير لشن حرب خاطفة على إيران وحلفائها، تلعب فيها اسرائيل دور البطولة، ومن المحتمل استخدام أسلحة نووية تكتيكية في مرحلة لاحقة من الحرب، وقد تؤدي هذه الاستعدادات والتهديدات بالحرب إلى تحقيق الأهداف السياسية دون مباشرة الحرب، ومن هذه الاستعدادات التي تم رصدها ما يلي:

١- قيام قيادات إسرائيلية بزيارات متتابعة إلى الولايات المتحدة والدول الكبرى.
٢- التقاء القيادات الإسرائيلية بالجاليات اليهودية في الولايات المتحدة ودول الغرب، وحشد التأييد للمخاوف الإسرائيلية من الأخطار المحدقة بدولة إسرائيل.
٣- التحركات الدبلوماسية الأمريكية والاسرائيلية لتهدئة الدول العربية والداخل الفلسطيني، وإشغالهم بمقترحات جديدة للحل السلمي.
٤- إجراء المناورات العسكرية الإسرائيلية والامريكية على الخطط الدفاعية والاعتراضية داخل إسرائيل وفي منطقة الخليج، وإجراء المناورات المشتركة.
٥- توزيع أقنعة الغاز (الكمامات) على المواطنين الإسرائيليين في كافة المدن الإسرائيلية.
٦- الطلعات الجوية التي تقوم بها الطائرات الإسرائيلية على ارتفاعات عالية ومتوسطة فوق الجنوب اللبناني، ومواقع قوات حزب الله.
٧- التهديد العسكري الشديد اللهجة لسوريا، لمنعها من التدخل ومساندة حزب الله.
٨- التزود بأنظمة دفاع جوي جديدة وتوزيعها على المناطق الحيوية في إسرائيل والخليج العربي.
٩- إرسال قطع بحرية وغواصات إسرائيلية إلى الخليج العربي.

١٠-قيام سلاح البحرية الإسرائيلي بمساعدة الأسطول الأمريكي الخامس في الخليج العربي بتنفيذ عمليات عسكرية سرية قبالة السواحل الإيرانية، استعداداً لقيام قوات خاصة من البحرية الإسرائيلية بضرب أهداف في العمق الإيراني.

١١-النشاط الإسرائيلي في العراق وقيام ضباط إسرائيليين برسم مسارات برية وجوية داخل العراق، لاستخدامها من قبل القوات الاسرائيلية مستقبلاً بالتعاون مع القوات الأمريكية في العراق.

١٢-قيام عدد من القوارب والقطع البحرية الأمريكية المحملة بصواريخ بحرية من طراز (الدرع) Aegis بالحركة المستمرة قبالة الشواطئ الإيرانية.

١٣-إعلان وزير الدفاع الإسرائيلي (باراك) بأن الحرب القادمة ستكون حرباً شاملة في المنطقة، وفي مواجهة إيران وسوريا وحزب الله وحماس.

١٤-إعلان بعض الجنرالات الأمريكان بأن خطة الهجوم على إيران قد وضعت، وأن القوات الجوية الأمريكية قادرة على تدمير القدرات العسكرية الإيرانية تدميراً كاملاً، بما في ذلك طموحاتها النووية، وأن هذا العمل سيؤدي إلى إقصاء النظام الإيراني الحالي واستبداله بنظام موالٍ للغرب.

١٥-قيام الولايات المتحدة بزيادة قواتها في الخليج، للدفاع عن حقول وموانئ النفط في حال اندلاع الحرب، وتعزيز بطاريات صواريخ باتريون قبالة السواحل الإيرانية.

١٦-محاولة إسرائيل التصنت الإلكتروني داخل مقر قيادة الأركان التركية في أنقرة، لالتقاط ومتابعة ما تبثه شبكات الاتصال الإيرانية والسورية.

١٧-أعد الجيش الاسرائيلي خطة لاحتلال قطاع غزة والمكوث فيها فترة طويلة.

١٨-أعدت قيادة الجبهة الداخلية في الجيش الإسرائيلي خطة مفصلة لترتيب إخلاء جماعي للسكان الاسرائيليين في مناطق تتعرض لهجوم صاروخي.

استعدادات إيران وحلفائها لاندلاع الحرب

ترى إيران بأنها مستهدفة من قبل إسرائيل والولايات المتحدة، وأن استمرارها في برنامجها النووي يشكل خطراً على مصالح تلك الدول، لذلك فهي مستمرة في تطوير قدراتها العسكرية، وخاصة الصاروخية لردع أي خطر من الممكن أن تواجهه، وذلك بعد

تعالي الأصوات حول منع إيران من الحصول على القدرة النووية، ويمكن رصد المظاهر التالية الدالة على استعداد إيران وحلفائها للتعامل مع أي اعتداء تتعرض له:

١- تعزيز إيران لعلاقاتها بحلفائها ومؤيديها من خلال زيارات المسؤولين الإيرانيين.

٢- تزويد حزب الله بصواريخ سكود، ودعم قدراته الدفاعية.

٣- حشد الطاقات الشعبية، وتحريك الوازع العقائدي لدى الشعب الإيراني للدفاع عن عقيدته ووجوده.

٤- إجراء المناورات العسكرية المتكررة البرية والبحرية والجوية، واستخدام الطاقات العسكرية الكاملة في تنفيذ هذة المناورات.

٥- دعم الصناعات الصاروخية وزيادة تأثيرها.

٦- شراء المعدات والأسلحة المتطورة من روسيا وكوريا الشمالية والصين.

٧- المراقبة الحثيثة لتحركات القوات الأمريكية في الخليج.

٨- تعزيز المواقع على الحدود مع العراق ودول الجوار لمنع تدخل القوات الأجنبية الموجودة هناك.

٩- دعم القيادات السياسية الشيعية في العراق والموالية للنظام الإيراني، بهدف استثمار الموقف العراقي لصالح إيران.

١٠- إعلان الرئيس الإيراني بأن الحرب قادمة في فصل الربيع أو فصل الصيف، وتحديه للغرب، وتهديده بإزالة إسرائيل من الوجود.

١١- إعلان حزب الله حالة استنفار قصوى لقواته في جنوب لبنان والبقاع.

١٢- استدعاء سوريا لنسبة من قواتها الاحتياط للعمل مع القوات الخاصة والمدرعة في المناطق المحاذية لهضبة الجولان.

١٣- تعهدت سوريا وحزب الله بمساندة إيران في حال تعرضها للحرب.

١٤- قامت القوات السورية بمناورات بالتعاون مع عناصر من حزب الله، رداً على المناورات العسكرية الواسعة للجيش الاسرائيلي في هضبة الجولان والجبهة الشمالية.

١٥- قامت سوريا خلال الأشهر الأخيرة بنشر آلاف البطاريات من الصواريخ

المتوسطة وبعيدة المدى، التي يصل مداها بين ٧٠- ١٠٠كم وتطال معظم مدن شمال إسرائيل.

١٦- تعاقدت سوريا مع روسيا على شراء طائرات وأنظمة دفاع جوي ومعدات أخرى.

الخطة الأمريكية- الإسرائيلية المتوقعة لإجهاض القدرة النووية الإيرانية

بالرغم من تراجع التأييد الداخلي للحرب من قبل الكونغرس والرأي العام الأمريكي، ومعارضة كل من روسيا والصين لخيار الحرب، إلا أن هذه المواقف قد تتغير نتيجة الضغط الإسرائيلي والأمريكي، وتصلب إيران في موقفها من حقها بامتلاك القدرة النووية وعدم جدوى العقوبات الدولية، وقيام إيران بأعمال عسكرية استفزازية ضد القوات الأمريكية والمنشآت النفطية في الخليج، وتوافر العوامل الحاكمة لاتخاذ القرار السياسي بالهجوم على إيران، ومن أبرز ملامح وخصائص خطة الهجوم الأمريكية والإسرائيلية ما يلي:

١- ستعمل الولايات المتحدة وإسرائيل على أن تكون الحرب خاطفة ومحدودة باستخدام القوة الجوية والصاروخية والعمليات الخاصة بضربات مكثفة وتدميرية لمواقع المفاعلات النووية، وخاصة مفاعل بوشهر الإيراني وقواعد صواريخ شهاب والرادارات والدفاع الجوي والمطارات والقطع البحرية، ومراكز القيادة والسيطرة والاتصالات، ومقرات القيادات العسكرية والسياسية والمنشآت النفطية، ومحطات الكهرباء والمياه، والمصانع العسكرية والمستودعات الاستراتيجية في إيران، كما سيرافقه قصف لمواقع حزب الله وبعض المنشآت الحيوية اللبنانية وفي غزة.

٢- سيتم التركيز على الحرب الإلكترونية لإبطال مفعول الأجهزة الإلكترونية في المعدات والأسلحة والطائرات والصواريخ، والقطع البحرية ومراكز القيادة والسيطرة.

٣- التصنت الإلكتروني على شبكات الاتصال والتشويش عليها في إيران وسوريا وحزب الله.

٤- الاستخدام الفعّال لصواريخ باتريوت والدفاعات الجوية لإبطال مفعول الصواريخ الإيرانية.

٥- في حال فشل الهجوم ولم يحقق أهدافه، وفي حال كان رد الفعل من قبل إيران

وحلفائها يشكّل خطراً على المواقع الحيوية الأمريكية ويهدد الوجود الاسرائيلي، فإن ذلك سيكون مسوغاً لاستخدام أسلحة نووية تكتيكية ضد إيران.

٦- ستكون محاور الهجوم الجوي والصاروخي والعمليات الخاصة من الجهات الأربع، فمن الشمال من القواعد الأمريكية في دول حوض بحر قزوين، ومن الشرق القواعد في أفغانستان وباكستان، ومن الجنوب الأسطول الخامس الأمريكي والقطع البحرية الإسرائيلية في بحر العرب والخليج العربي، ومن الغرب مواقع القوات الأمريكية في العراق.

٧- ستحظى خطة الهجوم بمساندة حلف الأطلسي وتقديمه للخدمات اللوجستية والقتالية.

٨- عمل خطة للحرب النفسية والإعلامية تشارك فيها بالإضافة إلى الولايات المتحدة وإسرائيل الدول الغربية والدول الحليفة لأمريكا والمعادية للنظام الإيراني بهدف إضعاف معنويات القوات المعادية وقدرتها على الصمود، ولاستغلال حالة الارتباك والصدمة لقلب نظام الحكم في إيران.

٩- ومن جانب آخر تعمل على تقليل الأثر النفسي للخسائر التي تلحق بالقوات الأمريكية والإسرائيلية، والتدمير الذي سيلحق بالمدن الإسرائيلية نتيجة القصف الصاروخي الإيراني وحزب الله وحماس.

١٠- استخدام القوات الأمريكية لأراضي بعض الدول العربية الحليفة بشكل علني أو سري، والاستفادة من التسهيلات اللوجستية.

النتائج المتوقعة للهجوم الأمريكي الإسرائيلي على إيران

من الصعب الجزم بأن الولايات المتحدة وإسرائيل قادرتان على تنفيذ خطة الهجوم على إيران، وتحمل الخسائر المحتملة من الرد الإيراني وحلفاء إيران في المنطقة، إلا إذا ضمنتا تحييد ما يزيد على ٨٠٪ من قدرة العدو الصاروخية، وفي حال نجاح الهجوم الأمريكي والإسرائيلي على إيران وحلفائها فإن نتائجه ستكون كالتالي:

١- تدمير المنشآت النووية الإيرانية وإعاقة طموحاتها كقوة إقليمية فاعلة في المنطقة.

٢- تدمير القوة العسكرية الإيرانية الاستراتيجية.
٣- إضعاف القدرة الاقتصادية الإيرانية نتيجة لتدمير المنشآت والموانى النفطية.
٤- إعطاء الفرصة لقوى التغيير والتيارات المناهضة للنظام الحالي لاستلام زمام الأمور في إيران.
٥- تقليص الدعم الإيراني لحزب الله وحماس والحركات الموالية لإيران في الوطن العربي والإسلامي.
٦- تدمير العديد من المنشآت النفطية في الخليج العربي، بسبب القصف الإيراني.
٧- إلحاق الضرر بالملاحة البحرية في الخليج العربي وبحر العرب.
٨- إعاقة التقدم العمراني والنشاط التجاري في دول الخليج.
٩- إثارة الشيعة العرب والجاليات الإيرانية في دول الخليج، مما يعرض أمن دول الخليج للخطر.
١٠- إلحاق الضرر بالقواعد والقطع البحرية الأمريكية في الخليج العربي بسبب القصف الإيراني والعمليات التخريبية.
١١- إثارة الوازع المذهبي للشيعة في العراق وحثهم على القيام بأعمال انتقامية ضد القوات الأمريكية في العراق.
١٢- محافظة اسرائيل على التفوق الاستراتيجي في المنطقة.
١٣- إضعاف الموقف الفلسطيني والعربي التفاوضي مع إسرائيل.
١٤- خسارة سوريا بعض أوراقها السياسية في المنطقة.
١٥- التمركز الدائم للقوات الأمريكية في منطقة الخليج بهدف حماية مصالحها والكيانات السياسية القائمة في الخليج.
١٦- وقوع هجمات «إرهابية» تستهدف مصالح الولايات المتحدة في العالم.
١٧- إلحاق خسائر بشرية ومادية في المدن الإسرائيلية والمواقع الاستراتيجية والحيوية، نتيجة للقصف الصاروخي من إيران وحزب الله وحماس، ونزوح أعداد كبيرة من الإسرائيليين خارج المدن، وهجرة أعداد منهم إلى الخارج.

أما في حال فشل الهجوم الأمريكي- الإسرائيلي في تحقيق أهدافه الرئيسية، فسيترتب عليه نتائج دولية وإقليمية منها:

١- استمرار إيران في برنامجها النووي العسكري، ودخولها النادي النووي الدولي خلال مدة لا تتعدى ٣ سنوات.

٢- ستتمكن إيران من تحقيق الردع الاستراتيجي مع إسرائيل في حال حصولها على السلاح النووي.

٣- انتشار المذهب الشيعي وتقوية موقف الشيعة في دول الخليج العربي.

٤- ازدياد قوة ونفوذ إيران في العراق خاصة بعد انسحاب القوات الأمريكية منها.

٥- إضعاف النظام العربي وتهيئة الفرصة لإعادة النظر في مؤسساته القائمة.

٦- التهديد المباشر للأنظمة العربية الموالية للغرب، وإضعاف موقفها اتجاه شعوبها وتهيئة الفرصة لإحداث تغييرات سياسية هامة.

٧- تهيئة الفرصة لتحقيق وحدة كونفيدرالية بين السعودية ودول الخليج العربي واليمن بدعم من الولايات المتحدة.

٨- تقوية الموقف السياسي لحزب الله في لبنان، وإبعاد خطر التمويل إلى حزب سياسي، وتجريده من السلاح.

٩- سعي إسرائيل للتسوية السياسية مع لبنان وسوريا، والتنازل عن مواقفها المتصلبة لصالح المطالب اللبنانية والسورية.

١٠- تقوية موقف حماس وإشراكها في العملية السلمية نحو دولة فلسطينية قابلة للحياة.

١١- إضعاف موقف الإدارة الأمريكية اتجاه الرأي العام الأمريكي، وتهيئة الفرصة لإجراء تغييرات جوهرية في الإدارة الأمريكية، وفي الاستراتيجيات السياسية والعسكرية للولايات المتحدة.

١٢- إعادة النظر في العلاقات الأمريكية- الإسرائيلية نتيجة ضغط الرأي العام الأمريكي.

١٣- إعادة بناء العلاقات السياسية بين إيران والولايات المتحدة مع الاخذ بالحسبان الأمر الواقع، وحماية مصالح الطرفين.

١٤- إحداث تدمير هائل في المدن والمواقع الاستراتيجية والحيوية في إسرائيل، ونزوح أعداد كبيرة من المواطنين الإسرائيليين إلى خارج المدن، وهجرة أعداد أخرى إلى خارج إسرائيل.

١٥- تشجيع بعض الدول للحصول على السلاح النووي وحماية أمنها الوطني.

١٦- ازدياد الضغط الأوروبي والدولي لتحقيق تسوية عادلة في الشرق الأوسط.

الملاحـــــــــق

- برنامج الندوة
- كلمة افتتاح الندوة
- التعريف برؤساء الجلسات والمشاركين

برنامج الندوة

٩:٠٠ – ٩:٣٠	التسجيل واستلام ملف الندوة
٩:٣٠ – ٠٩:٤٥	**الافتتاح**، أ. جواد الحمد/ مدير مركز دراسات الشرق الأوسط
٠٩:٤٥ – ١١:٣٠	**الجلسة الأولى** البيئة الحاكمة لتحركات الأطراف- سياسياً وأمنياً- تجاه الحرب (قراءة في المشهد وتقدير الموقف) رئيس الجلسة: **د. محمد خير مامسر** ١- البيئة الحاكمة لتحركات إسرائيل **أ. عبد الحكيم مفيد** ٢- البيئة الحاكمة لتحركات الدول العربية «الاعتدال والممانعة»، وإيران وتركيا **د. أحمد سعيد نوفل** ٣- البيئة الحاكمة لتحركات المقاومة (الفلسطينية واللبنانية) **أ. علي حسين باكير** **المناقشة**
١١:٣٠- ١١:٤٥	**استراحة**
١١:٤٥ – ٠١:٤٥	**الجلسة الثانية** إمكانات واحتمالات اندلاع الحرب رئيس الجلسة: **د. محمد صقر** ١- البيئة الحاكمة لتحركات (الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والصين) **د. رائد نعيرات** ٢- إمكانات الأطراف وإراداتها في شن الحرب وتداعياتها **أ.موسى الحديد** ٣- اتجاهات المواجهة وحدودها **أ. محمد علي بلال** **المناقشة**

٠١:٤٥ – ٠٣:٠٠	**استراحة غداء**
٠٣:٠٠ – ٠٥:٠٠	**الجلسة الثالثة** التوصيات الاستراتيجية لصانع القرار العربي والإسلامي المعني رئيس الجلسة: **د. علي محافظة** ١- قراءة في المشاهد السابقة لحروب ٢٠٠٣- ٢٠٠٩ **أ. عاطف الجولاني** ٢- القدرة على احتواء إمكانات اندلاع الحرب، ومواجهة احتمالاتها في حال الفشل **د. خالد عبيدات** ٣- الاستعدادات لاندلاع الحرب ونتائجها- سياسياً وإعلامياً **د.صبري سميرة** ٤- الاستعدادات لاندلاع الحرب ونتائجها- عسكرياً وأمنياً واقتصادياً **د. أحمد الخلايلة** **المناقشة**
٠٥:٠٠ – ٠٥:١٥	**التوصيات**

كلمة افتتاح الندوة

جواد الحمد*

أصحاب المعالي والعطوفة والسعادة،،

الإخوة والأخوات،

يسعدني أن أرحب بكم، باسمي وباسم طاقم المركز العامل، باستجابتكم للمشاركة في هذه الندوة المتميزة، وقد أخذنا قرار البحث عن مستقبل المنطقة في ظل تغيرات مهمة وتبادل تهديدات متصاعدة بين أطراف عدة فيها، وهو أن نستشرف إمكانات اندلاع الحرب في المنطقة خلال الفترة ٢٠١٠-٢٠١١، وهو الجزء الثاني المكمل لتجربتنا الأولى للبحث في إمكانات تحقق التسوية بشكل أو بآخر، والتي عقدت لها ندوة خاصة في ٠٤/ ٠٤/ ٢٠١٠، وقد بدأنا التجربة الأولى إزاء موضوع الحرب بالتعاون مع مركز الزيتونة للدراسات في بيروت بعقد نفس الندوة ومع مشاركين مختلفين في ٢٢/ ٠٤/ ٢٠١٠، وقد صدر تقدير الموقف الخاص بتلك الحلقة النقاشية وهو بين أيديكم، ولنا أمل كبير بتحقيق هدف هذه الندوة بتقدير وقراءة استراتيجية تعتمد على التحليل والمعلومات، وتستفيد من نظريات وآليات تقدير الموقف المتعارف عليها عالميا وبأفضل المقاييس.

وقد حرصنا على مشاركة أحد عشر باحثا من دول عربية رئيسية في تقديم الأوراق الأولية لهذه القراءة ليصار بعدها إلى صياغة تقدير موقف حول اندلاع الحرب في المنطقة خلال الفترة ٢٠١٠-٢٠١١.

ويسرني الترحيب بضيوف الأردن القادمين من دول عربية أخرى للمشاركة في هذه الندوة، كما نشير إلى أن الاحتلال قد حال بيننا وبين مشاركة الزميل الدكتور رائد نعيرات من نابلس والذي سيلقي ورقته أحد الزملاء نيابة عنه.

الزملاء الأعزاء،،

تحيط بالمنطقة الكثير من طبول الحرب الأميركية والإسرائيلية وغيرها، وتتفاعل معطيات وظروف هذه الحرب أو العدوان من قبل إسرائيل على وجه التحديد وبضوء أميركي حول جبهات أربع محتملة: إيران، سوريا، لبنان، غزة، وبغض النظر عما ستتوصل إليه ندوتكم من الاحتمالات فإن القراءة الأولية للمشهد العام تشير إلى تفاقم الاستعدادات

* مدير مركز دراسات الشرق الأوسط – الأردن.

الإسرائيلية لشن الحرب على غزة وهي تستعد اليوم لأوسع من ذلك في حال اندلعت على إحدى هذه الجبهات، وبرغم الإشكالات التي تعاني منها إسرائيل في تقديراتها الاستراتيجية والاستخبارية، كما ثبت سابقا في حربي لبنان وغزة، غير أن الجو السياسي الإسرائيلي يدفع إلى تسخين الأجواء وتهيئتها لعدوان عسكري وشيك الوقوع، وتعتقد النخب السياسية والعسكرية الإسرائيلية أن اندلاع مثل هذه الحرب أو العدوان الواسع ربما ينقل البيئة السياسية الحاكمة في المنطقة إلى اتجاهين، الأول: إعادة تفعيل وتوسيع دائرة التعاطف الغربي العام مع إسرائيل والاستنفار الرسمي لحمايتها والدفاع عنها ودعمها عسكريا وماليا، والثاني: نقل الضغوط من على الجانب الإسرائيلي إلى أطراف أخرى ، ناهيك عن الجو الجديد تماما الذي قد ينشأ في حال نجحت إسرائيل بتحقيق بعض من أهداف مثل هذا العدوان، والتي لم تعلن بشكل دقيق بعد خوفا من انهيار معنويات الجمهور والجيش في حال الفشل أو الهزيمة العسكرية، كما فعل رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أيهود أولمرت في الحرب على غزة، تلك الحرب التي خرج منها دون نتائج جوهرية وراح يصوغ أهدافه منها وفق الوقائع على الأرض بعد انجلاء الحرب ليمنع أحدا من تقييم الحرب بشكل منهجي وعلمي يمكن أن يحاسبه عليها.

وبرغم قرع طبول الحرب في المنطقة منذ أكثر من خمسة شهور، فإن المؤشرات الأولية تؤكد أنها ستكون محدودة، لأن توسيع الحرب لا يخدم الحسابات الإسرائيلية من جهة، ويقلل من قدرتها على التحكم بنتائجها من جهة ثانية، ويضاعف من ردة الفعل الشعبية العربية والإسلامية، الأمر الذي قد يشكل تهديدا لسياسات الأنظمة العربية في محور الاعتدال من جهة ثالثة، ناهيك عن إمكانية التئام دول أخرى في محور الممانعة وخارجها ضد إسرائيل كما جرت محاولة لم تستكمل في الحرب على غزة من جهة رابعة.

الإخوة والأخوات،

لا أريد أن أطيل عليكم لأترك التفكير والحوار في الندوة يأخذ مجراه بين الخبراء المشاركين، ويسرني ختاما أن أتقدم بالشكر الجزيل للزملاء الباحثين جميعا وللسادة رؤساء الجلسات، وإلى المشاركين جميعا على الحضور، وكلي أمل بإثراء الندوة وفق نظامها وعناوينها بآرائكم القيمة، وتوقعاتكم وتحليلاتكم المتميزة لتقدم نتائجها إلى الحكومات والقوى السياسية والفصائل الفلسطينية واللبنانية حتى تخدم صناعة القرار إزاء أي عدوان إسرائيلي محتمل الوقوع على أي جبهة كانت خلال هذه الفترة.

التعريف بالمشاركين

رؤساء الجلسات

(الأسماء مرتبة حسب ترتيب الجلسات)

الاسم	البلـد	الصفة
د. محمد خير مامسر	الأردن	عضو مجلس الأعيان، ووزير التنمية الاجتماعية والشباب الأسبق
د. محمد صقر	الأردن	أستاذ الاقتصاد في الجامعة الأردنية، ورئيس الجامعة الإسلامية الأسبق- غزة،
د. علي محافظة	الأردن	أستاذ التاريخ في الجامعة الأردنية، ورئيس جامعة جدارا السابق،

البـــاحثـــــــــون

(الأسماء مرتبة هجائياً)

الرقم	الاسم	البلد	الصفة
١.	د. أحمد الخلايلة	الأردن	عميد متقاعد وخبير استراتيجي
٢.	د. أحمد سعيد نوفل	الأردن	أستاذ العلوم السياسية- جامعة فيلادلفيا
٣.	د. خالد عبيدات	الأردن	دبلوماسي وباحث سياسي
٤.	د. رائد نعيرات	فلسطين	أستاذ علوم السياسية- جامعة النجاح/ نابلس
٥.	د. صبري سميرة	الأردن	باحث ومحلل سياسي
٦.	أ. عاطف الجولاني	الأردن	رئيس تحرير صحيفة السبيل اليومية الأردنية
٧.	أ. عبد الحكيم مفيد	فلسطين	كاتب ومحلل سياسي
٨.	أ. علي باكير	الأردن/ لبنان	كاتب وباحث
٩.	أ. موسى الحديد	الأردن	لواء متقاعد وخبير استراتيجي

إصدارات مركز دراسات الشرق الأوسط

أولاً: البحوث والدراسات والندوات

- العلاقات التركية- الإسرائيلية، وتأثيرها على المنطقة العربية/ دراسات ٥٨.
- الأزمة المالية الدولية وانعكاساتها على أسواق المال والاقتصاد العربي/ ندوات ٥٦.
- التداعيات القانونية والسياسية لانتهاء ولاية الرئيس الفلسطيني/ ندوات ٥٥.
- السياسات العربية في التعامل مع الصراع العربي- الإسرائيلي حتى ٢٠١٥م، -٣-/ ندوات٥٤.
- حماس والحركة الإسلامية والحوار مع النظام السياسي في الأردن/ ندوات ٥٣.
- حق عودة اللاجئين الفلسطينيين بين النظرية والتطبيق/ ندوات ٥٢.
- رؤى استراتيجية إسرائيلية لحرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦م ضد لبنان/ دراسات ٥١.
- إسرائيل ومستقبلها حتى عام ٢٠١٥م/ ندوات ٥٠.
- السياسات العربية في التعامل مع الصراع العربي- الإسرائيلي حتى ٢٠١٥م/ ندوات ٤٩.
- العرب ومقاطعة إسرائيل/ دراسات ٤٧.
- الاستيطان اليهودي وأثره على مستقبل الشعب الفلسطيني/ ندوات ٤٦
- آفاق الإصلاح والديمقراطية في الأردن/ ندوات ٤٥
- منظمة التحرير الفلسطينية نحو مشروع لإصلاح بنيوي سياسي/ ندوات ٤٤.
- انعكاسات التطورات الإقليمية والدولية على العلاقات العربية-الإسرائيلية/ ندوات ٤٣.
- الانتخابات الفلسطينية ٢٠٠٥ ... ظروفها، آلياتها، نتائجها/ ندوات ٤٢.
- تطلعات المجتمع الأردني في الحياة الديمقراطية/ دراسات ٤١.
- العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية/ دراسات ٤٠.
- الأوضاع الاقتصادية والإنسانية في الضفة الغربية وغزة (١٩٩٨-٢٠٠٢) / (بالإنجليزية)/ دراسات ٣٩.
- الاستثمار في الأردن ... فرص وآفاق/ ندوات ٣٨.
- مستقبل اللاجئين الفلسطينيين وفلسطينيي الشتات/ ندوات ٣٧.
- الانتفاضة تغير معادلات الصراع في المنطقة/ دراسات ٣٦.
- انعكاسات عضوية منظمة التجارة العالمية وتطبيق التخاصية على التنمية الاقتصادية في الأردن/ ندوات٣٥.
- انعكاسات العولمة السياسية والثقافية على الوطن العربي/ ندوات ٣٣.
- الأمن القومي العربي في منطقة البحر الأحمر/ ندوات ٣٢.

- المصالح العليا للأردن، المكونات والتحديات/ ندوات ٣٢.
- الدولة الفلسطينية المستقلة/ ندوات ٣١.
- الديمقراطيات في الوطن العربي، التحديات وآفاق المستقبل/ ندوات ٣٠.
- التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط/ ندوات ٢٩.
- الأوضاع الاقتصادية والإنسانية في الضفة الغربية وغزة/ دراسات ٢٨.
- دور مراكز الدراسات في صناعة القرار في الدولة الأردنية الحديثة/ دراسات ٢٧.
- مستقبل الحياة المدنية في مناطق الحكم الذاتي الفلسطينية/ ندوات ٢٦.
- أمـن الخليج العربي في ظل النظام الدولي الجديد/ دراسات ٢٥.
- قضية القدس ومستقبلها، في القرن الحادي والعشرين، ط٣/ دراسات ٢٤.
- القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا(MENA)/ تقارير ٢٣.
- اتفاق الخليل ... نموذج لمنهج الليكود في الحل النهائي/ دراسات ٢٢.
- المدخل إلى القضية الفلسطينية، ط٧/ دراسات ٢١.
- دراسة في الفكر السياسي لحركة (حماس) (١٩٨٧-١٩٩٦)،ط٣/ دراسات ٢٠.
- عملية السلام في الشرق الأوسط وتطبيقاتها على المسارين الفلسطيني والأردني/ دراسات ١٨.
- إسرائيل تستولي على بيت المقدس وفق مخطط استراتيجي/ دراسات ١٧.
- مستقبل السياسات الدولية تجاه الشرق الأوسط/ دراسات ١٧.
- السلطة الوطنية الفلسطينية في عام (١٩٩٤-١٩٩٥)، (إنجليزي)./ تقارير ١٦.
- توجهات أمريكية تجاه الشرق الأوسط/ تقارير ١٥.
- السلطة الوطنية الفلسطينية في عام (١٩٩٤-١٩٩٥)/ تقارير ١٤.
- التغيرات في النظام الدولي وانعكاساتها على منطقة الشرق الأوسط/ دراسات ١٣.
- معاهدة السلام الأردنية-الإسرائيلية ... دراسة وتحليل، ط٢/ دراسات ١٢.
- في الذاكرة الإنسانية، المجـازر الصـهيونية ضـد الشـعب الفلسـطيني (١٩٤٨- ٢٠٠٠)، ط٥/ دراسات ١١.
- مستقبل الأمن القومي العربي في ظل السلام مع إسرائيل، ط٢/ دراسات ١٠.
- الانعكاسات السياسية لاتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني/ دراسات ٩.
- انتخابات الحكم الذاتي الفلسطيني/ ندوات ٨.
- أبعاد الاتفاق الاقتصادي الفلسطيني- الإسرائيلي/ حلقات بحث ٧.
- المفاوضـات الثنائيـة ومتعـددة الأطـراف للسـلام في الشـرق الأوسـط (السـيناريوهات المتوقعة)/ دراسات ٥.

- مستقبل السلام في الشرق الأوسط/ دراسات ٤.
- الانتفاضة الفلسطينية مستقبلها ودورها في التحرير/ ندوات ٣.
- المؤتمر الإقليمي للسلام في الشرق الأوسط/ ندوات ٢.
- نظرات وتطلعات في واقع ومستقبل الشرق الأوسط/ دراسات ١.

ثانياً: التقرير الاستراتيجي

- الصلاحيات الدستورية والقانونية الفلسطينية، ع ٣٥.
- المأزق الأميركي في العراق ... رؤى في استراتيجيات الخروج ،ع ٣٤.
- اتجاهات الناخبين الفلسطينيين في انتخابات البلديات ورئاسة السلطة، ع٣٣.
- صراع القيم الحضارية ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ع ٣٢.
- الحراك السياسي في إسرائيل بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، ع ٣١.
- تداعيات الصراع في القرن الأفريقي على الوطن العربي، ع ٣٠.
- تداعيات المشروع الإسرائيلي في الفصل الأحادي الجانب والجدار الفاصل، ع ٢٩.
- الحرب الأمريكية على ما يسمى الإرهاب، ج٢، الحرب على العراق، ع ٢٨.
- الحرب الأمريكية على ما يسمى الإرهاب، ج ١، الحرب على أفغانستان، ع٢٧.
- حلقات العصف الذهني الاستراتيجي (تداعيات الحرب الأمريكية على العراق/ مستقبل القضية الفلسطينية في ضوء خريطة الطريق).
- المحكمة الجنائية الدولية.. آلية قصاص دولية من مجرمي الحرب، ع٢٥، ٢٠٠٣.
- مفهوم الإرهاب وحق الشعب الفلسطيني في المقاومة، ع ٢٤، ٢٠٠٣.
- انتخابات الكنيست الإسرائيلي ٢٠٠٣، الخريطة السياسية والانعكاسات المستقبلية، ع٢٣، ٢٠٠٣.
- الاغتيال جريمة حرب ثابتة في السياسة الإسرائيلية، ع٢٢، ٢٠٠٢.
- الجدار الأمني الفاصل بين الكيان الإسرائيلي والضفة الغربية، ع٢١، ٢٠٠٢.
- تحولات البيئة التشريعية الدولية في ظل أحداث ١١سبتمبر٢٠٠١، ع٢٠، ٢٠٠٢.
- عملية السلام في الشرق الأوسط.. الدوافع والانعكاسات (١٩٩١-٢٠٠١)، ع ١٨و١٩، ٢٠٠٢.
- الديمقراطية في الوطن العربي مؤشرات وآفاق، ع١٧، ٢٠٠٢.
- الأردن ورئاسة القمة العربية، التحديات والآفاق، ع١٦، ٢٠٠١.
- انتفاضة الأقصى تعيد النظر في مستقبل الكيان الصهيوني، ع١٤و١٥، ٢٠٠١م.

- مستقبل القضية الكردية في الشرق الأوسط، ع١٣، ٢٠٠٠م.
- الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان.. مرحلة تحول استراتيجي في الصراع، ع١٢، ٢٠٠٠م.
- الإمكانات النووية العربية، التحديات وآفاق المستقبل، ع١٠و١١.
- توجهات إسرائيل السياسية تجاه الشرق الأوسط في عهد باراك، ع٨ و٩.
- القدرات النووية الإسرائيلية، الخطر الاستراتيجي على الأمن والسلام في الشرق الأوسط، ع٧.
- توجهات السياسة الخارجية الأردنية في عهد الملك عبد الله الثاني، ع٦.
- المواجهة بين حماس والموساد، ع٤و٥.
- نصف قرن على الكارثة الفلسطينية، ع٢و٣.
- المواجهة بين العراق وأمريكا، ع١.

ثالثاً: مجلة دراسات شرق أوسطية

مجلة فصلية محكمة، يصدرها المركز بالتعاون مع المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، بدأت عام ١٩٩٦، وصدرت منها حتى الآن الأعداد (١-٥٣)

رابعاً: شهرية الشرق الأوسط

- الدين والسياسة والتحولات في الوطن العربي.
- دور الانتفاضات الفلسطينية في إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، وآفاق الانتفاضة الثالثة.
- اتجاهات التحول في توازن القوى السياسية والاجتماعية في الديمقراطية الأردنية.
- نحو توافق فلسطيني لتحريم الاقتتال الداخلي.
- تداعيات حصار غزة وفتح معبر رفح.
- دور مؤسسة القمة العربية ومستقبلها.
- أزمة السلة الغذائية العربية، التحديات واتجاهات المعالجة.
- الفاتيكان والعرب، تحديات وآفاق في ضوء زيارة البابا للمنطقة.
- رسالة أوباما التصالحية والمطلوب عربياً.
- القرن الأفريقي وشرق أفريقيا، الواقع والمستقبل.
- الوطن البديل، آفاق التطبيق وسبل المواجهة.
- التسوية السياسية، التحديات والآفاق.
- تداعيات الهجوم الإسرائيلي على أسطول الحرية.
- تركيا وإسرائيل وحصار غزة.

5. The growing Turkish role that is supportive of the Arabs is a strategic asset, whether in terms of constructing a balance with the countries neighbouring the Arab World, or in connection with expanding the Arab alliances challenging the Israeli danger.
6. The steadfast states need to enhance their defence capabilities and policies, as well as build offence capabilities. As Israeli may launch an aggression on any front, deterrence must be secured for the entire nation against the brutal Israeli power.
7. All the parties which may be involved in any confrontation on the four fronts must build a coordinated defence strategy weakening the Israeli ability to defeat any front, bearing in mind the requirements of the pan-Arab security.
8. All the Arab countries are urged to provide the necessary political, media, economic, military and security support to the four fronts (Iran, Syrian, Lebanon and Gaza), in a way that enhances their steadfastness and aborts any aggression, highlighting the efforts to lift the siege imposed on the Gaza Strip.
9. The frontlines must be reinforced in a way that contains the initial strike if an aggression takes place. The chance must be taken afterwards to abort the aggression and defeat Israel.
10. The Arab governments must utilize their resistant and active movements. They must work on achieving national unity and make inclusive reconciliations across their countries in order to reinforce the internal front as well as counter the constant Israeli threat.

possibilities, capabilities and procedures. The investigation covers the field preparations in addition to the political, geographical, journalistic, military, security and economic considerations before, during and after any anticipated war, along with their expected conclusions. These recommendations must be fully comprehended by all the bodies concerned with the Arab-Israeli conflict, wars, agreements and parties. Then, they must come up with a vision and strategy serving the higher interests of the Palestinian issue and the Arab World according to a comprehensive resistance of the Israeli occupation. All the national, pan-Arab, regional and international parties, whether public or governmental, have to cooperate and exploit all their material and spiritual capabilities.

The intellectual and strategic recommendations are as follows:

1. There are obstacles facing a comprehensive war by Israel on any of the expected fronts (Iran, Syria, Lebanon and Gaza). However, this does not mean to stop the preparations on any front, for a partial or sporadic war is very likely especially on Gaza.
2. The strategic threat to the interests and future of the region is ongoing. Israel is the major menace to the national and pan-Arab and Islamic security.
3. Preparations must be made to counter a war changing the structure of the region to be ready to carry out the US and Israeli strategies and projects. This can be defied not only by the resistance movements and the steadfast states, but also by all the components of the Arab, Islamic nation: governments, groups and peoples.
4. The involvement of Arab countries in a war with Iran on behalf of the US and Israel is a serious mistake. Any possible confrontation between Iran and the Arabs must be avoided, since the greatest losers are the Arab and Iranian peoples, whereas such a war will only serve the US and Israeli national security.

In case a war breaks out in the region, the defence framework of Hezbollah and Hamas is explored. It seems that both would be able to defend themselves as they can make use of their current powers. They can have, mainly, the human force by qualifying fighters, securing new types of weapons in large quantities, furthering cooperation with the other fronts, and possessing dozens-of-kilometers-range rockets. Hezbollah may even own air defence weapons. Both can easily win the media and ethical battle in the international, regional and Arab public opinion. Yet, they would encounter a number of challenges in their defense, mainly the assassination of some of their military leaders, and the Israeli monitoring of their supply lines.

Chapter Two, entitled by **War Possibilities**, reviews three major aspects of the previous wars in the region in the period 2003-2009. It is an attempt to foresee how a new war could look like in addition to the parties' capabilities and decisions in terms of waging the war and its repercussions. The results of the military confrontations in the last few years in Lebanon, Iraq and Gaza are investigated. The pre-emptive war strategy has proven failure, along with the US and Israeli field operations. They did not manage to accomplish their declared objectives despite the misleading reasons of the aggressions. It is clear that the US is willing to continue with its control over the Middle East to cover all its countries.

Predictions are made of the parties' ability to contain a war if it breaks out as well as counter its possibilities and the influential factors. Reference is also made to the significance of the Middle East region in the global peace due to its geo-political importance. The one who controls this region will be able to display its role as an effective international power, such as Israel nowadays. Incidental shifts as well as conceptual and attitudinal changes have been witnessed in the region as a result of a large number of factors.

In Chapter Three, strategic recommendations are made to the Arab and Islamic decision-maker who is concerned with the war

status as a historical security platform for the US.

Moving to Syria, it has become clear that it is anxious, at best, of returning the occupied Golan Heights through negotiations, but not of waging or declaring a war. The status quo serves its interests and targets in a better way than any war or escalation even of an average type.

Nor is Hezbollah concerned of a war with Israel. It does not wish to repeat the 2006 war scenario because of its resultant political gaps and structural imbalances in Lebanon. Furthermore, the current Iranian-Saudi approachment reduces the party's regional influence, especially with regard to a predicted war. In spite of its enormous capabilities, the party never has the war decision, which is connected with powers outside the country.

Gaza is currently the most worrying front for Israel. It goes without saying how miserable the Gazans have been in the last few years, especially after the 2008-2009 war. In such circumstances, what Hamas is doing on the ground is steadfastness. It cannot declare a war on Israel, for it neither has the capability to initiate it nor control its conditions, bearing in mind that Gaza is still under siege.

The farthest front – Iran – is undoubtedly the main question. It is not interested in raging a war as long as the Iraqi and Afghani issues are obviously serving its project and making it an influential regional power. In other words, as the current political situation is helping it more than the others, it does not have to declare a costly pre-emptive war, but it needs an international stand supporting its nuclear programme.

According to all the above, Hezbollah, Hamas, Syria and even Iran, on the one hand, cannot start a war. The US and Israel, on the other hand, are powerful enough to initiate it. Nevertheless, a regional war – rather than a military campaign like those of Lebanon 2006 and Gaza 2008-2009 – is an extremely serious matter affecting all the regional and international players, decreasing the possibility of such a war.

Abstract

The present book is a product of a seminar organized by the Middle East Studies Center in Amman on Saturday, May 29, 2010, It was entitled by **Possibilities of War in the Middle East 2010/2011**, and attended by a number of academics and strategic specialists from inside and outside Jordan.

This book analyzes the war possibilities in a deeper way than the media, It is an attempt to understand the conditions governing the actions of the different parties of conflict in the region as well as each one's capabilities to contain any war repercussions or possibilities.

The book is divided into three chapters. The first discusses the conditions governing the political and security actions towards the war. The second investigates the war possibilities. The third makes strategic recommendations for the concerned Arab and Islamic decision-makers.

In Chapter One, the conditions governing the relevant parties (US, EU, China, Russia, Israel, 'moderate' and 'steadfast' Arab states, Iran, Turkey, and the resistance in Lebanon and Palestine). Each party's stand against any comprehensive war in the region is reviewed.

It is strongly argued that the US and Israel are the ones most significant in the case of such a war which they are most expected to start. They would like to achieve two targets. The first is to put an end to the influence of the resistance in the region – which accounts for the war on Lebanon and Gaza. The second is to maintain Israel as the superpower in the region as well as the most influential in terms of war and peace. Nevertheless, the US is currently not interested in a new war, due to its dilemma in Iraq and Afghanistan with its NATO allies.

However, Israel has been witnessing a state of confusion as a result of the successive developments in the Middle East since the September 11th attacks of 2001, such as America's direct involvement in the battlefield. This has led to Israel's losing its

contents

Subject	Page
Introduction	**7**
Chapter One **Political and Security Conditions Governing the Parties' Actions towards the war**	**13**
- Conditions Governing the Actions of the US, EU, Russia and China	15
- Conditions Governing the Actions of Israel	25
- Conditions Governing the Actions of Iran, Turkey, and the Arab "Moderate" and "Steadfast" States	37
- Conditions Governing the Actions of the Palestinian and Lebanese Resistance	55
Chapter Two **War Possibilities**	**75**
- Review of Previous Wars (2003-2009)	77
- Parties' Capabilities and Wishes of a War and Its Repercussions	85
Chapter Three **Strategic Recommendations for Relevant Arab and Islamic Decision-Makers**	**111**
- Wars Always Imminent Despite Their Destructive Results: Why and How?	113
- Political and Media War Preparations and Outcomes	131
- Military, Security and Economic War Preparations and Outcomes	141
Appendices	**151**
- Seminar Programme	153
- Opening Talk	155
- List of Participants	157
English Abstract	--

Middle East Studies Center
Jordan

Possibilities of War in the Middle East
2010/2011

Editor
Sabri Sumeira

Participants
hmed Said Nofal Ahmed Al-Khalaila
Khaled Obeidat Ra'ed Nu'eirat
Sabri Sumeira Atef Al-Joulani
Abdul-Hakim Mufid Ali Husain Bakir
Mousa Al-Hadid

Seminars 59

The views of the contributors does not necessarily stand to **MESC** *position*

First Edition

Amman – 2011

Copy Rights Reserved to MESC

To order our publication:

Middle East Studies Center

P.O.Box 20543 – Amman 11118 – Jordan
Tel: ++962-6-4613451 / Fax: 4613452

E-mail: mesc@mesc.com.jo
http:// www.mesc.com.jo
and All Jordanian & Arabic Libraries

Possibilities of War in the Middle East 2010/2011